عبد الرحمن واصل

مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية تحت أضواء الشريعة الإسلامية

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة - ت - ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الثالثة

١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

تم الجمع التصويري
بمكتب اليُســــــــر لخدمات الكمبيوتر
القاهرة - ت : ٢٤٢٣٢٠٧

طبع بالمطبعة الفنية
ت : ٣٩١١٨٦٢

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى كل فتى مؤمن..

إلى الذي لم يغش عينيه بريق الحضارة الغربية الجوفاء ، فلم تبهره بألوانها الفاقعة ، وأشكالها الصارخة كما تبهر الطفل الصغير !!

إلى الذي أبى عليه عقله أن يكون فرداً في قطيع ، أو نغماً في لحن فاجر تعزفه أنامل الشيطان ، فاعتز بدينه ، واستمسك بعقيدته ، ووقف شامخاً أمام جيوش الفتن ، ليذود عن دينه في إيمان ويقين ، وعزم لا يلين !!

وأيضاً إلى من ضللته وسائل الإفساد فوقف تائهاً في الظلام يريد أن يتعرف معالم الطريق..

وإلى كل فتاة مؤمنة ..

إلى التي نظرت إلى حضارة « الجنس والأزياء » نظرة المتعجب على ضياع العقول !!

وأيضاً إلى التي تبحث عن زورق النجاة في بحار الفتن العمياء ..

وإلى كل مرب .. ينشد تربية طلائع من الأجيال المسلمة ، تستطيع - بروح أخلاقها - أن تنتزع راية الحضارة حتى تعود الأمة القائدة ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [(١)].

إلى هؤلاء جميعاً .. أهدي هذا الكتاب .

عبد الرحمن واصل

*   *   *

---

(١) آل عمران : ١١٠.

مقدمة

شبابنا - الآن - على مفترق الطرق ، وفي مهب ريح السموم التي تهب عليه قوية عاتية من الغرب المنحل ..

ومسئولية رعاية الشباب ، لا بد أن تكون بالنسبة لنا في المقام الأول حكاماً، ودعاة ومصلحين ،فالأمم التي لا تعرف كيف تستفيد من فورات شبابها ، وتعجز عن استثمار طاقاتهم وشغل أوقات فراغهم - إنما هي أمم تَدَّخِر لمستقبلها رصيداً منكراً من الهزائم والانكسارات ..

وهذا الكتاب الذي أقدمه اليوم لشبابنا ومستقبل إسلامنا لم يأت من فراغ . وإنما كان من ورائه عاملان :

العامل الأول : هو واقع معاشرتي للشباب من الجنسين كمرشد وداعية في المسجد ، ومُعَلِّم ومُوَجِّه في قاعات الدرس ، ومن ثَمَّ فإنه إلى البحث الميداني أقرب منه إلى البحث النظري ..

والعامل الثاني : هو - كما لا يخفى على أحد - هذا الطوفان الرهيب من صور الجنس ، ومجلات الجنس ، وكتب الجنس ، وقصص الجنس التي تغمر الأسواق ، والتي تعاد طباعتها بصورة خرافية .. تجد الشباب يتهافتون عليها تهافت الفراش على النار يحسبها سبيلاً إلى النجاة فتكون سبيله إلى الهلاك !

وجل هذه الكتب التي يصدرها تجار الجنس ورواد الفاحشة ، تجدها ركاكة في الأسلوب ، وتفاهة في الأفكار ، وإثارة وضيعة للغرائز ..

فكل من أراد من هؤلاء الثروة السريعة السهلة - فبدلاً من أن تمتد يده إلى مال الدولة ، فيقع تحت طائلة القانون . فإنه يلجأ إلى السرقة عن طريق

مهذب: بضع وريقات عن الحب ، أو عن القبلات ، أو عرض للجهاز التناسلي عند الرجل والمرأة ، ثم بعض النماذج العارية ، وصورة على الغلاف لفتاة من ذوات الجمال المصنوع وتحتها كلمة حب ، أو جنس ، فإذا هو - في توهمه - قد ضمن تجارة لن تبور ، وسيلاً من المال الحرام لا ينقطع ..

ومن ثمَّ فإننا كدعاة إلى الله لن نسمح للعملة الرديئة أن تطرد العملة الجيدة من السوق ..

وإننا نحتاج إلى مزيد من الكتب الإسلامية في هذا المجال كماً وكيفاً حتى نحقق - على الأقل - نوعاً من التعادل بين الثقافة الإسلامية في هذا المجال ، وبين السيل الطامي من الكتب التي تحمل الأفكار المسمومة ، والتي تنذر بالبوار وخراب الديار !!

نريد أن نتيح الفرصة لشبابنا كي يتعرفوا تراثهم وعقيدتهم التي تعالج مشكلاتهم وتلبي كل احتياجاتهم من الغذاء الفكري في شتى جوانب حياتهم..

فنحن إذا لم نقدم للشباب الحلول الإسلامية ، فإننا بذلك ندفعه دفعاً إلى أن يتلمسها عند الملحدين ، وسدنة الجنس ، وفي نفس الوقت نعطي الفرصة للحكام الجاهليين في تنفيذ تخطيطهم وبرامجهم ، وإظهار الإسلام بمظهر العاجز عن معالجة مشكلات الحياة ، ويكون ذلك عوناً لهم في إقصاء الدين كلية عن واقع الحياة في المجتمعات الإسلامية..

وإننا نعتقد أن هذه الفترة من الزمن هي أنسب الفترات لتقديم الإسلام وعرضه على جماهير شبابنا ، بعد أن فشلت حضارة الغرب المادية فشلاً ذريعاً في تحقيق الأمن النفسي ، وملء الفراغ الروحي عند الشباب ، وبعد أن تحوّل الشباب هناك إلى قطعان ضالة ضائعة هائمة شاردة : قطعان من الخنافس والهيبز والتافهين .. عصابات إرهابية منظمة للابتزاز والسرقة الجماعية .. فرق

الألوية الحمراء .. والجيش الأحمر .. جماعة معبد الشعب .. نواد لتبادل الزوجات .. إرهاب ، وخطف ، وقتل ، وابتزاز ، وعنف ، وأزمات طاحنة ، وأرق ، وقلق ، وجنون ، وانتحار ... بركات الحضارة الجاهلية .. حضارة المال والجنس ..

فالفرصة أمامنا مواتية والرياح في صالح سفينة الإسلام ، والحدَّاد الماهر من يطرق والحديد ساخن..

ولقد أخذنا نموذجاً من الحضارات المادية الوثنية متمثلة في الحضارة اليونانية والرومانية والتي ساهم الجنس في وأدها وهي في قمة روائها ، وتحدثنا عن أسباب الإنفجار الجنسي في أوروبا في العصر الحديث ، ومعالم هذا الانفجار لنحذر وننذر السائرين وراء الغرب شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى يتعرفوا مواقع أقدامهم التي تسير بخطى حثيثة نحو الهاوية !

وبينا منهج الإسلام في بناء المجتمع المثالي الفاضل .. وسيرى قارئ هذا الكتاب كيف عالج الإسلام مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية ، وكيف وضع الغريزة على طريقها الصحيح ، وكيف استثمر طاقات الشباب وَجنّدَها في إقامة مجتمع قوي تسري في أوصاله دماء الشباب ..

وعرضنا فيه للعوامل المؤثرة في الشباب هدماً وبناءً ، لنعلم جميعاً شعوباً وحكومات .. أين موقعنا من العقيدة .. من الإسلام ؟ الذي لا يوجد له - وللأسف - وجود حقيقي إلا في مقدمة الدساتير ، وداخل أماكن العبادة ، وبعض باهت منه على شاشات الإعلام وموجات الأثير..

ولسنا نَدَّعي أننا بهذا الكتاب سنصنع ما لم تستطعه الأوائل ، أو أننا سنحل مشكلات الشباب حلاً جذرياً .. كلا .. وذلك لأنه لن تُجتث مشكلاتنا من أصولها - بما فيها مشكلات الشباب - إلا بالتزام المجتمعات المسلمة بمنهج

الإسلام عقيدة وشريعة ، ومنهاجاً وسلوكاً ، وهيمنة على جميع شئون الحياة ، وبسريان روح الإسلام في جسد الأمة كسريان الدم في شرايين الجسم ..

وإنه لمن الصعب علينا بل من المستحيل أن نحاول ترقيع المجتمعات التي انسلخت من آيات الله بنسيج لا يَمُتّ بنوع ولا لون إلى النسيج الذي تكفنت به هذه المجتمعات حاجبه بذلك عن نفسها هواء الإيمان وشمس الحق.. ولكن حسبنا أن نضيء مصابيح في الظلام حتى تطلع شمس الإسلام ، وتشرق الأرض بنور ربها ، ويتحقق وعد الله – عز وجل – للمؤمنين :

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [(١)].

﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً * وَنَرَاهُ قَرِيباً ﴾ [(٢)].

عبد الرحمن عبد السلام حسن واصل

* * *

---

(١) الأنبياء : ١٠٥.

(٢) المعارج : ٦ ، ٧.

الفصل الأول

الجنس وسقوط الحضارات

- الجنس وسقوط الحضارة اليونانية .
- الجنس وسقوط الحضارة الرومانية .
- النصرانية والعلاج الأخرق .
- الجنس وهزيمة فرنسا في الحرب العالمية الثانية .
- أسباب الانفجار الجنسي في أوروبا .
- نافذة على الانحلال الجنسي في دول الغرب .
- الحصاد المر .
- الصحوة والمنهج الحق .

الجنس وسقوط الحضارة اليونانية

أصحبك أخي الشاب في رحلة عبر التاريخ ، لنقرأ معاً صفحات عن الدعارة التي كانت بمثابة السم البطيء الذي يسري في دم العملاق حتى يُشَيِّعُه إلى مقره الأخير ، ولنتعرف معاً كيف تقضي روح الخلاعة على روح الرجولة ، فتنهار الأمم ، وتسقط الحضارات الشاهقة إلى الأبد .. ولنبدأ بحضارة اليونان ..

أرقى الأمم القديمة حضارة ، وأزهرها تمدناً في التاريخ هم أهل اليونان ، وفي عصرهم البدائي كانت المرأة في غاية من الانحطاط وسوء الحال من حيث نظرية الأخلاق والحقوق القانونية والسلوك الاجتماعي جميعاً ..

وبقي هذا السلوك قِبَلَ المرأة في أول عهدهم بالنهضة المدنية ثابتاً على حاله ، ربما تخللته تعديلات قليلة .. فإنه كان من تأثير ذيوع العلم ، وانتشار أنوار الحضارة أن ارتفعت مكانة المرأة في المجتمع ، وأصبحت أحسن حالاً وأرفع منزلة من ذي قبل ، وإن بقيت منزلتها القانونية على حالها لم تتبدل [١] ..

وظل اليونانيون على هذا الحال ، وبنوا حضارتهم المادية راسخة شامخة ، حتى نصب الشيطان لهم أشراكه ، وشهر لهم أمضى أسلحته ألا وهو المرأة .. ورويداً رويداً .. أقبل اليونانيون على الشرب من كأس الجنس حتى سكروا ..

فكانوا في احتفالاتهم الدينية يندفع فيهم الذكور لاحتضان الإناث مستميتين في الوصول إلى لذاتهم الجنسية.

وذكر بلوخ «Bloch» أن مدينة كورنيثوس وحدها كان بها أكثر من ألف كاهنة لخدمة شهوات الرجال بالقرب من معبد أفروديت يورن وأحياناً داخل المعبد نفسه [٢] ..

---

(١) الحجاب - لأبي الأعلى المودودي ص ١٢ ، ١٣ .

(٢) الزنا ومكافحته - لعمر رضا كحالة ص ٣٢ نقلاً «عن المرأة وفلسفة التناسليات» للدكتور فخري.

وكان رجال الدين يُكَرِّسون طبقات من النسوة في درجة كهنوتية للقيام بحاجة الرجال وخدمتهم ، ومن هذه الطبقات هيئة كاهنات الزهرة ، وهيئة نساء المعبد «هيروديوس » وغيرها من الهيئات التي كانت تضم جيشاً من الكاهنات في خدمة الآلهة كأفروديت ، وهي إلهة البغاء والملذات والشهوات والعهارة ، وكان يعتبرها اليونانيون إلهة الحب والجمال ..

وكان يُسمح للعذارى أن تتصارع علانية مع الرجال ، وكانت البنات ترتدي رداء مفتوحاً من خصورهن إلى أكتافهن ، وكان هذا الرداء شفافاً لا يحجب البصر عن رؤية ما وراءه ، ولذا كانت تدعى المرأة «الإسبرتية» باسم «فاينوماريدس» وهو غير لائق..

وكان يُسمح للرجل الإسبرتي أن يُعير امرأته لأي رجل معتدل القوام حسن الطلعة لتحسين النسل ونشاطه [١] ..

ثم جعلت الشهوات النفسية تتغلب على أهل اليونان ويجرف بهم تيار الغرائز البهيمية والأهواء الجامحة ، فتبوأت العاهرات والمومسات مكانة عالية في المجتمع لا نظير لها في تاريخ البشرية كله ، وأصبحت بيوت العاهرات مركزاً يؤمه سائر طبقات المجتمع ، ومرجعاً يلجأ إليه الأدباء والشعراء والفلاسفة ، فكانت شموساً في سماء العلم والأدب ، يدور حولها كواكب الفلسفة ، والأدب والشعر والتاريخ وما عداها من الفنون ..

ثم ظهرت الغريزة البهيمية في أهل اليونان بمظهر آخر هو أن انتشرت فيهم سَوْءة قوم لوط انتشاراً كاد يأتي على الأخضر واليابس ، ورحبت بها الديانة والأخلاق أيضاً [٢] ..

﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾[٣]..

وابتلع الجنس حضارة اليونان إلى الأبد.

* * *

---

(١) المرجع السابق ص ٣٢ - ٣٤. (٢) الحجاب ص ١٤ - ١٦. (٣) الإسراء : ١٦.

الجنس وسقوط الحضارة الرومانية

وإذا انتقلنا إلى الحضارة الرومانية التى ورثت حضارة اليونان ، رأيناها تُحَلِّق فى آفاق المجد إلى أن دَبَّ فيها الداء الدوي للحضارة التي سبقتها ..فظهر فيها من دعا الشباب إلى الفسق والفجور كما دعا« فرويد » فيما بعد ..

فهذا« كاتو Cato » الذي أسندت إليه الحسبة [1] الخُلُقية سنة ٨٤ قبل الميلاد ، يجهر بجواز اقتراف الفحشاء في عصر الشباب ..

وذاك« شيشرون Cisro » المصلح الشهير يرى عدم تقييد الشبان بأغلال الأخلاق المثقلة ويشير بإطلاق العنان لهم في هذا الشأن..

ولا يقتصر الأمر عليهما ، بل يأتي « ابيكتيتس Epictetus » الذي يُعَدُّ من « المتصلبين » في باب الأخلاق من فلاسفة الرواقيين « Stoks » فيقول لتلاميذه مرشداً ومعلماً : « تجنبوا معاشرة النساء قبل الزوج إن استطعتم ، ولكنه لا ينبغي أن تلوموا أحداً أو تؤنبوه إذا لم يتمكن من كبح جماح شهوته » [2] .

وقد كانت حفلاتهم صورة للحيوانية المجسدة في لباس آدمي فكان من حفلاتهم حفلة الزهرة « Flor » حيث كانت البغايا يسرحن ويمرحن في المدينة عاريات الأجسام ، ويرتكبن الفاحشة عاى قارعة الطريق . ولم تبطل هذه العادة إلا في أيام «كاتو» مع أنها كانت شائعة قبل عصره بمدة طويلة [3] ..

وقيل عن «يوليوس قيصر» ،أنه كان يغشى كل امرأة متزوجة ، و«أغسطس» الذي كانت حياته في شبابه مملوءة بممارسة البغاء ، حتى في أيام شيخوخته ، فقد عَيَّنَ أناساً ليجلبوا له الأمهات والعذارى بعد فحصهن والتأكد من جمالهن وتمام صحتهن ، وقيل عن غرام «تيبيريوس» بعد انكساره في كابري، حوادث في الفُحش حتى لم تسلم من شره غالباً أية فتاة صغيرة توفرت فيها مُسحة من الجمال ...... وكان يقابل كل معارضة من هذا القبيل بالقتل ..

---

(١) المحتسب : موظف يتولى مراقبة الأسعار ، ورعاية الآداب.

(٢) الحجاب : ص ١٩ ، ٢٠.

(٣) الزنا ومكافحته ص ٣٩.

وكان «نيرون» يزور بيوت المومسات دائماً ويأكل الطعام علناً في المحلات العمومية بين جماعة من الزانيات ، وبنى بيوتاً ، وملأها بالإناث من ربات الخلاعة والتهتك وفضّلهُنّ على غيرهن من النساء [١] ..

ولما تراخت عُرى الأخلاق وصيانة الآداب في المجتمع الروماني إلى هذا الحد، ندفع تيار العرْي والفواحش وجموح الشهوات ، فأصبحت المسارح مظاهر للخلاعة والتبرج الممقوت والعرْي المُشين. وزُينت بصور ورسوم كلها دعوة سافرة إلى الفجور والدعارة والفحشاء.

ومن جراء هذا كله راجت مهنة المومسات والداعرات ، وانجذبت إليها نساء البيوتات ، وتمادى الأمر في ذلك إلى أن اضطر القوم إلى وضع قانون خاص في عصر القيصر تائي بيريس (٤ - ٢٧ م) لمنع نساء البيوتات من احتراف مهنة المومسات وصناعتهن النافقة [٢] .. ونالت مسرحية «فلورا Flora» حظوة عظيمة لدى الروم لكونها تحتوي على سباق النساء العاريات . وكذلك انتشر استحمام الرجال والنساء في مكان واحد بمرأى من الناس ومشهد .. أما سرد المقالات الخليعة والقصص الماجنة العارية فكان شغلاً مرضياً مقبولاً لا يتحرج منه أحد ، بل الأدب الذي كان يتلقاه الناس بالقبول والرضا هو الذي يعبر عنه اليوم بالأدب المكشوف ، وهو الذي تبين فيه أحوال الحب والعناق والتقبيل سافرة غير مقنعة بحجب من المجاز والكنايات [٣] ..

وذهبت حضارة الرومان أدراج الرياح .

﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾[٤] .

* * *

---

(١) الزنا ومكافحته ص ٤٥.

(٢) النافقة : الرائجة .

(٣) الحجاب ص ٢٠ .

(٤) الأحزاب : ٦٢ .

النصرانية والعلاج الأخرق

وكرد فعل للوحل الذي غاصت فيه الأخلاق جاء رجال النصرانية ليُشخِّصُوا الداء ويصفوا الدواء فزادوا الطين بَلّةً والمريض علة .. ذلك لأنهم جاءوا بنظريات تجعل العلاقة بين الرجل والمرأة – ولو كانت شرعية – إثماً ودناءة ..

فمن نظريتهم الأولية الأساسية في هذا الشأن : أن المرأة ينبوع المعاصي ، وأصل السيئة والفجور .. وهي للرجل باب من أبواب جهنم من حيث هي مصدر تحريكه وحمله على الآثام ، ومنها انبجست عيون المصائب الإنسانية جمعاء فبحسبها ندامة وخجلاً أنها امرأة ، وينبغي أن تستحي من حسنها وجمالها ، لأنه سلاح إبليس الذي لا يوازيه سلاح من أسلحته المتنوعة ، وعليها أن تُكَفِّر ولا تنقطع عن أداء الكفارة أبداً ، لأنها هي التي قد أتت بما أتت به من الرزء والشقاء للأرض وأهلها..

ودونك ما قاله « ترتوليان Tertullion » أحد أقطاب المسيحية الأولى وأئمتها مبيناً نظرية المسيحية في المرأة يقول :« إنها مدخل للشيطان إلى نفس الإنسان. وإنها دافعة بالمرء إلى الشجرة الممنوعة[١] ، ناقضة لقانون الله ، ومُشَوِّهَةٌ لصورة الله –أي الرجل » .

وكذلك يقول «كراي سوستام Chry Sostem» الذي يُعَدُّ من كبار أولياء الديانة المسيحية في شأن المرأة :

« هي شر لا بد منه ، ووسوسة جبلية ، وآفة مرغوب فيها ، وخطر على الأسرة والبيت ، ومحبوبة فتاكة ، ورزء مطلي مُمَوّه ».

---

(١) ليس صحيحاً أن حواء هي التي دفعت آدم إلى الأكل من الشجرة ، وإنما كان ذلك بإغواء الشيطان كما نص على ذلك القرآن..

أما نظريتهم الثانية في باب النساء ، فخلاصتها أن العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة هي نجس في نفسها يجب أن تَجتنب ، ولو كانت عن طريق نكاح وعقد رسمي مشروع [١] ..

وقد روى « ليكى » مؤلف كتاب « تاريخ الأخلاق في أوروبا » عن الرهبان ما لايتسع المجال لذكره ، وأنهم كانوا يفرون من ظل النساء ويتأثمون من قربهن والاجتماع بهن ، وكانوا يعتقدون أن مصادفتهن في الطريق والتحدث إليهن ولو كُنّ أمهاتاً وأزواجاً أو شقيقات تُحبط أعمالهم وجهودهم الروحية [٢] ..

وقد بلغ من تأثير هذا التصور الرهبني أن تَكدَّر صفو ما بين أفراد الأسرة والعائلة من الأواصر ، وحتى ما بين الأم والولد منها ، إذ أمسى كل قرابة وكل سبب ناتج عن عقد الزواج يُعَدُّ إثماً وشيئاً نجساً [٣] ..

وكان الكبت الذي وَلّدَ الانفجار الجنسي المروع .. ورويداً رويداً جرف رجال الكنيسة وحُرّاس الرهبانية في تياره الهادر نتيجة طبيعية لقهر غرائز الإنسان وفطرته التي فطره الله عليها ..

يقول « ليكي » :« إن المدن التي ظهر فيها أكثر الزُهّاد كانت أسبق المدن في الخلاعة والفجور » [٤] .

وقال « Mezeray » : « كان يقتني معظم المطارنة والآباء في فرنسا خلال القرن الثامن للميلاد حواجب أو سراري[٥] يمارسون معهن الحياة الجنسية وذلك بسبب عدم زواجهم .. وظل هؤلاء الكهنة على هذا الحال في القرن الســــادس عشر

---

(١) الحجاب ص ٢١ ، ٢٢.

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، لأبي الحسن الندوي ص ١٨٨.

(٣) الحجاب ص ٢٣.

(٤) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٨٨.

(٥) السرية : الجارية المملوكة وجمعها : سراري

حتى قامت الحركة الإصلاحية الدينية في ذلك القرن ، فشنت حملة عظيمة على عُزوبة الكهنة وعدم زواجهم واتخاذهم الأخدان ......

وبسبب عزوبة الكهنة ونقصان عدد الرجال الذين تركوا زوجاتهم للالتحاق بالحروب الصليبية كل ذلك كان من الدواعي التي دعت عدداً كبيراً من النساء لأن يبقين بعيدات عن أزواجهن لا يمارسن الحياة الزوجية ، مما دعا كثيراً من رجال الإكليروس بأن يمارسوا الحياة الجنسية مع النسوة التعيسات ، حتى أن بعض سكان « Murybourg » في أواخر القرن الخامس عشر للميلاد رفضوا بأن يلتحقوا بالحروب لأنهم لا يأمنون على نسائهم من زيارة الكهنة !!

وأصيب كثير من رجال الكنيسة بمرض الزهري ، وقد انتشر هذا المرض العضال في أوروبا بواسطة نوتية كريستوف كولومبس »[1].

وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ، فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾[2].

* * *

(١) الزنا ص : ٦٥ ، ٦٦.

(٢) الحديد : ٢٧.

الجنس وهزيمة فرنسا في الحرب العالمية الثانية

ننتقل الآن إلى فرنسا لنقرأ صفحة أخرى من تاريخ الانحلال الذي يُسقط الأمم والحضارات .

في عام ١٧٩٩ ألغيت في فرنسا جميع القوانين التي تتعلق بالبغاء ، وحل محلها قانون أصدرته الجمهورية الفرنسية ، وصار ساري المفعول في جميع بلدان الجمهورية وقدأطلق الحرية لممارسة الاتصال الجنسي طوعاً لا كرهاً ..

وعندما أصبحت ممارسة الحياة الجنسية تجارة علنية وحرة .. وكان من جَرَّاء ذلك أن انتشرت الرذائل انتشاراً عظيماً في ربوع الجمهورية ، وأصبحت باريس مسرحا لتعاطي الفحشاء وشوارعها تعج بالمومسات حتي أصبح من الصعب المحافظة علي الحشمة والعفة أن يعيشا في ذلك الجو المشحون بالفُحش والرذيلة...

وكان عدد مومسات باريس في أوائل القرن التاسع عشر نحو ٤٥٠٠ مومسة ، وهؤلاء كُنَّ على الغالب من سكان باريس والمناطق المجاورة لها[١].
ومن العوائد والأصول المتبعة في فرنسا حتى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ، أن الحكومة كانت تأخذ رسماً من المومسات ، فكل صاحبة ماخور عليها أن تدفع اثني عشر فرنكاً شهرياً ، وجزاء نقديا فرنكان علي كل مومسة تتأخر عن المدة المعينة لزيارة الصيدلية ، وجميع هذه الواردات تختلف من ٧٥ ألف فرنك الي ٩٠ ألف فرنك وقد ألغيت ..

ولقد كان عدد النساء اللاتي يحترفن البغاء قبل الحرب العالمية الأولى نصف مليون حسبما أعلنه « مسيو بيولو M. Bulo » محامي فرنسا العام في تقريره[٢]..

---

(١) الزنا ص .١٩٠ ، ١٩١.

(٢) الحجاب ص .٨.

ثم لم يقف أمر هذه الفاحشة على دور البغاء ومكامن الدعارة المعروفة ، بل هو قد جاوزها إلى الفنادق والمقاهي والمراقص، فيجري فيها البغاء علنا وعلي مشهد من العالم وربما تبلغ البهيمية في القائمين بها أقصى حدود الظلم والقساوة، فيقال : إن محافظ بلدية في شرقي فرنسا اضطر إلى التدخل في الأمر سنة ١٩١٢ لإنجاء فتاة كانت قد فرغت في يومها من سبعة وأربعين واردا كان عدد منهم بعد بالباب يترقبون !! [١] .

ونتيجة حتمية لهذا الانحلال المروع كان الجنود يهربون من المعسكرات التي أعدت للقتال في الحرب العالمية الأولى ، وكان رؤساء الفرق ينفذون في الهاربين أحكام الإعدام فرادى وجماعات، ولسوء حظ الألمان أنهم لم يكونوا يعلمون بهذه الحقيقة فوافقوا علي شروط الحلفاء ..

ومرت أزمة الفرنسيين في هذه المرة بسلام ، ولكن الدرس بعد ذلك كان قاسياً..

والمقام هنا لايتسع لكل ما نريد أن نقوله أو نعرضه ، ولكننا نقدم لك صوراً تستطيع من خلالها أن تتبين إلي أين المصير ؟. . مصير الغرب المنحل والشرق المفتون ..

في ٣ مايو سنة ١٩١٩ نشر قائد لبعض الفرق العسكرية إعلاناً للجنود التابعين له ، فيه : « قد بلغنا أن عامة الرجَّالة والخيَّالة يشتكون من تزاحم رجال البنادق علي دور البغاء الجندية ، فيقولون : إنهم قد كانوا يستبِّدون بها لا يدعون غيرهم يتمتعون بها، وإن مكتب القيادة لا يزال يسعي لزيادة عدد النساء ، حتى يكفين لجميع الجنود . ولكن قبل أن يتم ذلك نوصي رجال البنادق ألا يطيلوا مكثهم داخل الدور ، ويتعجَّلوا بقضاء شهواتهم ما استطاعوا .. ».

وظلت فرنسا في هذا الجو المشحون بالجنون الجنسي - تستعد للحرب العالمية

---

(١) المرجع السابق ص ٧٨.

الثانية عشرين عاماً متواصله تُجَيِّشُ الجيوش ، وتُعَدُّ العتـاد ، وتُجَـهِّزُ أحدث ما يمكن أن يصل إليه العقل البشري في عالم الدمار ... وبنت الخط الشهير «خط ماجينو» وهو من الخطوط الدفاعية الحصينة ..

أتدرون - ياشباب - كم أخذ هذا الإعداد والاستعداد من جيوش هتلر ؟ سبعة عشر يوماً ، ورفعت فرنسا يديها مُسَلِّمَةً للألمان وغاصت كرامتها في الوحل كما غاص مجتمعها في بحار الجنس ..

وارتفعت الأصوات بعد ذلك تصرخ وتولول .. ولكن .. بعد أن سبق السيف العذل[1]..

وقام المارشال «بيتان» رئيس فرنسا في ذلك الوقت يلقى على الأمة الفرنسية بياناً عقب الهزيمة المنكرة يقول فيه :« لقد جاءت الهزيمة من الانحلال ، فدمرت روح الشهوات ما شيدته روح التضحية ، وإني أدعوكم أول كل شيء إلى بناء أخلاقي » !!

وجاء في كتاب أسباب انهيار فرنسا في الحرب العالمية الثانية لـ «أندريه موروا» قوله : « زنوا خطاياكم فإنها ثقيلة في الميزان ، إنكم نبذتم الفضيلة وكل المبادىء الروحية ، ولم تريدوا أطفالاً فهجرتم حياة الأسرة وانطلقتم وراء الشهوات ، تطلبونها في كل مكـان ، فانظروا إلى مصير قادتكـم إلية الشهوات ».

وشربت فرنسا من نفس الكأس الذي شربت منه الأمم المنحلة قبلها.

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾[2]

* * *

(١) مثل يضرب لفوات الأمر الذي لا يمكن تداركه.

(٢) هود : ١١٧.

أسباب الانفجار الجنسي في أوروبا

هناك عدة عوامل مشتركة أدّت إلى هذا التسيب الجنسي المروع الذي نراه اليوم في دول الغرب والذي سيبتلع الحضارة الشاهقة لتلحق بالحضارات الوثنية التي سبقتها على نفس الطريق ، ومن هذه العوامل :

أولاً : قهر الكنيسة للغرائز الطبيعية في الإنسان ودعوتها إلى استقذار العمل الجنسي وأنه يحبط الجهود الروحية ، واعتبار المرأة ينبوع المعاصي وأصل السيئة والفجور ..

وهذا القهر - كما بينا - قد أتى برد فعل مباشر جرف معه رجال الكنيسة حتى صار الباباوات في مكانة من الترف وإرضاء الشهوات يحسدهم عليها الملوك والأمراء كما اعترف بذلك الراهب « جروم »..

ثانياً : اصطدام العلم بالكنيسة وخرافاتها حيث كانت وهي في قمة هيمنتها على الحياة تستذل الجماهير وتعمل على تسخيرهم مادياً وقهرهم فكرياً ، وتفرض على المجتمع المسيحي أفكاراً معينة يجب على الجميع أن يؤمن بها وهو مغمض العينين ، ثم ظهور مهزلة صكوك الغفران ..

فلما نشر الشرق الإسلامي أنوار علمه على أوروبا واستيقظت أوروبا من سُباتها وتحرَّر العقل الأوروبي من قيوده ، قام ليفكر ويستعمل المنهج التجريبي الذي تعلّمه من العلماء المسلمين ليكتشف الكون من حوله .. عندئذ قامت الكنيسة وأعلنت الحرب الضروس على العلماء والمفكرين وأنشأت لهم محاكم التفتيش[1] التي قتلت وحرقت بالآلاف .. ولكن نهاية الجولة كانت في صالح

---

(١) قدر المؤرخون عدد الذين حكمت عليهم هذه المحاكم بالإعدام بنحو ثلثمائة ألف ، أحرق منهم اثنان وثلاثون ألفاً أحياء .. وكان من بين هؤلاء الضحايا عالما الطبيعة (برونو) و (جاليليو) لأنه قال بدوران الأرض حول الشمس ..

العلم والعلماء ، وكان رد الفعل الرهيب على الكنيسة بتنحيتها إلى الأبد عن ميدان الحياة ، وفصل الدين عن الدولة ، وظهور الشيوعية والعلمانية ، واندفاع الجماهير الغفيرة إلى الكفر بجميع الأديان جملة وتفصيلاً حيث اعتبروا أن المسيحية تمثل كل الأديان .. وانفجرت أوروبا كالقنبلة لا تلوي على شيء من فضيلة أو شرف أو خلق أو دين .. وكان من الشعارات التي رفعتها الثورة الفرنسية في هذا المجال : « اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس ».

ثالثاً : ظهور « سيجموند فرويد » اليهودي الذي وجد الجو مناسباً والظروف مواتية ، فوضع على النار حطباً لتأتي على كل شيء .. وإليك معالم بارزة عن أفكاره التي بنى عليها نظريته الجنسية :

(أ) إن كبت الطاقة الجنسية يؤدي إلى الأمراض النفسية ، وإن الكبت راجع إلى استقذار الدافع الغريزي ..

(ب) لا يحقق الفرد ذاته بغير الإشباع الجنسي ، وكل قيد من دين أو خَلُق أو مجتمع أو تقاليد هو قيد باطل ومدمر لطاقات الإنسان وهو كبت غيرمشروع.

(جـ) ليست الغيرة إلا عادة حيوانية وحشية ، وخير للمرأة أن تتزوج رجلاً خائناً عربيداً من أن تتزوج رجلاً غيوراً ..

(د) إن الطفل يتبول بلذة جنسية ، ويرضع ثدي أمه أيضاً بلذة جنسية ..

(هـ) الأولاد الذكور يحبون أمهاتهم بدافع جنسي (عقدة أوديب) ..

(و) والإناث يحببن آباءهن بدافع جنسي (عقدة إليكترا).

(ز) الأنثى تحقد على أخيها الذكر لأنها لا تملك مثل أعضائه (عقدة الذكورية) ..

(ح) وأخيراً ، فإن الذي يُحَرِّك البشر جميعاً في هذه الحياة هو غريزة الجنس.

وهكذا الإنسان في نظريات « فرويد » حيوان خالص الحيوانية ، وهو بنظريته هذه يشارك في عملية هدم القيم الإنسانية التي شارك فيها « دارون »

و«ماركس» و «سارتر» وغيرهم من أصحاب النظريات التي رَوَّجَ لها اليهود في العالم ، رغم أنها فروض خيالية ، وشطحات فكرية ..

فالبيت في نظر عميد مدرسة التحليل النفسي ما هو إلا غابة تصطرع فيها الحيوانات .. شغلها الشاغل هو الجنس !!

فالطفل الصغير يلتذ بأمه جنسياً ، والأولاد الذكور عاطفتهم نحو أمهم عاطفة جنسية ، وكذلك الإناث يعشقن آبائهن بنفس الدافع .. والفتاة تحقد على أخيها لأنها لا تملك مثل أعضائه .

وكل البشر من لَدُنْ آدم - أنبياء وصديقين وشهداء وصالحين - كل همهم ومبلغ عملهم في الحياة : هو الجنس ..

والغيرة في نظر العالم الكبير (موضة) قديمة وأنها ليس لها ما يبررها وأنها دائماً في كل حالة حماقة ووحشية موروثة ،والمفروض في الإنسان السَوِّي على مذهب (الخواجة) ألا يفزع ولا يرتاع إذا وجد زوجته - مثلا - في أحضان رجل ما ، وإلا فهو جامد ورجعي وحيوان وحشي .

وللأسف فإنه حتى هذه اللحظة نجد كثيراً من أساتذة علم النفس عندنا يعولون في كتبهم وأبحاثهم على أساطير «فرويد» وعقده ، رغم أن نظريته في الغرب نفسه أصبحت في متحف الأفكار الأثرية بل إنها تعرضت للنقد والهجوم من أتباع «فرويد» نفسه ومن هؤلاء «ادلر» و «يونج» وهما من الأعضاء المؤسسين في مدرسة التحليل النفسي ، وذلك فضلاً عن قيام مجموعة من علماء أوروبا المحدثين ، جنَّدوا أنفسهم لمهاجمة أعمال «فرويد» ونظرياته الجنسية .

يقول الدكتور «الكسيس كاريل» في كتابه «الإنسان ذلك المجهول» : «ولقد أكد «فرويد» عن حق الأهمية القصوى للدوافع الجنسية في وجوه نشاط الشعور. ومع ذلك فإن ملاحظاته تتعلق بالمرضى على الأخص . ومن ثَمَّ يجب ألاّ تُعَمَّم استنتاجاته بحيث تشمل الأشخاص العاديين وبخاصة أولئك الذين وُهِبوا جهازاً عصبياً قوياً وسيطرة على أنفسهم .. وفي حين يصبح الضعفاء ،

والمعتلو الأعصاب غير المتزنين ، أكثر شذوذاً حينما تُكَبّت شهواتهم الجنسية ، فإن الأقوياء يصيرون أكثر قوة بممارسة هذا الشكل من الزهد».

ويدعو الدكتور «ناتان كلابين» إلى نبذ نظرية «فرويد» في العلاج النفسي والعقلي.. فيقول : « إن هذه النظرية ، ليست إلا معاول هدم لعقول الشباب ومخدر مميت لنفوس أبناء الشعب» .

رابعاً : قيام اليهود بنشاط منظم على مستوى العالم يَرَوِّج للمذاهب الهدامة والنظريات الزائفة تحقيقاً للبروتوكولات الصهيونية التي تُخَطِّط للسيطرة الشاملة على العالم ، حتى يصير اليهود في النهاية هم الملوك المتوجين على قارات الدنيا الست ..

ولا بد لنا قبل أن نعرض بعض مخططاتهم في هذا المجال أن نُحَذِّر من الخطر اليهودي الذي يوشك على المدى القريب أو البعيد أن يترجم مخططاته عملياً في قلب العالم الإسلامي كما نَفَذّهامن قبل في بعض دول أوروبا وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية ..

فكل المعاني السافلة من غـــدر وخســـة ولؤم ومكر وخداع ونقض للعهود ،كل ذلك مرادف لكلمة يهود ، ولا تحسبن أن هذا إفتراء عليهم ، بل هي حقيقة سجلتها كل الكتب السماوية المحرَّفة وغير المحرَّفة وجميع كتب التاريخ القديم منها والحديث .

وإننى أرفع راية الخطر وأطلق صفارات الإنذار فالخطر اليهودي اليوم أشد وأعتى على الإسلام والمسلمين منه في أي وقت مضى ، حيث أصبحوا في منطقة الخطر التي يستطيعون منها تسديد أهدافهم وتحقيق آمالهم دون أن يشعر بهم أحد !!

واليهود ليسوا بهذه السذاجة التي يتخيلها بعض الطيبين من المسلمين ..إننا جميعاً نذكر ما درسناه في كتب التاريخ عن «هرتزل» وعن أول مؤتمر عقده اليهود في مدينة «بال» بسويسرا سنة ١٨٩٧، حيث وضعوا البرامج والمخططات التي بمقتضاها تصير فلسطين الإسلامية دولة يهودية ..

ولقد مات «تيودور هرتزل» في عام ١٩٠٤ ، ولعل الجيل اليهودي الذي حضر المؤتمر لم يشهد قيام دولة إسرائيل في عام ١٩٤٨..

ألم أقل لكم إنهم يخططون ويرتبون لمئات السنين في حين أن بعضنا - وللأسف - لا يرون تحت أقدامهم !!

وهؤلاء هم اليهود من خلال كتبهم المقدسة :

- العن رؤساء الأديان سوى اليهود ثلاث مرات كل يوم ..

- سأل إسرائيل إلهه قائلاً : لماذا خلقت خلقاً سوى شعبك المختار ؟ فأجابه قائلاً: لتركبوا ظهورهم ، وتمتصوا دماءهم ، وتحرقوا أخضرهم ، وتلوثوا طاهرهم، وتهدموا عامرهم ..

- تتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح ، بأنها جزء من الله ، كما أن الابن جزء من والده..

- إن الله ليس معصوماً من الطيش ولا من الغضب ، وإنه محتاج دائماً إلى حاخاماتهم ، وإنه يبكي ويندم وأحياناً يلطم خديه ، ويسمع له زئير من أجل الشعب المختار إسرائيل ..

- إن الله لا يغفر ذنباً ليهودي ، يرد للأممي ماله المفقود ..

- إن الزنا بغير اليهود ذكوراً أو إناثاً لا عقاب عليه ،لأن الأجانب غير اليهود من نسل الحيوانات.

هذا دينهم ...

وساذج من يظن أن هذه الأفكارغير قابلة للتنفيذ ، فاليهود عصابة لا تجمعها إلا العقيدة اليهودية ، العقيدة التي لم ينفكوا لحظة عن العمل بما جاء فيها ، ولو تحدوا بذلك العالمين ونالوا سخط الناس أجمعين ..

وهذه فقرات من بروتوكولاتهم التي وضعها رؤوس اليهود ليحققوا ما جاء في كتبهم من ركوب الظهور وامتصاص الدماء :

جاء في البروتوكول الثاني :

« ولا تظنوا أن أقوالنا هذه ثرثرة جوفاء .. تفكروا واذكروا نجاح «داروين» و«ماركس» ، و«نيتشة» ، فنحن الذين أوجدناهم ، وتعلموا ما كان لسموم هذه المذاهب من أثر في أخلاق الجوييم[1]. وعقولهم »..

وجاء في البروتوكول التاسع :

« لقد أفسدنا شباب الجوييم وآدابه بما لَقَنَّاه إياه من المبادىء الهدامة والنظريات الزائفة ، وحصلنا على نتائج باهرة من غير أن نمس القانون السائد نفسه ».

وفي البروتوكول الثالث عشر :

« سنعمل للحيلولة دون قيام الأغيار بأي تفكير حقيقي نابع عن ذاتهم على توجيه اهتمامهم إلى مجالات اللهو والألعاب والتسلية والإثارة الجنسية والقصور الشعبية ، ومثل هذا الاهتمام سيصرف عقولهم تماماً عن القضايا التي نجد أنفسنا مضطرين إلى مكافحتهم فيها »..

وجاء في البروتوكول الرابع عشر :

« وقد نشرنا في بلدان تَدَّعي الرقي أدباً مُنحلاً دنساً تغثى منه النفس ، وسنوالي بعد قيام مملكتنا لزمن يسير تشجيعه رجاء أن نُجَلّي ما بينه وبين أدبنا من فوارق من المضمون النقي المحمود ، وسيعد شيوخنا المهينون قيادة الجوييم خطباً وبرامج ومذكرات ومقالات تؤثر في عقول الجوييم وتقودهم إلى معارف وآداب تصوغهم الصياغة التي نريدها »[2].

وهذه صور فاضحة لإخلاص اليهود لتحقيق هذه المخططات التي وضعها رؤوس الأفاعي :

---

(١) الجوييم : غير اليهود .

(٢) راجع بروتوكولات صهيون ، ترجمة الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ، واليهودي العالمي ، لهنري فورد.

في أعقاب هزيمة اليهود في حرب رمضان ، وقفت الممثلة الصهيونية «اليزابث تايلور» في «هيلتون امستردام» بهولندا خلال مزاد خيري لصالح ضحايا إسرائيل في حرب رمضان ، وعرضت عقداً صغيراً من عقودها للمزايدة ، فلم يأت بربع ثمنه فتصرخ في المزايدين وتتهمهم بالجبن .. ثم تعرض شفتيها لقبلة ثمنها ألف وخمسمائة دولار .. من أجل من ؟ من أجل إسرائيل ..

وقبل ذلك بقليل قام الهر « يواخيم دريش » وهو يهودي ألماني ، عمره ستة وثلاثون عاماً يصدر مجلة « سانكت باولي تسايتونج » في همبورج قام بإنشاء حزب سياسي جديد أسماه « حزب الجنس » وشعار هذا الحزب هو المطالبة بالحرية الجنسية للجميع .. وتدريس العملية الجنسية للأولاد والبنات عملياً وعلى الطبيعة في سن التاسعة ، وإباحة الزواج المشاعي - وهو أن يتزوج جماعة من الرجال بجماعة من النساء ، ويتبادلون الزوجات فيما بينهم - وإباحة زواج الرجل الشاذ بالرجل الشاذ ، وزواج المرأة الشاذة بالمرأة الشاذة ، والنظر إلى الخيانة الزوجية على أنها الأمر العادي والطبيعي والمأمون .. ودستور الحزب يهدف إلى جعل حبوب منع الحمل والإجهاض حقوقاً مشروعة ، والحل السياسي لأزمة العالم في نظر الحزب هو « الحب بدل الحرب » أي الحب الجنسي على طريقة الحيوانات. .

ومجلة الهر « يواخيم » تبيع مليون نسخة ، وهناك ثلاثة آلاف ألماني وألمانية يدفع كل واحد منهم عشرة ماركات اشتراكاً شهرياً رسم ولاء وانضمام لهذا الحزب.

وسكرتيرة الهر « يواخيم » فتاة جميلة تجلس في المكتب عارية وتستقبل الزوار عارية على الدوام.

وعندما رُفعت على المجلة قضية دعارة .. ذهب الهر « يواخيم » إلى المحكمة محمولاً على أكتاف ست فتيات عاريات الصدور[١] .

من أجل مَنْ هذا ؟ من أجل تحقيق مخططات اليهود بإغراق العالم في الإثارة والوحل الجنسي حتى يتمكنوا من تحقيق ما خططوا له من قبل .

---

(١) انظر الشيطان يحكم - للدكتور مصطفى محمود.

والمقام هنا لا يتسع لما نريد أن نحيط به ، ولكننا ندعوك إلى قراءة كتاب «اليهودي العالمي» تعريب الأستاذ خيري حماد .. هذا الكتاب أعده المليونير «هنري فورد » ملك السيارات الذي أحس وهو في بداية طريقه بالنفوذ اليهودي يسعى إلى تحطيمه ، ويحاول أن يسد عليه الطريق ، فقرر أن يحارب خصومه بسلاحهم ، فاستقدم لفيفاً من خيرة رجال البحث العلمي من الأمريكيين ، ليقوموا بدراسات دقيقة وشاملة عن نفوذ اليهودية العالمية .. فكان هذا الكتاب الذي أثار رد فعل عنيف عند اليهود ، فقاموا بجمعه من الأسواق فور صدوره ، وتعرض بسببه المليونير وزوجته وأسرته للتهديد والإرهاب والوعيد مما اضطره إلى وقف نشره وتوزيعه ، وأصبحت النسخ التي بيعت من الكتاب فور صدورها نادرة للغاية ، حتى إن النسخة الواحدة منه قد بيعت - كما قيل - بثمانمائة دولار..

وقد عَرّى هذا الكتاب الأساليب التي يتبعها اليهودي العالمي في تنفيذ البروتوكولات حرفياً وقد قال « المستر فورد » نفسه : « إن البيان الوحيد الذي يهمني الإفضاء به فيما يتعلق بهذه التعاليم هو أنها تتفق مع ما وقع .. إنها تتفق مع أوضاع العالم حتى اليوم بل وتتفق مع الوضع اليوم ».

وقال أيضاً : « على الشعب الأمريكي أن يدرك ولو مرة واحدة أن الانحلال لطبيعي ليس هو الشيء الذي أصابه بل التهديم المدروس والمخطط ، وإذا ماأدرك هذه الحقيقة نجا واطمأن ».

وقد أظهر الكتاب بوضوح كيف تولى اليهود نشر الإلحاد والإباحية والدعارة في العالم ، وكيف سيطر اليهود على المسرح والسينما والصحف والإذاعة والتليفزيون ودور النشر وجميع وسائل الإعلام ، وكيف احتكروا تجارة الخمور في العالم ، وكيف أفسدوا الرياضة وحوّلوها إلى نوع من أنواع القمار ... ويخلص الكتاب إلى القول بأن معرفة حقيقة اليهود هي الطريق الوحيد لتحرير العالم من هذا الكابوس المخيف ..

هؤلاء هم اليهود ، وفي اليوم الذي يتخلون فيه عن إفسادهم في الأرض يختل نظام الكون ، ويقف الفلك الدوار ، وتفقد الأرض جاذبيتها.

وهكذا كان اليهود وسيكونون من أبرز العوامل التي تسعر نار الجنس لتلتهم العالم بأسره ، وليس الغرب وحده ، وذلك إن لم تتنبه دول العالم إلى هذا السرطان الذي يعمل في الخفاء بتخطيط مدروس ...

وفي نهاية حديثنا عن أولاد الأفاعي نسوق (للحالمين) آيات من كتاب الله عز وجل :

قال تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍ وَقَولِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤمِنُونَ إِلا قَلِيلاً ﴾[1].

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ، يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ ﴾[2].

﴿ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ ﴾[3].

﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً ﴾[4].

* * *

(١) النساء : ١٥٥.

(٢) المائدة : ١٣.

(٣) الأنفال : ٥٦.

(٤) النساء : ٨٧.

نافذة على الانحلال الجنسي في دول الغرب

لا أستطيع في هذا المجال المحدود أن أعرض عليك الصور الحيوانية للجنس في دول الغرب لأن ذلك يحتاج إلى مجلدات ، ولكنني سأجتزىء بعرض الأحداث والأخبار والإحصاءات التي يؤكدها الواقع المشاهد ، ذلك حتى نستيقظ من سباتنا ، وننتبه من غفلتنا لنقطع الطريق على الذين يعبدون الغرب في ديار الإسلام والذين يُصَلُّون ووجههم شطر أوروبا من أصحاب الدعوات الضالة والمسالك المشبوهة ، والذين سقطوا في بداية حياتهم فانتابتهم مركبات النقص فهم دائماً يجتهدون في تبرير سقوطهم بدعواتهم إلى الانحلال وتعرية السوءات والتمرغ في تراب الغرب المقدس ..

● الشذوذ الجنسي جريمة مشروعة :

نشرت جريدة الجمهورية المصرية في (٢٤من ربيع الآخر سنة ١٣٧٧ هـ) تحت عنوان «الشذوذ الجنسي عمل مشروع يوافق عليه مجلس الكنائس الإنجليزية ».

قالت الصحيفة : « وافق مجلس الكنائس الإنجليرية بعد مناقشات حامية على التوصية التي كانت تقدمت بها إحدى اللجان الحكومية باعتبار الشذوذ الجنسي الذي يحدث بين البالغين وبرضاهم عملاً مشروعاً لا يعاقب عليه القانون، وكان كبير أساقفة كانتربري «جوفوي نيشر» هو الذي قاد الحملة لتأييد هذه التوصية التي تمت الموافقة عليها في مجلس الكنائس بأغلبية ١٥٥ صوتاً ضد ١٣٨ صوتاً .

وقال كبير الأساقفة : « إنه كان يشعر بالقلق لما يصيب الشخص المصاب بالشذوذ الجنسي من ظلم القانون في حين يستطيع أي شخص آخر أن يُدمِّر أسرة يُشرِّدها دون أي عقاب » !!

* * *

● المعاشرة الجنسية قبل الزواج :

ونشرت صحيفة « هيرالد تريبيون » تحت عنوان « حمل غير المتزوجات يتزايد في الولايات المتحدة الأمريكية ».

تقول الصحيفة : « إن حمل البنات غير المتزوجات ، وفي غير أمل لهن في الزواج بمن حملن منه يتزايد في الولايات المتحدة الأمريكية .. وإن متوسط السن للأمهات غير المتزوجات هو السادسة عشرة من العمر »[١]..

وتحدثت الدكتورة « Bermiceg Sachs » في ندوة طبية فذكرت أن ستين في المائه من البنات اللاتي يعقدن قرانهن الآن في سن السابعة عشرة فأقل ...حوامل يوم زفافهن[٢].

وكتبت فتاة إلى جريدة «الديلى نيوز» التي تصدرفي نيويورك تسأل : «صديقي الشاب يريد الزواج فوراً وأنا مترددة لأني لم أصاحب غيره ».

وتردمحررة باب شئون المرأة «دوريس بلاك »قائلة:معك حق ..يجب أن تتأكدي أولا من مشاعرك ،خطأ أن تتزوجي أول رجل تلتقين به في حياتك ، فربما تندمين ، أو ربما تظلين طول حياتك تتساءلين عما فقدته من سوء حظك ..إن هذا الشاب لا يفهم الحياة وهذا يدل على أن عقليته جامدة ومن الصعب التعامل معه بعد الزواج ..انظري إلى ما بدا منه حتى الآن »[٣].

* * *

(١) عدد ١٦ مارس ١٩٦٦.

(٢) عن الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر للدكتور محمد البهي.

(٣) دفاع عن الزوجات للصحافي محسن محمد ص ٣٦.

● آخر صيحة فى عالم الطب النفسي في أمريكا :

في أحد أعداد مجلة « علم النفس » قام اثنان من أساتذة جامعة كاليفورنيا بدراسة عن ٤٦٠ طبيباً نفسياً .. قال البحث : إن واحداً من ٢٠ من هؤلاء الأطباء لهم علاقات جنسية بمريضاتهم ، وقال البحث : إن هذه العلاقة تعتبر جزءاً من العلاج .. وإن المرأة هي التي تقوم بالخطوة الأولى[١].

* * *

● ونواد لتبادل الزوجات :

نشرت صحيفة « News Of the World » تحت عنوان : « Raia on wife Swop Club » : « كبسة لنادي مبادلة الزوجات » لمراسلها الخاص بنيويورك.. ننقل منها ما يلي :

« يذكر أحد رجال الشرطة : بأن تبادل الزوجات في أمريكا يتزايد يوماً بعد يوم . ولكن ما وجد في هذا النادي يكشف لأول مرة عن مدى انتشاره على مستوى الولايات المتحدة كلها ، ومستوى الأمة الأمريكية في أي مكان على أراضيها ..

وكثير من الأزواج والزوجات في أمريكا .. تغلب على العلاقة بينهما نوع من السآمة والملل ، يفضي إلى الرغبة في تغيير كل منهما لصاحبه فترة من الزمن : مدة ليلة .. أو لمدة نهاية الأسبوع .. أو لمدة الإجازة السنوية كلها ....

والنادي في « أتلانتا » يُقدِّم لأعضائه كل شيء ، والرسم السنوي للعضوية ما يقرب من خمسة جنيهات إسترليني .ومن بين أعضائه شخصيات عديدة مرموقة في المجتمع الأمريكي سواء في الأوساط السياسية ، أو بين نجوم المسرح والسينما في هوليود ..

---

(١) المرجع السابق ص ٣٥ ، ٣٦.

وتحدث شخص آخر من رجال الشرطة الرسميين ، فقال : إن هذا النادي مستوف لجميع الإمكانات ، كناد .. وإن سجلاته تُظهر أن عدداً من الأزواج والزوجات يستخدم «فلوريدا» كمكان للالتقاء و تمضية إجازة تسطع في أيامها الشمس الدافئة ، مع زوجة (طازة) !

وقد وقفنا على اللعبة التى يمارسها أعضاء النادي في اجتماعات آخر الأسبوع لتحقيق تبادل الزوجات وهي لعبة (الغماية).

يَعْصِبُ الرجل عينيه ، ومن تصطادها يده من النساء تصير حظيته في هذه الليلة .....

وما تقوم به الشرطة من مثل هذه المفاجآت لا يوقف العلاقات الجنسية غير المشروعة .. مثل ما يوقف شرب الخمر عن طريق منعها »[1].

* * *

• التلقيح الصناعي :

ونشرت جريدة « نيوز أوف ذي وورلد » تحت عنوان : « رجل أنبوبة اختبار يُنَدِّد بالأطباء » .. ذكر ما يلي :

« إن أحد الأطباء – وهو مسئول عن ولادة اثنى عشر طفلاً كل عام بوساطة التلقيح الصناعي عن طريق المتطوعين – يَدَّعى : أن هناك أطباء يرون استخدام طريقة التلقيح الصناعي بدون تمييز .

وهؤلاء – يقول الدكتور «برنارد ساندلر» – هم المسئولون عن سوء سمعة التلقيح الصناعي عن طريق المتطوعين ....

وقد كشف عن أن بعض الحالات نجحت إلى درجة أن سيدات في بريطانيا أنجبن ثلاثة أطفال من متطوع واحد بعينه ..

---

(١) انظر الفكر الإسلامي – مشكلات الأسرة والتكافل ص ١٦٧ وما بعدها.

وتنقل المجلة الألمانية «Constanze» في عددها رقم ٢٨ في ٦ يوليو سنة ١٩٦٥ (ص ٤٦) : أنه في مدينة صغيرة قام أحد الأطباء بعملية نقل السائل المنوي من رجل واحد إلى ثماني سيـــدات فحمـــلن وأنجبـــن جميعاً أولاداً على قيد الحيـــاة [١] ..

* * *

• وأرقام قياسية في الزنا :

قال شاب إيطالي اسمه «ماريو نيلاكس» : إنه يعتقد أنه حقق الرقم القياسي العالمي في الخيانة الزوجية ..

وقال ماريو (٣٠ عاماً) وهو يُدلي بتصريح بهذا المعنى إلى إحدى الصحف الإيطالية : هذا شيء جديد عليكم ، ولكنه حقيقة - أنا خنت زوجتي حتى الآن أكثر من ٤٨٠ مرة خلال ستة أشهر فقط وهي تعرف ذلك ..

وأشار إلى أنه بعث برسائل إلى مكاتب تسجيل الأرقام القياسية في العالم لتدوين اسمه وتجربته [٢] .

* * *

• ومجلس العموم أيضاً :

قالت نقيبة المؤمسات البريطانيات (السيدة) هيلين باكنجهام : إن الضغط الذي تمارسه نقابتها على مجلس العموم لا تستطيع ممارسته أية نقابة أخرى ، فهي تستطيع الكشف - في أي وقت - عن أسماء الوزراء وأعضاء مجلس العموم وحتى رجال الدين (المسيحي) الذين يتعاملون مع زميلاتها في النقابة ، والذي يؤكد كلام النقيبة أن المومسات طالبن بتنظيم مهنتهن ، وبتعديل قانون كان معمولاً به

---

(١) انظر الفكر الاسلامي - مشكلات الأسرة والتكافل ص ١٦٠ ، ١٦١.

(٢) الشرق الأوسط العدد رقم ٣٦٧ في ٢٣ من شوال سنة ١٣٩٩ هـ .

منذ أكثر من عشرين عاماً ، فأقر مجلس العموم التعديلات المطلوبة بأكثرية ١٣٠ صوتاً في أقل من ساعتين »[١] .

*   *   *

• الجنس أربح أنواع التجارة :

وفي أمريكا بلغ عدد الشركات الجنسية التي تتخذ من المرأة بضاعة رائجة ما يقرب من مائتين وخمسين شركة جنسية ..

وقد أعلن الرئيس الأسبق «نيكسون» بنفسه أن أرباح التجارة بالمرأة قد عادت على أصحابها بأكثر من ملياري دولار في عام ١٩٧٢ ..

وفي مدينة نيويورك وحدها بلغ عدد البغايا ٢٥ ألف بغية تستهلك الواحدة منهن ٥٠ دولاراً من المخدرات يومياً ..

وفي نيويورك أيضاً يوجد أغرب مجمع في العالم يضم أعضاء مِن مختلف الولايات المتحدة يُقدَّر عددهم بحوالي ١٥ مليوناً هم المنحرفون جنسياً بين منتسبين ومنتظمين [٢]

*   *   *

---

(١) المجتمع الكويتية – العدد رقم ٤٣٩ في ٦ من جمادى الأولى سنة ١٣٩٩ هـ .

(٢) تعدد الزوجات لا تعدد العشيقات – للدكتور عبد الحليم عويس والمهندس مصطفى مشهور ص ٣٧ ، ٣٨.

الحصـــاد المـــــر

أخي القاريء ، أختي القارئة.. تعالوا بنا حتى نرى بداية النهاية فى حضارة « المال والجنس » ولندع الحقائق تتكلم لتبين لنا هل حقق هذا الانطلاق الحيوانى والانعتاق البهيمى الراحة والطمأنينة والرفاهية للغرب ؟ وهل ذهب الكبت الفرويدى ليحل محل الشعور بالسعادة والحبور .

تحت عنوان « طبيب العائلة يُحَذّر » : « أن الصحافة والتليفزيون حَوَّلت اليوم (الجنس) الى تجارة استغلالية وصلت الى القمة » .. نشر مخلص لما دار فى ندوة جاء فيها مايلى :

« كثير من الشباب أصبح ضحايا للأمراض السرية ..

وفى ندوة عقدتها الرابطة الطبية البريطانية لبحث الأمراض السرية والشباب - تحدث الدكتور « C. Luton » صاحب عيادة فى اسكتلندا يتردد عليها أكثر من عشرة آلاف شخص كل عام وكان مدعواً للحديث فى هذه الندوة لإذاعتها في التليفزيون البريطاني .

فبعد أن ابتدأ يذكر أن بيع الصيدليات لمواد منع الحمل للشباب تضاعف عن ذى قبل ، منذ ثمانية عشر شهراً ، وأن البنات في المدارس يستعملن في بعض الأحيان مواد منع الحمل المخصصة للذكور عملا بالحكمة القائلة : «الوقاية أولا » نادى بضرورة الإشراف على تلك القوة التى يملكها هؤلاء لجمع المال من الجنس عن طريق التليفزيون والصحافة .. هؤلاء - كما يقول - مستغلون .. وليسوا شيئا آخر سوى أنهم جاعلون من التليفزيون والصحافة مصادر للدعارة ..

ورأى أن مايقدمه التليفزيون البريطاني اليوم من أمثال « الناس معاً فى سرير » و«القسوة مع البنات واغتصابهن »كان يصدم العالم ويزعجه قبل عشر سنوات ، وأن استغلال الجنس فى بريطانيا الآن يدر من المال أكثر من أي شيء آخر [١] ..

وضرب مثلا بما صار اليه الاختلاط الجنسي بابنة شابة اعترفت بأنها باشرت العملية الجنسية مع شاب أجنبى عنها لا تعرفه إطلاقا من قبل ، فى أثناء انتظارها للفحص فى عيادة طبيب لم يشغل عنها إلا لمدة عشر دقائق في الكشف على مريض آخر ..

ثم تحدث الدكتور «أمبروز كنج Amberose King » الطبيب الاستشاري في مستشفى لندن لبحوث الأمراض السرية ومستشار وزير الصحة في شئون هذه الأمراض فقال :

« إن أكثرية الشعب فى بريطانيا لا تؤمن بدين ، وإن السبب في المشكلة الاجتماعية الحاضرة هو رفض الأوضاع والمستويات التى تفكر الهيئات الدينية في الاحتفاظ بها ..

والأمر الآن إلى أولئكم الذين نصبوا أنفسهم من أنفسهم رواداً للفكر العلماني ، كي يعنوا بعوض وبديل عن تلك المستويات فى الماضي .. ذلك العوض والبديل الذي من شأنه أن يُرضي النفس ويُريحها ، بحيث يمكنها من التغلب والرقابة على الغرائز الحيوانية ..

« فإذا نحن أخفقنا فى ذلك ، واستمرت الأخلاق الجنسية. في الانحدار والانحطاط فإنا لا محالة يجب علينا أن نُعِدّ أنفسنا لمواجهة الواقع ، وهو أنه

---

(١) نشرة الصنداي تايمز في ٨ من نوفمبر سنة ١٩٦٤ ص٢ - الفكر الإسلامي .

بالرغم من الازدهار المادي فإن أعداداً من أوساطنا أولئــكم مهتـزي الشخصية ، ستزيد المنحرفين والذين لايُحِبون ولا يُحَبون ، وأصحاب السلوك المضاد في المجتمع ..

وفيما عدا الأمراض التناسلية والصلات الجنسية غير المشروعة فالنتائج نشاهدها :

- في السلوك الهجومي والمضاد للمجتمع .
- وفي العمليات الإجرامية للإجهاض .
- وفي العلاقات الزوجية المتداعية للانهيار .
- وفي إهمال الأطفال .
- وفي تعاطي المخدارت .
- وفي الإدمان على المسكرات .

إن الأمر موّجه إلى كل مواطن ليكون مثلاً في حياته الخاصة ، حتى يمكن لشباب أن يحتذي به ويجنى فائدته »

* * *

١- تخريب الجسم :

تشير الإحصاءات الدولية أن ما يزيد عن ١٠٠٠ شخص ينتحرون يومياً في العالم أجمع ، وأن عدد الذين يحاولون الانتحار يبلغ حوالى عشرة آلاف شخص فى اليوم الواحد ، ويُعَد الانتحار من أعقد وأخطر المشاكل التي يُعاني منها الناس ، وتحتل الولايات المتحدة رأس القائمة بين الدول التي تُسَجِّل فيها نسبة الانتحار أعلى معدلاتها ، ففى عام ١٩٧٧ بلغ عدد الذين انتحروا فى مختلف أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية ٢٧,٠٦٣ شخصاً ، وتحتل اليابان المركز الثانى بمعدل ١٩,٨٧٦ شخصاً ، وألمانيا الغربية ١٢,٩٠٠ شخص ، وفرنسا ٨١٩٩ شخصاً ، والمجر ٤٣٠٧ أشخاص [١] .

---

(١) مجلة «الدعوة» المصرية - العدد الحادى والأربعون - فى غرة ذى القعدة سنة ١٣٩٩ هـ .

وجاء فى الموسوعة الطبية الحديثة : أن فى الولايات المتحدة يحاول شخص قتل نفسه كل دقيقة . وتنجح (٥٠ - ٦٠) من هذه المحاولات يومياً . ويبلغ مجموع عدد الوفيات من الانتحار أكثر من عشرين ألفاً في العام - أي نصف ماتسببه حوادث السيارات تقريباً - ولا تشمل هذه الإحصاءات آلافاً من الناس يموتون كل عام من مضاعفات حوادث الانتحار ، أو حوادث الانتحار التي تُعَدُّ موتاً عارضاً لعدم كفاية الأدلة ..

وتقول الموسوعة : « وحوادث الانتحار بين الرجال أربعة أمثالها بين النساء ، وهي أكثر بنفس النسبة فى حقبة العمر بعد سن الخامسة والخمسين منها فيما بين (٢٥- ٣٤) كما أنها كثيرة جداً بين المراهقين وفى كل عام تحدث عدة مئات من الحالات فى حقبة العمر بين (١٥- ١٩) وأقل من ذلك بين الصغار . وتزيد نسبة الانتحار فى الكليات أيضاً ، وبينت دراسة بجامعة « ييل » أن حوادث الانتحار تبلغ ١٣ بين كل مائة ألف طالب » (١) .

وفى تعليق على انتحار أحد كبار عمداء الدراسات الاجتماعية والنفسية في الولايات المتحدة الأمريكية يقول الدكتور رشدي فكار :

« ولكن الغريب هو انتقال العدوى والوباء من الناس الى العلماء المعالجين لهم ، بمعنى انتحار العلماء المتخصصين في دراسة الانتحار ، وأحدث مثال لذلك انتحار أحد كبار عمداء الدراسات الاجتماعية والنفسية فى الولايات المتحدة ..

والسر هو أن المعرفة العلمية الحديثة رغم عمقها واتساعها وتنوعها لم تستطع حتى الآن أن تعطى النفس البشرية الثقة فى الحياة ، أو الأمن والطمأنينة وسكينة النفس ، بقدر ما عَمَّقَت لديه عوامل الشك فيها وفى قيمتها » ..

---

(١) الموسوعة الطبية الحديثة ص ١٧٠ ، ١٧١ .

ويقول الدكتور رشدي :« إن الإنسان الذي اتخذ من إرضاء رغباته وإشباع غرائزه المادية هدفاً لا شك سينتهي بانتهائه .. أما الإنسان الذي يرى أنه يعيش لما هو أسمى ، وأن معرفته مهما تعمّقت وفاضت فهي قطرة في محيط المعرفة الغائبة ، فهو الإنسان المتوازن الذي استطاع أن يوازن بين رغباته وقيمه ويعادل بين غرائزه ومُثُله »..

ويقول : « إن انتحار عالم الانتحار « جاكوب مورينو » هو شبيه بوفاة أحد علماء طب القلب بالقلب « لونجرا » ، ووفاة الداعي إلى أن عسل النحل يُطيل الحياة ، لأن الإنسان ليس بالمسائل المادية وحدها ولكنه بشيء آخر يُضاف إلى ذلك ويسبقه ، هو أن تكون وجهة الحياة لله وحده وأن يكون الإنسان في عمله وحياته ومماته لله »[1] ..

﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ العَالَمِينْ * لاَ شَرِيكَ لَهُ ﴾ [2] .

وجاء في دائرة المعارف البريطانية : « أنه يُعالج في المستشفيات الرسمية هناك مائتا ألف مريض بالزُهري ، ومائة وستون ألف مصاب بالسيلان البُنـــــي « Sonorrhea » في كل سنة بالمعدل ، وقد اختص بهذه الأمراض الجنسية وحدها ستمائة وخمسون مستشفى ، على أنه يفوق هذه المستشفيات الرسمية نتائج الأطباء الرسميين الذين راجعهم ٦١٪ من مرضى الزهري ، ٨٩٪ من مرضى السيلان » [3] .

وجاء في كتاب القوانين الجنسية « Laws of Sex » أنه في أمريكا يموت بين ثلاثين وأربعين ألف طفل بمرض الزهري الموروث وحده كل سنة ، وأن الوفيات التي تقع بسبب جميع الأمراض – عدا السل – يربو عليها جملة عدد الوفيات

---

(١) صفحات مضيئة من تراث الإسلام – لأنور الجندي.

(٢) الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٣) الحجاب ص ١٠٩.

الواقعة من مرض الزُهرى وحده . . . وأقل ما يُقَدِّره المسئولون في مرض السيلان أنه قد أصيب به ٦٠٪ من النفوس فى سن الشباب فيهم الْعزّاب والمتأهلون . . وقد أجمع الماهرون فى أمراض الشباب على أن ٧٥٪ من اللاتي تُجرى العملية الجراحية على أعضائهن الجنسية يوجدن متأثرات بمرض السيلان[١] .

* * *

٢- تخريب النفس :

يقول « ديل كارنيجى » فى كتابه « دع القلق وابدأ الحياة »: « ولقد عشت فى نيويورك أكثر من سبع وثلاثين سنة ، فلم يحدث أن طرق بابى أحد ليحذرني من مرض يدعى القلق [٢] ، هذا المرض الذى سبَّب في خلال الأعوام السبعة والثلاثين الماضية من الخسائر فى الأنفس أكثر مما سبَّبه الجُدرى بعشرة آلاف ضعف ....

ويقدر الأطباء أن واحداً من كل عشرين أمريكياً سوف يقضي جانباً من حياته في مصح الأمراض العقلية . ومن الحقائق المريرة أن واحداً من كل ستة شبان ، تقدموا للالتحقاق بالخدمة العسكرية فى خلال الحرب العالمية الأخيرة ، رُدَّ على أعقابه لأنه مريض أو ناقص عقلياً »..

ثم يقول في موضع آخر : « لقد أثبتت الإحصاءات أن القلق هو القاتل رقم { ١ } فى أمريكا ، ففى خلال سنى الحرب العالمية الأخيرة ، قتل من أبنائنا نحو ثلث مليون مقاتل ، وفى خلال الفترة نفسها قضى داء القلب على مليوني نسمة - ومن هؤلاء الآخرين مليون نسمة كان مرضهم ناشئاً عن القلق ، وتوتر الأعصاب » [٣]..

---

(١) الحجاب ص ١٠٩ .

(٢) يشير بذلك الى أن المتطوعين فى نيويورك كانوا يطرقون الأبواب للحث على التطعيم ضد الجدرى .

(٣) دع القلق وابدأ الحياة ص ٥٣، ٥٤، ٦٥ ..

ويقول الدكتور عمر شاهين رئيس قسم الطب النفسي في جامعة القاهرة :

«إن الدول المتقدمة تعانى من أمراض الحضارة - كما يطلقون عليها - مثل الانحرافات الجنسية والإدمان على المخدرات والكحوليات والأمراض النفسية والعصبية ، وكان من المتوقع - مع الاستقرار المادي - أن تختفى مظاهر القلق المختلفة ، ولكن الذي حدث هوالعكس ، فقد ازدادت الأمراض النفسية والعصبية مع تقدم الحضارة ..

والظاهرة اللافتة للنظر فى هذا الصدد هو ازدياد نسبة الانتحار بشكل مفزع ففي المؤتمر الدولي الذي عقد في هلسنكي عاصمة فنلندا سنة ١٩٧٧ تبين أن نسبة الانتحار بين الشباب قبل سن الخامسة والعشرين قد قفزت في دول أوروبا وأمريكا إلى ٣٠٠٪ في خمس سنوات» ..

ويستطرد الدكتور فيقول : « وتظهر عظمة الإسلام فى تحريمه للخمور عندما نرى مضارها على أبناء أوروبا على النحو التالى :

(أ) ٦٠٪ من حوادث السيارات فى أوروبا سببها الأول هو تعاطي الخمور..

(ب) ٢٠٪ من مرضى فرنسا يعانون من مضاعفات الكحول ..

(جـ) ثبت طبياً أن إدمان الخمور يؤدي إلى الإصابة بعدة أمراض خطيرة مثل قرحة المعدة والإثنى عشر ، وتليف الكبد ، وتضخم عضلة القلب ، وضمور المخ والتهاب أطراف الأعصاب ، وأعراض عقلية تصل إلى الجنون ..

ولا خلاف بين دول أوروبا الغربية أو الشيوعية في أن الأمراض العصبية والنفسية التي تنتاب شعوبها هي نتيجة لابتعادها عن الإيمان أو محاولة إبعاد الإيمان عنها »..

ويقول رئيس قسم الطب النفسي في جامعة عين شمس : « إن الصحة النفسية للشعوب الخاضعة للحكم الشيوعى ، بالغة السوء ، حيث توجد بها أعلى نسبة انتحار في العالم ، وقد ثبت بالأرقام الرسمية أن المجر يوجد بها

أعلى نسبة انتحار في العالم وهي دولة شيوعية ، تليها ألمانيا الشرقية وهى دولة شيوعية أيضاً ، ويأتي في المرتبة الثالثة دول شمال أوروبا : السويد والنرويج ... أما الاتحاد السوفييتي فهو يعمل على إخفاء نسبة الانتحار فيه ولا يظهرها أبدا ، ولا شك أنها عالية» [1]..

* * *

٣- تخريب النسل:

في «لوس أنجلوس » كشف معد أبحاث أمريكي عن فضيحة أخلاقية مفزعة، وهي أن عشرة آلاف فتاة في كاليفورنيا وحدها قد أنجبن أطفالاً غير شرعيين ، وأن عدد البنات اللاتي ولدن ولادات غير شرعية فى الولايات المتحدة يزيد عن ٣٠٠ ألف فتاة ، وأنه فى مدرسة ثانوية واحدة فى مدينة لوس أنجلوس ظهرت أعراض الحمل على ٢٥٠ طالبة ... وما يحدث فى أمريكا يحدث مثله فى بريطانيا وألمانيا والسويد وغيرها من دول أوروبا [2]..

وفى سنة ١٩٦٢ صرح «كيندي» رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الأسبق : أنه من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين ، لأن الشهوات التى غرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية ..

* * *

• العلاج الأعرج :

ولتفاقم مشكلة الأمهات غير المتزوجات والأطفال غير الشرعيين في المجتمعات الصناعية فى البلاد الغربية ، وفي البلاد الشيوعية أيضاً ، يقترح

(١)مجلة « الدعوة » المصرية - العدد الثالث والثلاثون - فى غرة ربيع الأول سنة ١٣٩٩ هـ .

(٢) تعدد الزوجات لا تعدد العشيقات ص ٣٧ .

بعض علماء الاجتماع أن يُنسب الأولاد الى أمهاتهم طالما لا يُعرف آباؤهم على وجه التحديد ، منعاً لمركب النقص من أن يسود شعور الأطفال فيجنحون إلى الجريمة والانتقام من المجتمع ، على أن تزيد الدولة فى رعايتها لهم وتوجيههم توجيهاً يبعدهم عن تذكر الماضي ..

وما يقدمه علماء الاجتماع هنا لا يمكن أن يكون بديلاً للطفل عن نسبه إلى أبيه في العلاقة الزوجية المشروعة ، فليست النسبة إعلانا يُعَرِّف الطفل بأبيه وأصله ، وإنما هي جو نفسي إنساني ينمو فيه الطفل ، ويباشر استعدادته الفطرية دون عائق معنوي ، ودون (لوم) يلاحقه فى فترات هذا النمو .. هي جو يدفع الى ارتياد المجتمع وريادته ، كما يخلق فيه التفاؤل بالحياة والإسهام فيها إسهاماً إيجابياً عوضاً عن شعور المذلة ، والتشاؤم والسلبية والنزعة الهدامة[1] ...

* * *

٤- العنف :

تحت عنوان :« معركة بالرشاشات والقنابل فى عملية سطو على بنك » قالت صحيفة «الرياض» نقلاً عن أنباء كاليفورنيا :

« هاجم لصوص مسلحون بالمدافع الرشاشة والمتفجرات أحد البنوك أمس وأشعلوا معركة على امتداد ٤٠ ميلا في جنوب كاليفورنيا ، وكانوا يلقون بالقنابل أمام رجال البوليس الذين يطاردونهم ونتج عن ذلك مقتل ثلاثة أشخاص على الأقل .

وقد قُتل اثنان من رجال البوليس ، وذكرت الأنباء أن حوالي سبعة من رجال البوليس قد أصيبوا بجروح – وقد قُتل أحد المسلحين أثناء تبادل إطلاق النار مع البوليس ..

---

(١) الفكر الإسلامي ص ١٣٤.

وقد استولى اللصوص على عربة نقل فى الطريق واستخدموها لمواصلة الهرب نحو منطقة جبلية تغطيها غابات كثيفة ..

وقال البوليس : إنه لم يعرف على الفور ما إذا كان اللصوص قد سرقوا أموالاً من البنك أم لا »[1] .

وتحت أيدينا الآن عشرات من هذه الصور ...

* * *

• العنف بالأرقام :

نشر أخيراً « رمزي كلارك » النائب العام الاتحادي في الولايات المتحدة الأمريكية إحصائية عن جرائم بلاده في عام ، جاء فيها عن متوسط الجرائم :

إنه تقع جريمة قتل كل ٤٣ دقيقة ، وجريمة اغتصاب امرأة كل ١٩ دقيقة ، وجريمة سرقة كل دقيقتين ، وجريمة سطو على المنازل كل ٢٠ ثانية ، وسطو على السيارات كل ٤٨ ثانية ، واختطاف رجل كل ٢٠ ثانية ..

٣ جرائم سطو كل دقيقة على المنازل	٦ كل دقيقتين
٢ جريمتي سطو كل دقيقة على السيارات	٤ كل دقيقتين
١ جريمة سرقة كل دقيقتين	١ كل دقيقتين
	١١ كل دقيقتين

وحاصل ذلك :

تقع كل ساعة : ٣٣٠ جريمة سرقة صغرى وكبرى .

وتبلغ فى اليوم : ٧٩٢٠ سرقة .

وتبلغ فى الشهر : ٢٣٧٫٦٠٠ سرقة ..

(١) الرياض السعودية في ٢٦ من جمادي الثانية سنة ١٤٠٠ هـ .

وتبلغ فى السنة : ٢٨٫٥١٢٫٠٠٠ سرقة .

أى ٢٨.٥ مليون سرقة فى السنة بين صغرى وكبرى ، وفي الحملات الانتخابية يثير المرشحون للرئاسة مسألة اضطراد ازدياد الجرائم سنة بعد أخرى كوسيلة لمهاجمة المرشح المتولي الرياسة ويرشح نفسه للمرة الثانية [١]

وجاء فى تقرير آخر من أمريكا : أن نسبة الجريمة فيها قد زادت خلال النصف الأول من هذا العام (١٩٧٩) بمعدل ١٣٪ بالمقارنة مع نفس الفترة من العام الماضي ، وأضاف التقرير : أن أشهر هذه الجرائم هى جرائم القتل واغتصاب النساء .. أما السرقات فقد زادت نسبتها بمعدل ١٥٪ وترتفع نسبتها فى المناطق المزدحمة[٢].

* * *

---

(١) نظام التجريم والعقاب فى الإسلام مقارنا بالقوانين الوضعية - للمستشار علي منصور ص ٣٢ .

(٢) الرياض - في ٢٠ من ذى القعدة سنة ١٣٩٩ هـ (١١ من أكتوبر سنة ١٩٧٩ م).

الصحوة والمنهج الحق

هذا هو الغرب ، وهذا بعض حصاد حضارته ، قدمت نماذج منه للمفتونين والمفتونات والعاشقين لمنهجه والعاشقات ..

وسأعرض أيضاً بعضاً من الأصوات التي ارتفعت هناك فى وسط هذا الركام الرهيب من الحياة الجاهلية ، لتهيب بالقوم أن يفيئوا إلى عقولهم قبل أن يبتلعهم الطوفان ..

ولكن كيف السبيل إلى النجاة ؟

يقول بعض باحثيهم : « إن هذه الحضارة لم تعرف الطريق إلا بعد أن حطمت قيود الكنيسة التي فرضتها على الناس وتخلصت من رجال الدين الذين حبسوا العقلية الغربية داخل نطاق التعاليم المسيحية الروحية التى تخالف اتجاهات الغرب التي تميل إلى المادية . وإن أوروبا لم تتقدم فكرا وثقافة وعلماً إلا بعد أن قضت على سلطان الكنيسة وتحررت منه تحرراً تاماً »

وبعـــد..

وبعد أن رفضت أوروبا المسيحية ، فإننا ندعوها إلى الإسلام .

الإسلام الذي لا تتعارض فيه الحقائق العلمية مع الحقائق الدينية .

الإسلام الذي هو دين ودولة ..

الإسلام الذي يضع لأتباعه الحلول المثلى لمعضلات الحياة ..

الإسلام الذي ليس فيه كهنة ولا كهنوت ..

الإسلام الذي ليس فيه رجال دين ، بل كل أتباعه مكلفون بحمله وتبليغه .

الإسلام الذي يمنح المؤمنين به الأمن والأمان والهدوء والإطمئنان .

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ، أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[1] .

---

(١) الرعد : ٢٨ .

ولكن هل تستحيب أوروبا لهذا النداء ؟

أبداً .... إنها لن تستجيب ..

ولن تؤمن الدنيا بهذا الدين إلا إذا كان النموذج الرفيع الأمثل من هنا ..

من دول الإسلام حين تعرض هذا الدين فى صورته الرائعة التى أرادها الله منهج حياة ، وأسلوب معاملة ، وسلوكاً حياً للحاكم والمحكوم ..

وإني على يقين بأن هذه الأصوات التى ترتفع فى أوروبا الآن لتنادي بالإصلاح والعودة إلى الدين ، ماهي إلا أصوات الفطرة الأولى التي فطر الله الناس عليها حين أخذ العهد والميثاق على بني آدم بألا يعبدوا سواه وبألا يتبعوا إلا هداه :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ، قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ ، أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾(١) .

يقول « أرنولد توينبى »: « لا غنى للإنسان عن الدين ، ولن تستطيع الأيديولوجيات أن تحل محل الدين ، لأنها تمنحنا التعصب والتباغض ، بدلا من المجد والتعاون ..

إنها قد تمنحنا لقمة الخبز ولكنها تسلبنا الطمأنينة النفسية والتحرر الروحي ».

ويقول « سومرست موم »: « إن أوروبا قد نبذت اليوم إلهها ، وآمنت بإله جديد هو العلم ، ولكن العلم كائن متقلب ، فهو ينفى اليوم ما أثبته بالأمس ، ويثبت غداً ما نفاه اليوم ، ولذلك تجد عباده فى قلق دائم لا يستقرون ».

ويقول « كريس موريسون » رئيس أكاديمية العلوم فى نيويورك :

---

(١) الأعراف : ١٧٢ ، ١٧٣.

« إن الاحتشام ، والاحترام ، والسخاء ، وعظمة الأخلاق ، والقيم والمشاعر السامية ، وكل ما يمكن اعتباره نفحات إلهية لا يمكن الحصول عليه من طريق الإلحاد ..

فالإلحاد نوع من الأنانية ، حيث يجلس الإنسان على كرسي الله لسوف تُقتضي هذه الحضارة بدون العقيدة والدين ..

سوف يتحول النظام الى فوضى ..

سوف ينعدم التوازن ، وضبط النفس والتماسك ..

سوف يتفشى الشر في كل مكان ..

إنها لحاجة مُلّحَةٌ أن نُقَوِّى من صلتنا وعلاقتنا بالله ».

نعم سوف تُقضى هذه الحضارة بدون العقيدة والدين .

ولكن هذا الدين هو الإسلام .. نقول ذلك ليس تعصباً منا لديننا ..

ولكنه الحق الذي ليس بعده إلا الضلال .. استمعوا إلى « محمد أسد »الذي كان « ليوبولد فايس » والذى هداه الله إلى الإسلام وأصبح من أكبر دُعاته بعد أن لفظ اليهودية .. استمعوا إلى خبرة مُجَرِّب وهو يُعَبِّر عن عظمة الدين الحق..

يقول محمد أسد : « نجد الإسلام وحده من بين الأديان يُتيح للإنسان أن يتمتع بحياته الدُنيا إلى أقصى حد من غير تضييـــع اتجاهه الروحي دقيقة واحدة ، ذلك أنه ليس في الإسلام خطيئة أصلية موروثة ، وليس من أجل ذلك ثَمَةُ غُفران شامل للإنسانية .. إن كل مسلم رهين بما يكسب .. والإسلام ينظر إلى الحياة فى هدوء واحترام ، ولكنه لا يعبدها .. إن النجاح المادي مرغوب فيه ، ولكنه ليـس غاية في نفسه ، بل يقود الإنسان نحو الشعور بالتبعة الأدبية فى كل ما يعمل ، والغاية من جميع نشاطنا العملي أن يكون خلقياً .

* * *

الفصل الثاني

منهج الإسلام فى بناء المجتمع النظيف

- الجنس في التصور الإسلامي .
- منهج الإســـــلام في تجفـيف منابع الفتن .
- حرمة العرض .
- فتنة النظر .
- فتنة الخلوة بالأجنبية .
- فتنة الجوار .
- فتنة سفر المرأة وحدها .
- فتنة القرابة .
- فتنة اللمس .
- فتنة التبرج .
- فتنة الاختلاط .

الجنس في التصور الإسلامي

ليس ديناً مجنحاً فى آفاق عالم الخيال .. ولكنه الدين القيم .. ولكن أكثر الناس لا يعلمون ..

والله الذي خلق الإنسان وركّبَ فيه الغرائز والعواطف ، لم يكن ليتركه هملا ليحقق إشباعها على طريقة الحيوان ..

وكيف ذلك ؟ وهو الذى يقول : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾(١)

﴿ وكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقدَارٍ ﴾(٢)

﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً ﴾(٣)

﴿ الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾(٤)

﴿ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾(٥)

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾(٦)

هذه الدقة الحكيمة فى الصنع ، وهذا التوازن الحساس فى المخلوقات ، ينسحب على الإنسان كما ينسحب على جميع المخلوقات ، وكيف لا ؟ والكون كله سماؤه وأرضه مُسَّخَر لهذا الانسان ليحقق خلافة الله فى هذه الأرض ..

فالإنسان صنعة اللّه .. كوِّنه قبضة من الطين ونفخة من الروح ، وسرى عليه هذا التوازن الدقيق ، فأعطى لجانب الجسد المجال الذى يتحقق إشباعه فيه ، وأعطى لجانب الروح المجال الذى تحقق انطلاقها فيه ..

---

(١) القمر ٤٩. (٢) الرعد : ٨. (٣) الفرقان : ٢.

(٤) طه : ٥٠. (٥) الحجر : ١٩ . (٦) الحجر : ٢١.

وأي خلل في هذا التوازن يُفسد صنعة الله ويصيبها بالآفات الجسمية والروحيه ، وبذلك تكون قد حكمت على نفسها بالفناء ..

ومن أقوى الغرائز التي ركبَّها الله في جسد الإنسان غريزة الجنس ، وقد جعلها الله هكذا لأهداف سامية وحقائق عالية تستهدف عمارة الكون وعبادة الخالق .

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾[١] .

والجنس هو نقطة الضعف التي يمكن للشيطان أن يتسلل من خلالها ليخرب الكون ، ويقلب نظام الحياة رأساً على عقب ، ويعطل رسالة الإنسان في الحياة.. يقول الله عز وجل :

﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً * يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ، وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً ﴾[٢]

قال سفيان الثوري تعليقاً على ضعف الإنسان الوارد في الآية : « المرأة تمر بالرجل فلا يملك نفسه عن النظر إليها ولا ينتفع بها ،فأي شيء أضعف من هذا » ؟.

وقال ﷺ :« ماتركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء»[٣] .

وقال : «اتقوا النساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت من النساء»[٤] .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه :أن النبي ﷺ قال : «إن المرأة تقبل فى صورة شيطان ، وتدبر فى صورة شيطان ، فإذا رأى أحدكم من امرأة ما يعجبه فليأت أهله ، فإن ذلك يرد ما في نفسه »[٥] .

---

(١) النساء : ١ (٢) النساء : ٢٧، ٢٨ (٣) متفق عليه .

(٤) رواه مسلم . (٥) رواه مسلم وأبو داود والترمذى .

ولما كان لغريزة الجنس هذا السلطان الطاغي على النفس البشرية ، فإننا نجد أن الإسلام وضع لها الضوابط ، وقَنَّنَ لها القوانين ، وعَبَّدَ لها الطريق ، وأقام عليه الإشارات التي تضبط حركتها في الحياة حتى لا تصطدم بسنة الله في الخلق ، وبدون الالتزام بهذا التنظيم .. فانظر ماذا يحدث لسائق مجنون لايُلقى بالاً للإشارات حمراء أو صفراء ؟

يقول « جميس رستون » مشيراً إلى خطورة هذه الغريزة : «إن خطر الطاقة الجنسية قد يكون فى نهاية الأمر أكبر من خطر الطاقة الذرية » .

* * *

والآن نسوق إليك معالم عن موقع هذه الغريزة فى التصور الإسلامى :

● حارب الإسلام الرهبانية التي تجعل الإنسان متفرغاً للعبادة ، عازفاً عن الدنيا ، منقطعاً عن إشباع عواطفه وغرائزه .. فالله عز وجل الذي ركَّبَ الإنسان وَسوَّاه طيناً وروحاً كَرِهَ هذه الرهبانية التى تعطل عمارة الكون ، وتؤدي الى اختلال وظائف الجسم ، وإلى ظهور الكبت والعقد النفسية التي قد تنفجر فتهوى بالانسان إلى أسفل سافلين من حيث أمل الارتقاء إلى الملأ الأعلىَ – كما رأينا فيما مضى ..

وقد نعى الله على الذين ابتدعوا الرهبانية فلا هم تركوها ، ولا هم قاموا بحقوقها .. قال تعالى :

﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّه فَماَ رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ، فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾[1].

(١) الحديد : ٢٧.

وروى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال : « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تَقَالُّوها : وقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟

قال أحدهم : أما أنا فاني أصلي الليل أبداً .

وقال آخر : وأنا أصوم الدهر أبدا ولا أفطر .

وقال آخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً .

فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ .. أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له . لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » .

* * *

● لم يَصِمْ الإسلام هذه الغريزة بالقذارة ولا بالدنس طالما كان اشباعها على النحو الذي رسمه الإسلام لها ، ولذلك فلا مجال عندنا للقول بالعُقَدِ النفسية المتولّدة عن استقذار العمل الجنسي الحلال .

والقائلون بهذا جديرون بالبحث عن الخَلَل النفسي ، أو الممارسات الخاطئة التي تركت في نفوس أصحابها هذا الأثر ..

يقول الله عز وجل :

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ، ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾[1] .

فجعل الله – عز وجل – شهوة حب النساء على قمة شهوات النفس حقيقة واقعة ، غير أن هذا الحب للنساء والبنين والذهب والفضة ومرفهات الحياة ينبغي

---

(١) آل عمران : ١٤.

ألا تملك على الإنسان نفسه ، وتستولي على عقله ، فينسى ما عند الله من نعيم لا ينفد وقُرَّةُ عين لا تنقطع ..

وقال ﷺ : « ... ولك فى جِماع زوجتك أجر » قالوا: يارسول الله ، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : « أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر »[1] .

وقال أيضاً : « كل شئ يلهو به ابن آدم ، فهو باطل ، إلا ثلاثاً : رميه عن قوسه ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله .. فإنهن من الحق »[2] .

* * *

● لم يجامل الاسلام الرجل أو المرأة فى هذا المطلب الفطري ، فجعل لكل من الزوجين الحق في الحصول على إشباع حاجاته الجسدية ، ولقد قرر ذلك بصورة لا يمكن أن ترى إلا في هذا الدين الذي أحاط بدقائق النفس البشرية وتتبعها في كل خفقة قلب ولمحة فكر ، فمن المقرر في أحكام هذه الشريعة الغراء : أنه من العيوب التي يثبت بها فسخ النكاح قيام عِلَّةٍ جسدية بالزوج أو الزوجة تمنع تحقيق الإشباع الجنسي لأحد الطرفين . وكذلك إذا حلف الزوج ألاَّ يُجامع زوجته - وهو مايُسمى في عُرْف اللغويين والفقهاء بالإيلاء - هذا الزوج يعتبره الإسلام مُضاراً لزوجته ، ومُسيئاً في استعمال حقه فى القوامة ، ومن ثَمَّ فإنه إما أن يحنث فى يمينه قبل مضي أربعة أشهر وعليه كفارة يمين ، وإلا فإن مضت هذه المدة قبل أن يعود إلى معاشرة زوجته جنسياً ، فإنه يُطالَب بالطلاق ، فإن امتنع طَلَّقَ الحاكم عليه ، ويُعتبر هذا الطلاق بائناً حتى يقطع الإسلام على هذا الزوج المضار سبل الإساءة إلى زوجته بمراجعتها والعودة إلى الإضرار بها من جديد .. قال تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[3].

---

(١) رواه مسلم والترمذي .

(٢) رواه أحمد وأصحاب السنن .

(٣) البقرة : ٢٢٦، ٢٢٧ .

يقرر الاسلام ذلك حتى يتحقق المجتمع الربانى الطاهر الذي ليس فيه نظرة متلصصة ، أو خيانة زوجية ، أو فراش مُدَّنس ، ولينصرف المجتمع المسلم إلى الإنتاج صافي النفـــس ، خفيف الروح ،لا يُنَغِّص حمل الغريزة عليه حياته ، أو يكون عقبة كؤوداً في سبيل تحقيق رسالته في الحياة ..

ويُعَبِّر رسول الله ﷺ عن منهج الإسلام في ذلك ، فيُلفت أنظار الأزواج إلى حقوق زوجاتهم فى هذا السبيل ، لأن المرأة هي الجانب الذي يغلب عليه الحياء في هذا المجال – وذلك قبل أن يقوم الباحثون في الغرب بعمل الإحصاءات التي تُثبت أن لهذا الجانب تأثيراً خطيراً في الحياة الزوجية ، وربما أدى إلى هدمها من الأساس .. يقول الدكتور هاملتون : « إن عدم التوافق الجنسي يجثم دائماً في قرارة كل زواج فاشل ، فان المشكلات التي تُلابس الزواج يمكن أن يُغضي عنها الزوجان لو أن التوافق الجنسي استتَبَّ بينهما ».

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :« إذا جامع أحدكم أهله فليصدقها ، فان سبقها فلا يعجلها حتى تقضى حاجتها »[١] .

وفى رواية أخرى : « إذا جامع أحدكم أهله ، فلا يأتهن كما يأتى الطير .. ليمكث وليلبث »[٢]

وهذا موقف للفاروق عمر مع امرأة عفيفة الخُلُق ، أرَّقها غياب زوجها ، وشفَّها الوَجد إليه . فتنكر على نفسها أن تفكر في رجل يأخذ مكان زوجها خوفاً من الله وحياءً منه ، وإكراماً لبعلها أن ينال أحد مكانته فى قلبها .. ولنمض مع سعيد بن جبير ليوري لنا هذه القصة ذات الشأن .. فيقول : كان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه إذا أمسى أخذ دِرَّته ثم طاف بالمدينة ، فإذا رأى شيئا ينكره أنكره ..

---

(١) رواه أبو يعلى .

(٢) رواه الطوسى .

فبينما هو ذات ليلة يَعُسُ إذ مَرَّ بامرأة على سطح وهى تقول :

تطاول هذا الليل واسوَدّ جانبه وأرّقنى أن لا خليلٌ ألاعــبه

فوالله لولا الـله لا رَبٌّ غيـره لحرّك من هذا السرير جوانبه

مخافة ربي والحيـاء يصدُنــي وأكرم بعلي أن تُنال مراتــبه

ثم تنفست الصعداء وقالت : لهان على عمر بن الخطاب ما لقيت الليلة . فضرب باب الدار .. فقالت : من هذا الذي يأتي امرأه مُغَيّبةٌ هذه الساعة ؟ فقال : افتحى ، فأبت فأكثر عليها . قالت : أما والله لو بلغ أمير المؤمنين لعاقبك ، فلما رأى عفافها قال : افتحى فأنا أمير المؤمنين ، قالت : كذبت، ماأنت أمير المؤمنين . فرفع بها صوته وجهر لها فعرفت أنه هو ، ففتحت له فقال : هيه .. كيف قلت ؟ فأعادت عليه ما قالت ، فقال : أين زوجك ؟ قالت: في بعث كذا وكذا ، فبعث إلى عامل ذلك الجند أن سَرِّح فلاناً ابن فلان ، فلما قَدِمَ عليه قال: اذهب إلى أهلك ، ثم دخل على حفصة ابنته فقال : أي بُنية ، كمَ تصبر المرأة على زوجها ؟ فقالت : سبحان الله ! مثلك يسأل مثلي عن هذا ؟ فقال : لولا أني أُريد النظر للمسلمين ما سألتك . قالت : شهر واثنين وثلاثة ، وفي الرابع ينفد الصبر ، فجعل ذلك أجلا للبعث ..

هذا فى جانب المرأة ، أما فى الجانب المقابل ، فإننا نرى رسول الله ﷺ يُنَبِّهُ الزوجات لحقوق أزواجهن فى هذا المجال فيقول : « إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته ، وإن كانت على التنور »(١)

ويقول أيضاً : « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح »(٢)

وهكذا يحرص الإسلام كل الحرص على إقامة المجتمع الإسلامي النظيف من خلال ضغط هذه الغريزة ، وإيجاد المتنفس الصحي لها ، وحتى لا تنحـرف يميناً

(١) رواه الترمذى والنسائى .

(٢) رواه الشيخان وأبو داود .

أو يساراً فيكون الهلاك الشامل والدمار الكامل كما رأينا ذلك من خلال النافذة التي أطللنا منها على الغرب المنحل ..

* * *

● جعل الاسلام هذا الإشباع الجنسي يتم في إطار من الإنسانية بعيداً عن روح الحيوانية الجائعة ، وراعى فى ذلك مشاعر المرأة ،لأنها - كما قلنا - الجانب الذى يغلب عليه الحياء في هذا السبيل ، فنهى عن إتيان المرأة فى دبرها .. قال تعالى : ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ، وَقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ ﴾[1] .

وقال ﷺ : « ملعون من أتى امرأة فى دُبُرها »[2] .

وقال أيضاً : « من أتى حائضاً أو امرأة في دُبُرها ، أو كاهناً فَصدَّقه فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ »[3] .

كما حَثَّ على اجتناب المرأة فى الحيض حيث يتدنى الاحساس الجنسى عند المرأة في هذه الفترة ، ويسبب الأضرار الصحية للرجل ..

قال تعالى : ﴿ وَيَسأَلُونَكَ عَنِ المَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِسَاءَ فيِ المَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَى يَطْهُرْنَ ﴾[4]

ومن الأدب الرفيع الذي وضعه الإسلام في هذا المجال أنه يريد ألا يكون هذا الأمر مجرد أداء واجب بين الرجل وزوجته ، بل يريد أن يجعله تتويجا للمحبة والمودة والرحمة بين قلبيهما ..

تأمل معي هذا الأدب الرفيع في توجيهات المعلم - صلوات الله وسلامه عليه : « نهى رسول الله ﷺ عن المواقعة قبل الملاعبة ».

---

(١) البقرة : ٢٢٣ .

(٢) أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي .

(٣) راوه أحمد والترمذى

(٤) البقرة : ٢٢٢ .

خطب النبي ﷺ ثم ذكر النساء فوعظهم فيهن . ثم قال : « إلام يجلد أحدكم امرأته جَلْدَ الأَمَة ، ولعله أن يضاجعها في آخر يومه » ؟ [١] .

« لوأن أحدكم إذا أتى أهله قال : بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فقضى بينهما ولد لم يضره » [٢] .

ما أجمله من خُلُق ، وما أروعه من دين ، وما أحرانا أن نتأدب بهذا الأدب الرفيع !

* * *

● جعل الإسلام هذا العمل محاطاً بالكتمان بين الرجل وزوجته ، مرهوناً بوقته فقط دون أن يستحوذ على تفكير المسلم وطاقته ، فيتفرغ لنفسه وشئونه ورسالته فى الحياة ، وليست مناسبة تستحق أن يجترها الإنسان المسلم في كل مجال لتكون على لسانه كلاماً ، وفى عقله شغلاً ، وفي مجتمعاته نُكاتاً سخيفة.

وعندما يصير الجنس هكذا ، فإن الإسلام يرفع راية الخطر ، لأن الجنس قد تحوّل من كونه وسيلة إلى غاية ، وإلى هَمٌّ مُقعد مُقيم يُسيطر على أفكار الناس ويُعطل حركتهم في الحياة .. وهذا - لعمر الحَق - شأن التافهين الذين يقفون عند لذات الحس تاركين تحقيق الفضائل والمُثل العليا التي تجعل الإنسان يشعر بانسانيته ، ويحس بأن له رسالة فى الحياة غير رسالة الحيوانات ..

عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ صَلّى ، فلما سَلّمَ أقبل عليهم بوجهه .. فقال : « مجالسكم .. هل منكم الرجل الذي إذا أتى أهله أغلق بابه ، وأرخى ستره ، ثم يخرج فيُحدِّث فيقول : فعلت بأهلي كذا وفعلت بأهلي كذا ؟ فسكتوا .. فأقبل على النساء فقال : هل منكن من تُحَدِّث ؟ فجثت فتاة كعاب [٣] على إحدى ركبتيها ، وتطاولت ليراها الرسول ﷺ وليسمع كلامها ، فقالت : أي والله .. إنهم ليتحدثون ، وإنهن ليتحدثن . فقال

---

(١) راوه ابن ماجه . (٢) متفق عليه . (٣) الفتاة الكعاب: التي نهد ثديها .

صلى الله عليه وسلم : « هل تدرون ما مثل من فعل ذلك ؟ مثل شيطان وشيطانة لقي أحدهما صاحبه بالسكة ، فقضى حاجته منها ، والناس ينظرون إليه » [١] .

وجاء في حديث آخر : « إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يُفضي إلى امرأته وتُفضي إليه ثم ينشر سرها » [٢] .

وهذا القرآن المربِّي الأول عندما يتحدث عن الجنس ، يتحدث بالأسلوب الذي يُؤدي الغرض ولا يخدش الحياء ، وإذا صادف المسلم حديثاً صريحاً عن العورة في القرآن أو السنة ، فإنما يكون ذلك حيث لا يُغني عن اللفظ غيره في مكانه، ولا يقوم لفظ آخر بمعناه الذي يُفهم منه الأمر أو النهي أو التوجيه ..

تأمل روعة التعبير وروعة الكنايات في أدب القرآن - قال تعالى :

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ، هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ، عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ، فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ، وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ، ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ، وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ﴾[٣] .

﴿ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ، فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ * نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ، وَقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ ﴾[٤] .

﴿ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾[٥] .

﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ ﴾[٦] .

---

(١) رواه أحمد وأبو داود (٢) رواه مسلم . (٣) البقرة : ١٨٧ .
(٤) البقرة ٢٢٢، ٢٢٣. (٥) المائدة : ٦. (٦) البقرة : ٢٣٧ .

وعن المكان الذي يخرج منه الولد يقول تبارك وتعالى : ﴿ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴾[1]

ويعبر عن المَنِّي في بعض المـــواطن بأسلوب التلميح لا التصريح فيقـــول : ﴿ كَلاَّ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴾[2]

فأي تأديب هذا ؟ ! وأي رفق بالمشاعر ؟! وأية بلاغة سجد لها البلغاء ؟!

وهذا عمر رضي الله عنه : يأتي إلى النبي ﷺ فيقول له : يارسول الله ، هلكت .. قال : وما أهلكك ؟ قال : حولت رحلي البارحة ...

فياليت اللاغين فى الحديث من أصحاب المجالس الجنسية - وما أكثرها - ليتهم يعون هذه الدروس ، ويتأدبون بأدب القرآن .. !!

* * *

(١) عبس : ١٩- ٢١.

(٢) المعارج : ٣٩.

منهج الإسلام فى تجفيف منابع الفتن

منهج الإسلام في بناء الأسرة لا يقوم على مبدأ الشيوعية الجنسية ، فليست المرأة الواحدة لكل الرجال ، ولا الرجل الواحد لكل النساء .

والإسلام في هذا التصور الرائع يُكَرِّم الإنسان أيما تكريم ، ويُنَظِّم المجتمع ويُحَدِّد المسئوليات : مسئولية الرجل نحو أسرته ، ونحو زوجته ، ونحو أولاده. وكذلك مسئولية المرأة نحو زوجها ونحو أولادها ..

وذلك حتى لا يصبـــح المـجتمـع كمـجتمــعات الكلاب يقتتلون على كلبة ، أو يتصارعون على جيفة ، يأكلونها لحماً طرياً ، ويتركونها عِظاماً نخرة ، كما رأينا فى الصور الحيوانية الخالصة التي عرضناها للغرب المنهار ..

ولذلك أيضاً نجد أن الإسلام عالج بالغذاء قبل أن يعالج بالدواء ، وعالج بالحَمِيَّة قبل أن يستعمل مشرط الجراح .. فوضع القواعد التي تسد باب الغوايــة ، وتجفف منابع الفتنة ليكون الجنس مصدر تشييد وبناء ، بدلاً من أن يصير مصدر هدم وشقاء ..

والإسلام عندما يُشَرِّع فإنه لا يتطوع بترقيع نظم اجتماعية مختلة أو نظم اقتصادية فاسدة ..

كلا .. لأنه يرسم ويُشَرِّع لمجتمات ربانية تخضع فى كل حركاتها وسكناتها لمنهج الله عز وجل ..

هذا المنهج وحده هو القادر على تكوين مجتمع نظيف بكل ما تعني هذه الكلمة من معان .. نظافة في الضمير .. نظافة في السلوك .. نظافة في الظاهر .. نظافة في الباطن .. مجتمع يتمتع بطُهر الملائكة وبنقاء الملأ الأعلى .

وعلى طريق بناء هذا المجتمع ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا ، إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾[1] .

﴿ وَلاَ تَقْرَبُوا ﴾ تعبير دقيق يؤكد على إيصاد كل باب يمكن أن يُوَصِّل في النهاية إلى إشاعة الفاحشة في المجتمع المسلم .. سواء أكان ذلك نظرة متطفلة، أو لمسة فاجرة ،أو لفظة متكسرة ،أو أغنية عاهرة ، أو فيلماً ينفخ فيه الشيطان من روحه فيعصف بقلوب الشباب ويدفعهم إلى السقوط ..

وهكذا فالإسلام - كما قررنا - يعمل على تجفيف منابع الفتن ، وردم المستنقعات التى تبيض وتفرخ فيها جراثيم الفساد ..

والآن إلى وسائل الوقاية التي تحفظ على المجتمع المسلم طهره ونقاءه ..

* * *

(١) الإسراء : ٣٢.

الإسلام وحُرمة العِرض

في سبيل بناء مجتمع رباني .. يضع الله - عزّ وجل - الضوابط التي تحمي هذا المجتمع من التفكك والانهيار ، وذلك حتى يصير كل إنسان في هذا المجتمع المسلم آمناً على نفسه وعِرضه وماله ، ويصبح المؤمنون فيه بنعمة الله إخواناً..

ولكي تتحقق هذه الروح في المجتمع المسلم ، فإننا نجد الإسلام يحارب النفوس المختلة التي تثير الحقد في هذا المجتمع ، والتي لا هَمّ لها إلا الهمز واللمز ، والتنابز بالألقاب ، وتتبع العورات ، والسخرية من خلق الله ..

وهذه كلمات كالقوارع ، يُنذر بها رسول الله ﷺ هذه الفئة المريضة التي تجعل من أعراض الناس خبزها اليومي الذي تقتات به ..

يقول رسول الله ﷺ في إحدى خطبه : « يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فان من اتّبَعَ عوراتهم يتبع الله عورته ، ومن يتبع عورته يفضحه فى بيته »[1] .

وللمحافظة على العِرض وصيانته نجد أن الإسلام قد أقام حوله سياجاً قوياً متيناً لحمايته ، فَقعَّدَ القواعد ، وقَنَّن القوانين ، وحَدّ الحدود ، ووضع التدابير الرادعة لكل من تُسَوِّل له نفسه أن يصير بوقاً لترويج الشائعات والطعن فى الأعراض ، وتلويث سمعة الأبرياء ..

فمن تَورط فى جريمة تلويث عِرض مسلم أو مسـلمة بالقذف صريحاً كان أو كناية فإنه الردع والزجر بصورة تقطع دابر هذا العبث من المجتمع المسلم .. فيحكم على هذا المروِّج والوالغ في الأعراض بنوعين من العقاب : العقاب البدني بأن يُجلد ثمانين جلدة على مرأى من الجماهير المسلمة ، والعقاب الأدبي،

---

(١) أخرجه أبو داود .

بإسقاط حقوقه ، كفرد في المجتمع المسلم فلا تُقبل له شهادة أبداً ، لأنه - في نظر الإسلام - فاسق لا يؤتمن على شيء .. قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[1] .

وفى نفس الوقت الذى وضع فيه الإسلام هذه العقوبة الرادعة الزاجرة ، فإنه وضع عقوبة أشد وأنكى لمن تثبت عليه جريمة ارتكاب الزنا .. هذه العقوبة تصل إلى درجة الإعدام رمياً بالحجارة ، إذا كان الجاني متزوجاً ، أو الجلد مائة وتغريب عام إذا كان الجاني عَزَباً ..

ولقد اهتزت السماء يوم أن افترى رأس المنافقين عبد الله بن أبَيّ على السيدة عائشة حديث الإفك .. وصمتت السماء حتى يكون الاختبار والابتلاء ..

وينزل جبريل من السماء بعشر آيات من سورة النور ، وكأنها وقع السهام المرسلة في صدور الذين تلقفوا الفرية وأذاعوها ، وحاولوا أن يجعلوا منها مادة حية للكيد للإسلام والمسلمين .. تأمل معي هذه الطوارق :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ، لاَ تَحْسَبُوهُ شَراً لَكُمْ ، بَلْ هُوَ خَيرٌ لَكُمْ ، لِكُلِّ امْرِيءٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ ، وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

﴿ لَوْلاَ جَاءُوا عَلَيهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ، فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الكَاذِبُونَ ﴾ .

﴿ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ ﴾ .

---

(١) النـــــور : ٤ .

﴿ ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم * يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين ﴾ .

﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ .

﴿ إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ﴾[1] .

ولقد كان من قول السيدة عائشة في حديث الإفك : « ولكن والله ما كنت أظن أن الله مُنزل في شأني وحياً يُتلى ، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر يُتلى ، ولكن كنت أرجوأن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يُبرِّئني الله بها ».

ولكن الله عز وجل يغار أن يمس شرف امرأة مسلمة في عرضها فضلاً عن كونها زوجة نبي .. ﴿ وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم ﴾ .

نعم إنه عظيم وجليل ، ولقد سأل رجل رسول الله ﷺ عن الكبائر ؟ فقال : « هن تسع : الإشراك بالله ، وقتل نفس المؤمن بغير حق ، وفرار يوم الزحف ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، وقذف المحصنة ، وعقوق الوالدين المسلمين ، وعمل السحر ، واستحلال البيت الحرام قبلتكم أحياءً وأمواتاً »[2] .

بل إننا نجد أن حُرمة عرض المسلم في الإسلام تفوق حُرمة الكعبة عند الله ، فلقد نظر النبي ﷺ إلى الكعبة ثم قال : « ما أطيبك وأطيب رائحتك ، وما أعظمك وأعظم حُرمتك ، والمؤمن أعظم حُرمة عند الله منك .. حُرمة دمه وعِرضه وماله »[3]

(١) النور : آيات مختارة من ١١ - ٢٣ .   (٢) أخرجه البيهقي والحاكم واللفظ له .

(٣) حديث شريف .

ولقد كان العِرض عند العربى فى الجاهلية عرين الأسد الذي لا يُنال .. نجد ذلك مسجلاً فى تراثهم يقول أحدهم :

أصون عِرضي بمالي لا أدنسه   لا بارك الله بعد العِرض في المالِ

أحتال للمال إن أودى فأجمعه   ولست للعِرض إن أودى بمحتالِ

ويقول آخــــر :

فإذا شربت فإنني مستهلك   مالي ، وعرضي وافر لم يُكْلَمِ

ومما أثر عنهم فى ذلك قولهم : « كل شئ مهه ما خلا النساء وذكرهن » أي كل شئ يمكن احتماله والتغاضي عنه إلا الاعتداء على الحُرم فإنه لا يحتمل .

جاء الإسلام فزكّى عندهم هذا الإحساس ، وهذه الصفة التي تُنبئ عن الشّمم والأنفة ، حتى إننا نجد سعد بن عبادة رضي الله عنه يقول : لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح ، فبلغ ذلك رســـول اللــه ﷺ. فقـــال : « أتعجبون من غيرة سعد ؟ لأنا أغير منه ، والله أغير مني ، ومن أجل غيرة الله حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن » [١] .

أين هذا مما يقوله « الخواجة» فرويد من أن الغيرة ليست إلا عادة حيوانية وحشية .. وخير للمرأة أن تتزوج رجلاً خائناً عِربيداً من أن تتزوج رجلا غيوراً !!

لقد حرَّم الله الجنة على كل ديوث لا يغار على أهله فقال ﷺ : « ثلاثة لا يدخلون الجنة أبداً : الديوث ، والرَجِلَةُ من النساء ، ومدمن الخمر » قالوا : يارسول الله ، أما مدمن الخمر فقد عرفناه ، فما الديوث ؟ قـــال : « الذى لا يبالي من دخل على أهله . قالوا : فما الرَجِلَةُ من النساء ؟ قال : التي تتشبه بالرجال » [٢] .

وفي رواية أحمد : «الديوث الذى يُــقر أهله في الخبث ».

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه الطبراني .

هذه هي روح الإسلام التى تجعل العِرض داخل حصن حصين ، ومّدرعاً بسياج متين ، والتي تجعل الموت في سبيل العِرض شهادة في سبيل الله ..

أين هذه الروح الأبيّةُ ممن ينتسبون إلى الإسلام وإلى العروبة ..

لو نظرت إلى كثير من هؤلاء لصدمتك الحقيقة بين الأمس واليوم .. فهذا شاب « متخنفس » يرسل شعره على أذنيه ، ويلبس (الكعب العالي) ويضع سلسلة في عنقه كالـ ... ، ويتأبط ذراع أخته أو زوجته الكاسية العارية .. لا يُبالي أن يعرضها في الشوارع على الأنظار ، أو يعرضها لحماً غضاً على شواطئ الأنهار .. تراه يسير إلى جوراها مختالاً فخوراً يتمنى لو اخترق الأرض أو بلغ الجبال طولاً .. وكأنه بطل عالمي قد حصل على وسام نال لبطولة دولية ، أو قائد مغوار حقق نصراً مؤزراً على الصهيونية . وآسف اذا قلت له : لا أنت من العروبة في شيء ، ولا من الإسلام في شيء .. ولكنك - فقط - لقيط فى ديار الإسلام !!

* * *

فتنة النظر

إن الإسلام عندما يُشَرِّع فإنه لا يُحَلِّق في أجواء خيالية حالمة ، ولكنه يُشَرِّع لأرض الواقع التي يعيش عليها الناس . . والله عز وجل عندما يأمرنا بَغضّ البصر ، لم يطلب من الإنسان أن يسير في الشارع مغمض العينين ، ليتعثر في الطريق ، أو ليصطدم بجدار ، ولذلك فإننا نجد التوجيه الإلهي يأمرنا أن نَغُضّ من أبصارنا لا أن نَغُضّ أبصارنا بالكُلِّيَّة ، حتى يـــرفع عنـــا الحرج والمشقة . .

فقال تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ، ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾(١) .

﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ، وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾(٢)

والإسلام عندما يأمرنا بِغَضّ البصر ، فانه يحفظ على الإنسان نفسه ، فمن سرَّح ناظره أتعب خاطره ، ومن كثرت نظراته ضاعت أوقاته ودامت حسراته .

وتصور معي شاباً كل هَمُّه أن يخرج ليتسكع في الشوارع قصداً إلى أن يُلاحق بنظره كل رائحة وغادية . .

هل تعتقد أن ذلك سيحقق له الهدوء الجنسي ؟ . . كلا . .

وإنما سيزيد نار الجنس إشتعالاً ، وسيظل ليله ونهاره مسلوب القلب مشتت الفكر . . يتخيل صورة هذه الفاتنة التى من أوصافها كذا وكذا وكيف يلقاها ؟ وأين ؟ ومتى ؟ وبالطبع ليس كل من يراها يستطيع أن يلقاها . . ويظل صاحبنا

---

(١) النـــور : ٣٠.   (٢) النـــور : ٣١.

شارداً في أحلامِ اليقظة يُمَنِّيّ نفسه بالأماني الباطلة ، ويبني قصوراً من الورق على أساس من الرمال ، وفى مثل هذا يقول الشاعر :

وكنت متى أرسلتَ طرفك رائداً　　لقلبك يوماً أتعبتك المنـــــاظرُ

رأيت الذي لا كُـلّهُ أنـت قـادرٌ　　عليه ولا عن بعضه أنت صابرُ

إن في استطاعة كل شاب أن يُمْعِنْ النظر في كل امرأة تقابله ، وفي استطاعة كل شاب أن يسقط فى أوحال الجنس بأي أسلوب . .

ولكن هل تعتقد أن السقوط بطولة ؟

هل تعتقد أن فقد السيطرة على النفس رجولة ؟

كلا . . وإلا لصار كل الساقطين والتافهين من الأبطال . .

إن الطائرة عندما تريد أن تُحَلِّق فى طبقات الجو العليا ، فإن كافة الأجهزة فيها تعمل بكل قوة ، حتى تتمكن من مقاومة معاكسة الهواء لها . . وبذلك ترتفع . . أما عندما يحدث خلل فى أجهزتها فإنك تجدها تهوي إلى الأرض في ثوان قليلة . . والسقوط دائماً ينتهي بكارثة . .

وهكذا الشاب القوي عندما يقاوم شهوته ، ويتحدى ضعفه ، يرتفع ويسمو ، ويُحَلِّق في أجواء الفضيلة ، ويُحقِّق رجولته ، ويُثبت بطولته ، ولذلك فإنه يشعر في أعماقه بلذّة عظيمة . . لذّة الانتصار على النفس .. لذة الانتصار على الضعف .. لذّة النجاح في قهر الشهوة التي تستبعد الآخرين فيخرون تحت وطأتها صرعى نتيجة ضعفهم وخورهم ووهن عزيمتهم . .

وهذه اللذّة هي التي يُعَبِّر عنها الحديث القدسي : بـ « حلاوة الايمان » .

يقول الرسول ﷺ في الحديث الـقدســـي الجليل الذى يرويه عن الله عز وجل: « النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه » (١)

---

(١) رواه أحمد والطبراني .

ويقول الشاعر مشيداً بقوة هذه الإرادة وصلابتها :

ليس الشجاع الذى يحمى مطـيته ... يوم النزال ونار الحرب تشتعل

لكن فتى غَضَّ طرفاً أو ثنى بصراً ... عن الحرام فذاك الفارس البطل

وقد كان النبي ﷺ يؤدب أصحابه بهذا الأدب الرفيع ، فيقول : « ياعليّ ، لا تتبع النظرة النظرة ، فإن لك الأولى ، وليست لك الثانية » (١) .

ولما سأله جابر بن عبد الله عن نظر الفجاءة ؟ . قال له : « اصرف بصرك» (٢) .

إذا علمنا ذلك فإنه ليس عجيباً أن يكون الشاب الذى ينتصر على هواه ، ويقهر شيطانه بغَضّ البصر - ليس عجيباً أن يسمو إلى مرتبة المؤمن الذي خشع قلبه ، واهتزت نفسه من خشية الله فهطلت الدموع من عينيه ، وفي مكانة الجندي المرابط على ثغر من ثغور المسلمين يحرسها ، يقول ﷺ :« ثلاثة لا ترى أعينهم النار : عين حرست في سبيل الله ، وعين بكت من خشية الله ، وعين كفَّت عن محارم الله » (٣) .

وكأن رسول الله ﷺ ينظر من وراء الغيب إلى مجتمعات آخر الزمان ، فيجد المتسكعين على النواصي ، والجالسين على المقاهي وهم يجرحون مشاعر الرائحات الغاديات بعيونهم الجريئة وكلماتهم البذيئة فيوجِّه إليهم هذا التحذير فيقول : «إياكم والجلوس في الطرقات » . قالوا : يارسول الله ، مالنا من مجالسنا بُـدّ ، نتحدث فيها . فقال رسول الله ﷺ : « فإذا أبيتم فأعطوا الطريق حقه » . قالوا : وما حق الطريق يارسول الله ؟ قال : « غَضُّ البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر »(٤) .

* * *

---

(١) أخرجه الترمذي وأبو داود .

(٢) أخرجه مسلم والترمذي وأبو داود .

(٣) رواه الطبراني .

(٤) متفق عليه .

فتنة الخلوة بالأجنبية

خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية . . أسُّ البلاء ، ومصدر الشقاء ، ومادة حية للشبهات والقيل والقال .

ولقد جرَّ علينا بُعْدنا عن الله وعن توجيهات رسـول ه ﷺ فتناً كقطـع الليـل المظلم . . فكم من أسر تحطمت ، وكم من صروح زوجية قد انهارت فوق رؤوس أصحابها نتيجة مباشرة لانسياقهم في ركاب التحلل والتمدين رغم أنهم يرون حضارة الغرب المادية قد بدأت في طور الإنهيار ، ولم يعد هناك ما يمكن أن يُطلق عليه اسم « أسرة » بأي معنى من معاني هذه الكلمة !

وحرصاً من الإسلام على بناء المجتمع الإسلامي النظيف ، فإننا نجد أن جملة التوجيهات الرفيعة التي تساهم في تشييد صَرح هذا المجتمع تحذيره ﷺ من الخلوة بالمرأة الأجنبية فيقول : « لا يَخْلُوَنَّ رجـل بامـرأة فـإن ثالثهما الشيطان »[1] .

وعامة الناس عندنا عندهم نوع من التعـامي ، أو عمـى الألـوان ، فهـم لا يُحلون حلالاً ولا يُحرِّمون حراماً . . حتى إذا وقعت الواقعة لطموا الخدود وشقوا الجيوب ! !

فهذا رجل يحرص على أن يكون أولاده ذكوراً وإناثاً من « الدكاترة » والمهندسين و . . . و . . . . إلى آخره - وهذا شئ لا ينكر عليه - ولذلك فهو يأتي لبناته بالمدرسين (الخصوصيين) . . ويدخل المدرس ، وينفرد بالفتاة في حجرة لا يُعَكِّر صفوها شئ ، اللَّهم إلا سماع وقع أقدام تُقبل من بعيد ، لتُقَدِّم الشاي أو القهوة للضيف العزيز . . . .

---

(١) رواه أبو داود .

ووالله الذي لا إله غيره إننا نستطيع أن ننقل إلى هذه الصفحات من هذا الواقع الأليم مايندى له الجبين خجلاً . . ولله في خلقه شئون .

وإننا هنا لا نتهم كل مدرس بأنه يقلب حصة الـ . . . إلى حصة في الحب والغرام . . كلا . . . فهناك من المدرسين الأفاضل من هم فى طهارة ماء السماء . .

ولكن الإسلام يرفض رفضاً باتاً وقاطعاً وجازماً أن يخلو رجل بامرأة لا تحل له لأي سبب من الأسباب .

ما المانع أن يجلس مع المدرس أحد محارم الفتاة ؟ ليـــس تخويناً لها ، ولا طعناً في أخلاق المدرس ، ولكنه الالتزام بأوامر الله عز وجل : ﴿ وَمَآ آتَاكُمُ الرَّسُولَ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ ﴾[1] .

وإننا نتساءل لماذا لا تكون المبادرة من المُعَلِّم نفسه وهو القُدوة والأسوة بأن يطلب أحداً يجلس معه إلى حين انتهاء الدرس ؟ لا ريب أنه إذا فعل ذلك سيزداد في نظر أهل البيت فضلاً على فضله ، ويكون قد أعتق نفسه من تَبعة الخلوة بامرأة أجنبية عنه . . .

ولقد نصح « عمر بن عبدالعزيز » ميمون بن مهران فقال له : « ياميمون ، لا تَخْلُوَنَّ بامرأة لا تحل لك وإن أقرأتها القرآن ، ولا تتبع السلطان وإن رأيت أنك تأمره بمعروف أو تنهاه عن منكر ، ولا تجالس ذا هوى فيُلقي في نفسك شيئا يسخط الله به عليك » . هذه صورة . . .

وصورة ثانية لشاب يخطب فتاة من أُسرة متحررة متقدمة ، منفلتة من ضوابط الأخلاق . . وتسمح الأسرة العصرية بأن يخلو الخطيب بخطيبته . . وربما ذهب

---

(١) الحشر : ٧ .

بها إلى « السـينما » ويسـيران معاً وقد تأبط كل منهما ذراع الآخر «أنجشيه » .

ويتفرجان معاً على مشاهد الحب والغرام ، والعشـق والهيام . . وما لهما لا يُجَرِّبـان ، وقد أصبحا خطيبين وعما قريب سيصبحان زوجين ؟ . . . وبعد تمنع ورد رفيق ينال الخطيب الحبيب ما ينال . . وتدرك الخطيبة العبقرية – بعد فوات الأوان – أن المحب المتيم ما تركها إلا لأنها سقطت في امتحان الفضيلة الذى عقده لها المحب الولهان .

وصورة ثالثة ، وهي في هذه المرة لصديق شهم يأتي إلى بيت صديقه في غيبته ، فتبرز له زوجة الصديق الغائب . .

– مرحباً وأهلاً .

– أين فلان ؟

– سيأتى بعد قليل ، تفضل حتى يأتى . .

ويدخل الصديق ويجلس مع الزوجة منفردين . . وتتكرر اللقاءات على هذا النمط ، وربما كان هناك أطفال صغار لا يدركون مما يجري حولهم شيئاً

أتدرى فيم يكون الحديث ؟

الجواب . . من الغرب المجرب :

تقول الدكتورة « ماريون » فى مجلة « ريدرز دايجست » : « وإني كطبيبة أعتقد أنه ليس فى الإمكان قيام علاقة بريئة من الشهوة بين رجل وامرأة ينفرد أحدهما بالآخر أوقاتاً طويلة ، وما أكثر ما وقعت الواقعة بينهما ، وكنت – بحكم عملي – أهتم بأولئك الفتيات غير المتزوجات اللاتي يُوشكن أن يصبحن أمهات ، فكنت أسأل بعضهن ممن يتميزن بالذكاء والحس المرهف : كيف أمكن أن يحدث ذلك ؟ . .

فكانت الفتاة تجيبنى قائلة : « لم أستطع أن أضبط نفسي » . . وحتى

الزوجات اللاتي يرتكبن نفس الخطيئة كن ينتحبن قائلات : « لم نستطع أن نضبط أنفسنا » ومع ذلك فقد كان في مقدورهن أن يتفادين الكارثة لو لم يتركن أزواجهن ، ويصاحبن الأصدقاء في أثناء العودة إلى البيت والذهاب إلى النادي».

وصدقت ياسيدي يارسول الله فقد قلت : « لا يَخْلُوَنَّ رجل بامرأة ليست له بمحرم إلا هَمَّ أو هَمَّتْ به » قيل : يارسول الله ، وإن كانا صالحين ؟ قال : « ولو كانت مريم بنت عمران ويحيى بن زكريا » [1] . . .

* * *

(١) ذم الهوى لابن الجوزي .

فتنة الصوت

من سمات الأنوثة البارزة في المرأة ، رقة صوتها ورخامة منطقها ، ومن المعروف فسيولوجياً أن هناك فرقاً بين الأحبال الصوتية للمرأة ، والأحبال الصوتية للرجل « فأحبال المرأة الصوتية قصيرة ورقيقة ، أما الأحبال الصوتية للرجل فهي طويلة وغليظة . وكذلك حنجرة المرأة أصغر من حنجرة الرجل ، والألياف العضلية لحنجرة الرجل أقوى مما يجعل صوته قوياً خشناً عن صوت المرأة الذي يتميز بالضعف إلا في الحالات الشاذة »[1] .

ومن ثَمَّ فقد تكون الفتنة بالمنطق أشد وأقوى من الفتنة بالنظر ، ولا ينبئك خبير مثل هذا الشاعر الداعر الذي وجد في لذّته بسماع صوت المرأة الرقيق عوضاً عن نظره الذي فقده فيقول :

ياقومي أذني لبعض الحي عاشقــة   والأذن تعشق قبل العيـن أحيـانا

قالوا بمن لا ترى تهذي ، فقلت لهم   الأذن كالعين توفي القلب ما كانا

ومن التدابير الوقائية التي اتخذها الاسلام للمحافظة على الفضيلة – أنه وَجَّهَ الخطاب للمرأة المسلمة من خلال زوجات النبي ﷺ – وهن القدوة والأسوة والمثل الأعلى – بألا يخضعن بالقول حتى لا يُطمع ذلك مرضى النفوس ، ويكفي تعبير القرآن الكريم في هؤلاء المتلصصين بأن في قلوبهم مرضاً ، قال تعالى :

﴿ يا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً ﴾[2]

---

(١) من حديث للدكتور محمد شعـلان في مجلة أكتوبر – العدد ٦٧ في ٢٧ صفر سنة ١٣٩٨ هـ .

(٢) الأحزاب : ٣٢ .

والإسلام لا يرضى للمرأة أن تنقلب إلى رجل . . معاملة خشنة ، وصوت أجش ، ومنطق غليظ . . كلا . . فإن هذا مناقض لطبيعتها التي فطرها الله عليها ، ولا يريدها كذلك أن تتكسر في كلامها ، وتترقق في صوتها ، وتتصنع في لهجتها مَداً وغَناً ، فُتحرِّك الشهوات الكامنة ، وتُثير الغرائز الساكنة ، بل يريدها أن تكون معتدلة . . متزنة الشخصية . . جادة في كلامها ، وبذلك تحظى بالاحترام من المجتمع ، وبالأجر العظيم من الله .

يقول الدكتور محمد شعلان : « إن الصوت يعتبر في بعض الحالات دليلاً بارزاً على الحالة النفسية والاجتماعية للكائن الحي . فالمرأة التي تربط بين الأنوثة وبين مشاعر القهر والضعف ، تجدها على سبيل المثال تتشبه بالرجال فيه، وصوتها غليظ ، وبصفة خاصة إذا تحدثت في مجتمع من الناس . وهذا يكشف تلك المحاولة التي تبذلها لإخفاء ضعفها بالنسبة للرجال .

أما المرأة التي تعرف أن سلاحها القوي في أنوثتها تجدها مُفرطة في استخدام صوتها برقة مفتعلة ، وكانت ممثلة الإغراء « مارلين مونرو » تُعَدُّ أكبر مثل على ذلك لأنها كانت تستخدم صوتها بشكلٍ مفتعلٍ وبه إغراء شديد.

أما المرأة العاقلة المتزنة فنجد أن صوتها يأتي طبيعياً ورقيقاً دون افتعال ».

ونحن نقول : إن هذا الصوت الطبيعي المعتدل الخالي من التكسر والإغراء هو قوله تعالى : ﴿ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفَاً ﴾ (١) .

* * *

(١) الأحزاب : ٣٢ .

فتنة الجـوار

كلنا يذكر الوصية التي أوصى بها جبريل رسول الله ﷺ : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » (١)

ونذكر قول الله عز وجل : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ (٢) .

وفي مجال العِرض جعل الإسلام للجار حقاً يضاف إلى حق الإسلام والجَوار هو حُرمة العِرض . . وإذا كانت حرمة العرض تشمل كل مسلم ، فإن الإسلام يشدد ويؤكد على حُرمة عِرض الجار .

وذلك لأن تلاصق الدور قد يؤدي الى تسهيل المعاكسات واقتحام الحُرمات .

ونحن في هذا الزمان أحوج ما نكون إلى التأدب بهذه الآداب العالية ، حيث تجاورت فيه الأبنية والعمارات ، وتلاصقت الشرفات ، وأصبحت الشرفات مناخاً ملائماً لإقامة المراهقين والمراهقات ، وأصبحت معاكسة بنت الجيران وربما ابن الجيران تمثل مشكلة اجتماعية في بعض المجتمعات الإسلامية التقدمية التحررية الاشتراكية . . .

ومن ثَمَّ فإن الإسلام يُولي حقوق الجَوار بالنسبة للعِرض أهمية غير عادية .

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قلت : يارسول الله ، أي الذنب أكبر عند الله ؟ قال : « أن تدعو لله نداً وهو خلقك » قال : ثم أي ؟ قال : « أن تقتل ولدك مخافة أن يُطْعَم معك » قال : ثم أي ؟ قال : « أن تُزاني حليلة جارك » فأنزل الله تعالى تصديقها :

---

(١) متفق عليه .

(٢) النساء :٣٦ .

﴿ وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً * إِلاَّ مَنْ تَابَ﴾[1] .

وفي حديث آخر أن النبي ﷺ قال لأصحابه : « ماتقولون في الزنا » ؟ . قالوا : حرام حَرَّمه الله ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة . فقال ﷺ : «لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره » . قال : « ماتقولون في السرقة » ؟ . قالوا : حرَّمها الله ورسوله فهي حرام .قال : « لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره » [2] .

ورحم الله هذا الشاعر الذي تَخَلَّقَ بأخلاق الإسلام فقال :

ماضـر لي جـار أجـاوره	ألا يكـون لـبابه سـترُ
أعمى إذا ما جارتي خرجت	حتى يُواري جارتي الخِـدرُ
وتُصَّـمُ ما عمـا بينهم أذني	حتى يصيـر كأنه وَقْـرُ [3]

* * *

(١) متفق عليه ، والآية من سورة الفرقان : ٦٨ - ٧٠ .

(٢) رواه أحمد والطبراني .

(٣) سيلاحظ القارئ الكريم أننا اتتنسنا في بحثنا هذا بكثير من أبيات الشعر ، ونذكر في هذا المقام ما قاله الامام محمد عبده . . يقول الامام : « لو أنهم سألوا الحقيقة أن تختار لها بيتاً تشرف منه على هذا الكون ، لما اختارت غير بيت من الشعر » .

فتنة سفر المرأة وحدها

عن أبي قُلابة عن أنس قال : كان النبي ﷺ في سفر ومعه بعض نسائه ، وكان غلام يحدو بهن - يغني للإبل - يقال له أنجشة ، قـــال فقال النبي ﷺ : « ويحك ياأنجشة ، رويدك سوقك بالقوارير » ، أبو قلابة : فتكلم النبي ﷺ بكلمة لو تكلم بها بعضكم لعبتموها عليه ، قوله : « سوقك بالقوارير » (١) .

أنجشة يُغَنِّي ، فتطرب الإبل لحدائه ، فتسرع في السير ، فيقول النبي ﷺ : « ويحك يا أنجشة ، رويدك » خفف وتمهل وأرفق بالقوارير . . والقوارير كناية عن النساء . . شبههن صاحب الأدب العالي والذوق الرفيع بالقوارير ، بالزجاج في الرقة والصفاء والنقاء والضعف . .

ويحس أبو قُلابة كعربي بروعة التشبيه ورقته ، كأنه نوع من المداعبة والمزاح، فيقول : فتكلم النبي بكلمة لو تكلم بها بعضكم لعبتموها عليه ، أي لعددتم ذلك نوعاً من الغزل الصريح بالنساء . .

والإسلام بكل اللطف والذوق والرقة والصيانة يعامل القوارير ، ويغار عليها أن تُخدش ، أو يذهب بصفائها يد تمتد إليها فتلّونها . .

والمرأة هذه القارورة في ضعفها لا تستطيع وحدها أن تكابد مشقات السفر وتبعاته ، فهي في حاجة إلى من يعينها ويحميها من سباع الطريق وذئابه (٢) .

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « لا يَخْلوَنَّ أحدكم بامرأة إلا ومعها ذو محرم ، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم » . . فقام رجل فقـــال : يارســـول الله ، إن امرأتي خرجـــت حاجّة وإني اكتتبـــت في

---

(١) أخرجه البخاري .

(٢) اختار الإمام ابن تيمية القول بجواز سفرالمرأة مع رفقه مأمونة . . وذلك عند عدم وجود المحرم .

غزوة كذا و كذا ، فقال الرسول ﷺ : «انطلق فحج مع امرأتك» [١] .

أيُّ دين هذا الذي يُقَدِّم حماية العِرض على الجهاد في سبيل الله ؟ . .

إنه الإسلام . . حُجة الله على خلقه إلى أن تقوم الساعة . .

وقد يعترض على هذا الأدب بعض التقدميين والعصريين و . . . و . . . فيقولون : إننا في عصر المساواة . . في عصر الأمن والأمان . . في عصر الطائرات والنفاثات و « الجامبو » و « الكونكورد » .

وسأسمح لنفسي هنا بنقل هذه الواقعة كما هي ، ولعلها تُلقم المتنطعين حجراً.

تحت عنوان : « فتاة وحيدة في المطار » كتبت محررة زاوية « أخبار حواء » تقول : جاءتني شابة صغيرة تنتفض من الغضب لتحكي لي ما حدث لها في مطار القاهرة الدولي . . اضطرتها ظروفها القاسية إلى العودة وحدها من الخارج مساء الجمعة ٢٢ من أكتوبر - دون أن ينتظرها أحد في المطار . . ولأنها أول مرة تسافر وحدها . . لم تعرف إجراءات السفر من ملء استمارات ، واستلام حقيبتها وغيرها من الاجراءات المعقدة . . أرجو أن يبحث المسئولون تبسيطها .

وتستطرد المحررة فتقول : ورأى أمين الشرطة حيرتها ووحدتها . . فتقدم لها يساعدها في الإجراءات ، وقبل أن تشكره همس في أذنها : متى أراكِ ؟ وما رقم « تليفونك » ؟ واندهشت الفتاة ، وتركت له قلمها الذي استعاره منها ، ولم تشكره ، وسارت تبتعد عنه ، فما كان منه إلا أن لحق بها وظل يضايقها ويلح عليها في اللقاء حتى خرجت إلى باب المطار وهي تحمل حقيبتها . .

ووسط هذه الحيرة تقدم لها أحد الأشخاص يسألها : هل تريدين تاكسي ؟ فقالت له : نعم أرجوك ، وحمل عنها حقيبتها وسار أمامها ، ولأن الساعة السادسة والنصف مساء فلم تلاحظ الفتاة أن السيارة خاصة وليست « تاكسي » ووضع الرجل الحقيبة علي المقعد الخلفي ، وتقدمت هي لتركب بجوار حقيبتها ،

---

(١) متفق عليه .

ففتح لها الباب الأمامي لتركب بجواره . . فلما قالت له : شكراً سوف أركب بجوار الحقيبة ، قال لها : أنا لست سوّاق « تاكسي » أنا صاحب هذه السيارة الخاصة ، وتنبهت الفتاة إلى أن السيارة ليست تاكسي ، وإنما سيارة « سوداء ».. وقالت له والدموع تخنق صوتها : ألم تسألني إن كنت أريد « تاكسي » . . كيف تتصرف هذا التصرف المخجل ؟ وجذبت حقيبتها من السيارة وراحت تتعثر حتى وحدت تاكسي وركبته وهي تبكي . .

وتُعلّق المحررة على هذه الواقعة – كما تعودنا من كُتّابنا ومفكرينا الأماجد – بتعليق سطحي ساذج فتقول : « وأنا بدوري أقدّم هذه الواقعة المخجلة للمسئولين في المطار ورجال الأمن » [1] .

إن المشكلة – هداني الله وإياك – في الإسلام ومنهجه في تربية الناس . . . في هذا الدين المفترى عليه . . في هذا الدين الغريب في وطنه والمطارَد من أهله . . ماذا يفعل المسئولون ورجال الأمن في الضمائر الخربة ، والذمم الميتة ؟ ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [2] .

ومن أظلم ممن يُعَطِّل شرع الله ويجتهد في عزله عن حركة الحياة ؟ . . فحسبنا الله ونعم الوكيل . . ! !

* * *

---

(١) الأخبار في ٣١ أكتوبر سنة ١٩٧٦ .   (٢) الروم : ٤١ .

فتنة القرابة

هل تكون القرابة فتنة ؟

نعم . . قد تكون كذلك إذا لم تُراع فيها الحُرمات ، والوقوف عند الحدود التي حدّها الله تعالى – الذي خلق الإنسان ، وركّب فيه العواطف والغرائز . .

وهل هناك سواه يعلم مداخل النفس ومخارجها ؟

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [(١)] .

لقد سأل الصحابة يوما رسول الله ﷺ عن أقارب الزوج أو الزوجة من الرجال يدخلون على زوجة الرجل في غيبته – وعادة الناس التساهل في مثل هذه الأمور – ولكن الذي لا ينطق عن الهوى يجيبهم إجابة بليغة قاطعة ، لتكون درساً للأولين والآخرين ، بحيث لا يكون بعدها أي مجال للمناقشة أو الاجتهاد فيقول : « إياكم والدخول على النساء » فقال رجل من الأنصار : أفرأيت الحمو؟ قال : « الحمو الموت » [(٢)] .

أسمعت الإجابة . ؟ الموت . .

فدخول أحد الأقارب من غير المحارم على الزوجة دون وجود ما يمنع الخلوة ، يساوي الموت ، وذلك لأن دخوله وخروجه لا يثير الشبهات ، فربما كان ذلك سببا في تسهيل الحرام . . والإسلام لا يريد أن يضع الرجل أو المرأة موضع الاختبار، بل هو دائماً يعمل على سد الذرائع التي تؤدي إلى الفساد .

أرأيت معرفة بدقائق النفس البشرية أدق من هذه المعرفة ؟

أرأيت بناء للمجتمعات النظيفة أنظف من هذا البناء ؟

فلنتأدب بأدب الله رسوله . . وإذا زار أحدنا صديقه أو أخاه أو قريبه ، فلم يجده ، فليرجع طيب النفس ، وليذكر دائماً توجيه النبوة : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » [(٣)] .

* * *

---

(١) الملك : ١٤ .   (٢) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي .   (٣) متفق عليه .

فتنة اللمس

المرأة تلك المخلوقة الناضرة المتألقة التي تُسبغ على الحياة جواً من السعادة والمتعة والبهجة والرحمة أماً وأختاً وزوجة وابنة . .

هذه الجوهرة المكنونة . . يغار عليها الإسلام من نظرة جائعة أو لفظة جارحة، ويحيطها بسياج من الفضيلة فتبقى بمنأى عن الشبهات . . ليست كلأ لكل راتع ولا متعة لكل ناظر ، ولا نشوة لكل لامس . . ومن هذا المنطلق حَرَّمَ الإسلام على الرجل أن يلمس امرأة لا تحل له . .

وهو بهذا لا يتهم المجتمع بأنه مكون من أناس يحملون نفوساً مريضة . ولكنه - كما قلنا - يهتم بالوقاية قبل العلاج ، ويسد كل الطرق التي يمكن أن تُوصِل في نهايتها إلى الفساد . .

وهذا الخُلُق العالي يضرب فيه الرسول ﷺ المثل الأعلى ، فعن أسماء بنت يزيد قالت : بايعت رسول الله ﷺ في نسوة ، فقال : « فيما استطعتن ». فقلن: يارسول الله ، بايعنا ، فقال : « إني لا أصافحكن ، انما آخذ عليكن ما أخذ الله عز وجل » (١) .

وفي حديث آخر عن أسماء قالت : « كان رسول الله ﷺ لا يصافح النساء » (٢) .

والأحاديث كثيرة في هذا الباب .

ولقد كنت أشرح هذا الحديث في قاعة الدرس فقام طالب مبدياً تعجبه : كيف لا يصافح القريبات والبعيدات ؟ - وقد صارت عادة مصافحة النساء من العادات الجاهلية التي تحكمت في حياة المسلمين - فقلت له : هل يمكن أن

---

(١) المطالب العالية للحافظ ابن حجر .

(٢) رواه أبو يعلى ، وفي البخاري أحاديث كثيرة بهذا المعنى .

تسمح لأحد أن يُسَلِّمْ على أختك متلذذاً بالسلام عليها ؟ فأجاب على الفور : لا . فقلت له : اجلس لقد أوسعت نفسك جواباً . . عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به .

بل إننا نجد أن النبي ﷺ نَفَّرَ من هذا السلوك بصورة عادية فقال : « إياك والخلوة بالنساء ، والذي نفسي بيده ما خلا رجل بامرأة الا ودخل الشيطان بينهما ، ولأن يزحم رجل خنزيراً متلطخا بطين – أو حمأة – خير له من أن يزحم منكبه منكب امرأة لا تحل له » [1] .

وعن معقل بن يسار رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له »[2] .

ولعل الله عز وجل – يرفع الغشاوة من فوق عيوننا لنخصص حافلات للنساء، بدلاً من هذه الفضائح التي تعج بها وسائل المواصلات عندنا على أرض الإسلام وفي دولة العلم والإيمان . . ولله الأمر من قبل ومن بعد .

* * *

(١) رواه الطبراني .

(٢) رواه الطبراني والبيهقي .

فتنة التبرج

التبرج من سمات المجتمعات الجاهلية .. قال تعالى :﴿ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى ﴾ [1] .

والفرق بين التبرج في المجتمع الجاهلي قبل الإسلام ومجتمعاتنا اليوم .. هو أن التبرج في المجتمعات الأولى كان فيه نوع من البساطة أو الجهل ..

أما التبرج في مجتمعاتنا الحديثة ، فهــو تبــرج عــن علــم وبينــة . . تبرج لا يُقاس به تبرج الجاهليات التي ذهبت أدراج الرياح ، لأنه في عصرنا قد تدنى الى مستوى من التبذل والإسفاف ، شاركت في صنعه شياطين الإنس والجن مجتمعين . .

فبيوت الأزياء . . وجدت في جسد المرأة تجارة رابحة . فـــ « مودة » اليوم عند الركبة ، وغداً فوقها بخمسة سنتيمترات ، وبعد غد تزيد مساحة المعروض من خمسة إلى عشرين ، وهكذا دواليك ، وما على القطيع إلا أن يُنَفِّذ توجيهات وتعليمات بيوت أزياء الشيطان في باريس (كعبة التعري والمودات) . .

ومصانع التجميل ، لم تجد أروج من إنتاج الشعور والرموش الصناعية والمساحيق والمعاجين والأصباغ . .

فهذا مسحوق للبشرة الشقراء ، وهذا للبيضاء ، وهذا المعجون يستعمل مساءً، وذاك صباحاً ، وذلك عند النوم ، وهذا كحل فيه من الزفت شبه كبير . . وهذه صبغة تُصبغ بها الأظافر الطويلة التي تَكَدَّس خلفها ملايين الجراثيم ، حتى تغدو المرأة بعد استعمالها وكأنها أنشبت أظفارها في فريسة فلوثتها بالدماء .. وبفضل هذه « البويات » ذوي الجمال المطبوع وبرز الجمال المصنوع ... و :

---

(١) الأحزاب : ٣٣ .

ذبلت أزاهير العَفاف وسُعِّرَت   في الحرب نار للهوى شــــعواءُ
عجباً لمن صبغوا الوجوه بأحمرٍ   إذ ليس في تلك الوجوه حياءُ !!

ومحال « الكوافير » . . وما أدراك ما هي ؟

مستنقع للوباء الخُلُقي ، ووكالات أنباء لأسرار البيوت ، وساعات من العمر - لا ترجع - تنفقها المرأة رخيصة تحت « السيشوار » ، ولمسات فاجرة على شعرها ووجهها من رجل أجنبي عَنْها ، وربما امتدت الأيدي بحجة التجميل الى غير ذلك . . وكثيراً ما تكون الخلوة الكاملة لرجل أجنبي بامرأة أجنبية عنه . . وتحت يدي الآن مهازل نشرتها الصحف عن هذه المستنقعات ، ولكنني سأضرب عنها صفحاً ، فنحن - والحمد لله - نُحسد على معلوماتنا في هذا المجال . .

ماذا بقي في لعبة المرأة . . ؟

بقي الكثير . . .

مصانع الأحذية ، وهي الأخرى لها « مودات » و « موديلات » .. فهذا حذاء مكشرف يُبدي الأظافر الملوثة بالأصباغ ، وهذا نعل ذهبي يلف قدمي المرأة الرقيقتين بغلالة كأنها الذهب . . وهذا حذاء يُلبس من الساق إلى القدم ، وتلتف أليافه على الساق حتى تبدو السيقان أكثر جمالاً . . الحذاء أسود ، والساق بيضاء ، وبضدها تتميز الأشياء . .

وحذاء آخر كعبه من الألومنيوم . . وهذا له شأن آخر ، فكعبه العالي يُستعمل كآلة موسيقية في السير وخاصة في صعود السلم وفي الهبوط إلى السفح . . وقد كنت في مصلحة حكومية أنجز فيها بعض مطالبي ، فسمعت أحد الموظفين يقول موجهاً الحديث إلى زملائه : إنني أعرف فلانة عندما تنزل على السلم ، فسأله زملاؤه : وكيف ؟ قال : أعرفها بحذائها ، فإن له نغمات موسيقية خاصة أُميزها به وأُميزه بها !!

فقلت : رحم الله نسوة تأدبن بأدب القرآن :

﴿ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾ (١) .

ولم تقتصر التجارة على مطالب الفتنة في جسد المرأة بل امتدت التجارة إلى جسدها نفسه . .

فهذا محل تجاري تعمل فيه فتيات فاتنات لجذب العملاء !!

وهذه مجلة جنسية تعرض جسد المرأة شبه عار على صفحاتها لترفع رقم التوزيع !!

وهذه شركة للطيران تختار مضيفات لهن مقاييس جمالية معينة ، وذلك لتُدخل المضيفة البهجة والسرور والحبور على المسافرين على خطوطها ، ولتجعل منها متحفاً للمساحيق والألوان يُعرض على الراكبين ، حتى يُخفف عنهم قطع الفيافي والقفار !!

وهذا مستشفى يُعالَجُ فيه الرجال والنساء . . جل عاملات التمريض فيه من الفتيات ! . . ألا يصلح الرجال لهذه المهنة ؟ وهل من الصعب العسير علينا أن نجعل الرجال يُمَرِّضون الرجال ، والنساء يُمَرِّضن النساء ؟ كلا .. إننا نريدها أنثى لتُرَفِّه عن المرضى بابتسامة عذبة تُضيء من بين ثناياها ، ويد حانية يكون وقعها على المريض برداً وسلاماً . .

وكان من ثمرات هذا التبرج الفاضح ، والاختلاط المزري أن أُضيف إلى الأدب العربي المعاصر موضوع جديد في الشعر هو « الغزل في المضيفات والممرضات » .

يقول أحد المتغزلين في المضيفات :

مضيفــة تخطر في الأعالي	كأنها الملاك في خـــيالي
لـطيفة الخـطو والـتثني	في غير ما كِبْر ولا اختيال
بسـمتها الحلوة في حـياء	طارت بعقلي وقضت خبالي
ياليتـنا في الجو ما برحـنا	لم نهبط الأرض من الأعالي

(١) النور : ٣١ – ونعتقد أن هذا التفسير لا يأباه معنى الآية والعبرة لعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

ويُقابَل هذا النوع من الغَزَل بدعوة إلى نبذ هذه الوظيفة التي تمتهن كرامة المرأة ، وتجعل منها سلعة رخيصة في سوق الشهوات . . يقول صاحب هذه الدعوة :

تبدو المضيفة في ابتسام تكلف ... في خدمة وعناية « بزباين »
تجلو جمالاً في صباغة خدها ... وحواجب صُفت لنشر محاسن
مُتَكَلَّفٌ ذاك الجمال وتحته ... قبح تَستَّرَ تحت كل مكامن
فكأنها تعطيك فيه «معرضاً» ... والعَرَض يجلب كل شخص خائن
إن المضيفة عورة مكشوفة ... أبداً لعمري ما لها من صائن
إن كان فيها للحديث لطافة ... فالخُلُق مخدوش لها في الباطن
....

وهذا شاعر مريض نسى مرضه ، وأصيب بداء جديد هو نظرات ممرضتيه فيقول :

خليلي هل تأسو المراض خريدة ... بقامتها الهيفاء سهم من الحتف
لعمري ما دائي سوى نظراتها ... وبلسمي الشافي لديها وما أخفى
وقد عالجوا نصفي بكف رقيقة ... وبالسحر من عينيها أهلكوا نصفي

ويرد شاعر آخر على هذا اللون من الوظائف التي تجعل من المرأة معرضاً لعبث العابثين ، ونظرات المفتونين فيقول :

إن الممرضة التي في حسنها ... وجمالها ودلالها الفتّانِ
ماست بمستشفى لعرض مفاتن ... بتصنع تغزو لكل جنانِ
لحم على وضم يُباع رخيصة ... للعابثين بأبخس الأثمانِ
كبضاعة في متجر معروضة ... للناس من قاص بها أو دانِ
أترى فتاة لا ترد للامس ... كفاً لها كل العيون رواني ؟

كلا .. فما أخلاقها مضمونة ولو أنها جذبت بحلو لسانِ

إن الحضارة لا تكون حضارة يبدوا بناها ثابت الأركانِ

إلا على الدين الحنيف وعفة نبتت على الأخلاق والعرفانِ

لا خير في أمم يميت خلالها سعي الجميع لأصفر رنانِ

وإذا الدخيل تصرفت أفكاره يوماً بشعبٍ فهو في تيهانِ

بل سوف يصبح لقمة لثعالب وفريسة العادي من الذؤبانِ (١)

وهذا . . وهذا ماذا ؟

ذلكم إعلان في الصحف السيّارة : « مطلوب سكرتيرة حسنة المظهر » .

ولماذا حسنة المظهر ؟

هل ستكتب على الورق بوجهها الوضّاء ، أم بقامتها الهيفاء ، أم يريد سعادة المدير تكييفاً أنثوياً داخل مكتبه ؟ . . ومكتب فخامته مغلق دائماً ، وربما الضوء الأحمر يُشير إلى من يريد الدخول عليه بأن فخامته مجتهد في التخطيط لينقذ الاقتصاد العالمي من الانهيا ر . .!!

وهذا نموذج مضحك مبك لمن اقتدينا بهم ، وتعبدنا في محرابهم . .

نشرت مجلة « حضارة الإسلام » في مجلدها الثاني تقول :

طلبت « جوزيبي » الطلاق من زوجها في شهر العسل ، ووقفت تبكي أمام القاضي وهي تروي له قصتها :

قالت : « لقد احتفلنا بزواجنا في الأسبوع الماضي ، وقررنا أن نمضي شهر العسل على شاطئ البحر ، ولكني صُدمت في اليوم التالي ، عندما وجدت فتاة شقراء جميلة تشاركنا في شهر العسل ، لقد قال لي زوجي : إنها سكرتيرته الخاصة ، وأنه لا يستطيع أن يستغنى عنها لحظة واحدة . . .

---

(١) انظر المضيفات والممرضات في الشعر المعاصر - لعبد الرحمن المعمر .

ولم يكن ممكناً أن أحتمل وجود امرأة أخرى وهي تجلس أمام زوجي «بالمابوه» ليملي عليها خطاباته ، ويمضي معها نصف شهر عسلي أنا . .

وطلب القاضي من الزوج أن يختار بين الزوجة والسكرتيرة . .فخرج وهو يتأبط ذراع سكرتيرته » !!

مهازل ومآس تجل عن الحصر ، واستغلال وقح لأنوثة المرأة . . وللأسف الذي يعتصر القلوب المؤمنة حسرة وأسى ، أن دعاة تحلل المرأة من قواد الفساد قد نجحوا في إقناعها داخل ديار الإسلام بمفاهيم مزيفة حتى بات دورها في المجتمع لا يتعدى لحماً طرياً معروضاً ليحط عليه الذباب ، وجسداً شهياً مبرقشاً لا يصلح إلا متعة فراش .

ونسيت المرأة وتناست تكريم الإسلام لها ، والذي ألمعنا إلى جانب منه في الصفحات السابقة . .

نسيت أنه جعل منها إنسانة لها من الحقوق الأساسية في المجتمع مثل ما للرجل تماماً ، غير أنه نأى بها عن مواطن الشبهات ، وعما لا يمكن أن يحتمله تكويننا الرقيق . .

نسيت أن الإسلام لم يجعل منها كماً مهملاً في المجتمع المسلم ، بل جعل لها دوراً إيجابياً فعّالاً في حركة هذا المجتمع .

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ، وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ، ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١)

ولقد كانت المرأة في صدر الإسلام تُجير على المسلمين ، فيُجيرون من تُجير إعزازاً لها واعترافاً بمكانتها السامية في المجتمع الإسلامي النظيف : أجارت

---

(١) التوبة : ٧١ ، ٧٢ .

أم هانئ بنت أبي طالب رجلاً من المشركين يوم الفتح ، وأراد عليٌّ قتله ، فأتت النبي ﷺ ، فذكرت ذلك له ، فقال لها : « قد أجرنا من أَجَرْتِ وأمّنا من أمّنت»(١) .

نسيت أنه كرّمها طفلة صغيرة ، فقال ﷺ : « من كانت له أنثى فلم يئدها ، ولم يؤثر ولده عليها ، أدخله الله الجنة » (٢) .

وقال : « من ابْتُلِيَ من هذه البنات بشئ فأحسن إليهن كُنَّ له سِتراً من النار»(٣) .

وقال : « لا يكون لأحدكم ثلاث بنات – أو ثلاث أخوات – فيحسن إليهن إلا دخل الجنة » (٤) .

وكرّمها زوجة فقال تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالمَعْرُوف ، فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىَ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾ (٥) .

وقال ﷺ : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي » (٦) .

وكرّمها أماً . . فبعد أن وصّى الله تعالى بالوالدين معاً تحدّث عما تُكابده الأم وتُعانيه من مشقات عظيمة ، مبالغة في التوصية بها فقال :

﴿ وَوَصَّيْنَا الإنْسَانَ بِوَالِدَيْه إحْسَاناً ، حَمَلَتْهُ أُمُهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً ، وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً ﴾ (٧) .

وعن معاوية بن جاهمة رضي الله عنهما ، أنه جاء إلى النبي ﷺ فقال: يارسول الله ، أردت أن أغزو ، وقد جئت أستشيرك ، فقال : « هل لك من أم»؟ قال : نعم ، قال : « فالزمها ، فإن الجنة عند رجليها »(٨)

---

(١) حديث شريف .
(٢) رواه أبو داود .
(٣) من حديث رواه البخاري ومسلم.
(٤) أخرجه الترمذي .
(٥) النساء : ١٩ .
(٦) رواه ابن ماجه .
(٧) الأحقاف : ١٥ .
(٨) أخرجه النسائي .

وكرّمها رَحماً فقال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأرْحَامَ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (١) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : يارسول الله، إني أصبت ذنباً عظيماً ، فهل لي من توبة ؟ فقال : « هل لك من أم » ؟ قال : لا ، قال : « فهل لك من خالة » قال : نعم ، قال : «فبرها »(٢) .

وكرّمها في الدنيا والآخرة ، وجعلها في الجنة أفضل من الحور العين . . سألت أم سلمة رسول الله ﷺ : يارسول الله ، نساء الدنيا أفضل أم الحور العين ؟ قال : « نساء الدنيا أفضل من الحور العين ، كفضل الظهارة على البطانة » ، قالت : يارسول الله ، وبِمَ ذلك ؟ قال : «بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله عز وجل . . ألبس الله وُجوههن النور ، وأجسادهن الحرير . . بيض الألوان ، خضر الثياب ، صفر الحُلَى . . مجامرهن (٣) الدُّر ، وأمشاطهن الذهب ، يقلن : ألا نحن الخالدات فلا نموت أبداً . . ألا ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً . . ألا ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً . . ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً . . طُوبى لمن كنا له وكان لنا . . » (٤) .

هذا بعض تكريم الله فأروني بِمَ كرّمتها المجتمعات « التحررية » ؟

جعلتها « ساعية بريد » - إي والله لا أمزح - ساعية بريد تصعد إلى الشقق لتطرق الأبواب ، وتستفسر عن الأسماء . . وسقطت التجربة . . تجربة مدرسة البريد التي تتخرج فيها موزعات البريد ، واستمعوا إليهن وهن يتحدثن إلى صحيفة الأخبار التي نشرت عوامل إخفاق التجربة وسقوطها . . . وسأحتفظ بالأسماء متأدباً بأدب القرآن الكريم (٥) .

---

(١) النساء : ١ .

(٢) أخرجه الترمذي .

(٣) المجامر مفردها : مجمر وهو مايوضع فيه الجمر مع البخور .

(٤) من حديث رواه الطبراني

(٥) لم يصرح القرآن باسم امرأة قط إلا مريم ، وذلك لينفي عنها ما اتهمت به ظلماً وزوراً وليُثبت نبوة عيسى عليه السلام .

تقول « فلانة » المتخرجة في مدرسة البريد والتي عملت لمدة ستة شهور فقط والآن تعمل كفرّازة داخل مكتب البريد ، تقول : لم أحتمل هذه المهنة أكثر من ستة أشهر نظراً لما واجهته من مضايقات سخيفة في أثناء السير وتوصيلي للجوابات .

فمثلا مرة وأنا في طريقي إلى العمل ، واجهنا مجموعة من الشباب حاولوا جذب حقيبة المراسلات من يدي علاوة على الألفاظ التي أسمعها : « ياواد ياجميل يابتاع البوستة » و « بوستة بوستة ، مفيش حاجة من أجلي ياجميل ».

أما « فلانة » فتقول : لقد تعرضت لمضايقات جعلتني أترك العمل فوراً . . ففي أثناء تأدية عملي . . كان عليّ أن أُوصل جواباً إلى صاحبه ، لأنه جواب مسجل . . ويجب أن يُوقع عليه ، فهاجمني صاحب الجواب ، وخطف مني حقيبة المراسلات . . وطلب مني أن أدخل شقته . . ولم أجد إلا الصراخ أمامي لإنقاذي . . لأنني لو عدت الى مكتب البريد بلا حقيبة المراسلات سيتسبب ذلك في فصلي من العمل ، وإذا حاولت أن أجذبها من هذا الوقح الذي هاجمني سوف أتعرض لمخاطر أكثر . . وجاء بّواب العمارة على صراخي وأنقذني بأعجوبة وعدت باكية إلى عملي . . . !!

هذا غيض من فيض من تكريم المرأة في مجتمعاتنا « التقدمية » . . وهو لا يحتاج الى تعليق . .

وفي الوقت الذي كرّم فيه الإسلام المرأة . . حَذّرَ كل التحذير من استغلال أنوثتها ، فقال تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَاللَّهُ يَعلَمُ وَأَنْتُمْ لاَتَعْلَمُونَ﴾[1] .

وحذّرها هي أيضاً أن تجعل من جسدها مِعْوَل هدم يُورد المجتمع موارد الشقاء

---

(١) النـــــور : ١٩ .

فقال ﷺ : « مثل الرافلة في الزينة في غير أهلها ، كمثل ظلمة يوم القيامة لا نور لها » [١] .

وقال أيضاً : « أيُّما امرأة استعطرت فمرَّت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية » [٢] .

وقال أيضاً : « صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليُوجد من مسيرة كذا وكذا » [٣] .

وفي نهاية الحديث عن التبرج ، أُقدِّم لفتياتنا هذا النموذج الرفيع للمرأة المسلمة في صدر الإسلام :

جاءت امرأة إلى النبي ﷺ - يقال لها أم خلاد - وهي منتقبة تسأل عن ابنها وهو مقتول ، فقال لها بعض أصحاب النبي ﷺ : جئت تسألين عن ابنك وأنت منتقبة ؟ فقالت : إن أرزأ ابني فلن أرزأ حيائي . فقالَ لها النبي ﷺ : « ابنك له أجر شهيدين » قالت : ولم ذاك يارسول الله ؟ قال : « لأنه قتله أهل الكتاب » [٤] .

أرأيتن هذا الإيمان الراسخ الشامخ . . إن قتل ابنها لم يُعصف بعواطفها ، ولم يُطر عقلها ، ولم يُفقدها صوابها ، فذهبت إلى رسول الله ﷺ رابطة الجأش، ثابتة القلب ، محتشمة الملبس ، لتسأله عن ابنها الشهيد ، فيتعجب أحد جلساء النبي ﷺ من قوة إيمانها وثبات جَنانها ، فيقول لها : جئت تسألين عن ابنك وأنت ملتزمة أقصى حدود الاحتشام ؟ . فترد عليه بكلمة مُشَرقة بمعاني الإيمان العميق ، والتسليم المطلق لقضاء الله رب العالمين : إن أرزأ إبني فلن أرزأ حيائي - إن كنت قد أُصبت في ابني فلن أُصاب في حيائي .

إن أمة محمد ﷺ لتفخر بأن يكون من بين نسائها أمثال « أم خلاد » !

* * *

---

(١) أخرجه الترمذي .

(٢) رواه النسائي وأبو داود والترمذي .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه أبو داود .

فتنة الاختلاط

لا نتصور أن الفعلة الشنعاء بين رجل وامرأة ، يمكن أن تتم من أول وهلة . . بل تسبقها مقدمات ، وإعداد واستعداد . . نظرة من هنا ، فابتسامة من هناك.. فسلام . . فكلام . . فموعد . . فلقاء . . ففضيحة ذات أجراس . .

وكذلك دعاة الإلحاد والتحلُّل ، فإنهم لا يسرقون الفضيلة من المجتمعات عنوة، ولكنهم ينتهجون سياسة الخطوة خطوة ، كاللِّص الذي يحسب مواقع أقدامه حتى لا ينتبه له أحد . .

فهم اليوم يدعون إلى تعليم المرأة ، فإذا تَمَّ ذلك ، فدعوة الى السفور ، فإذا تَمَّ ذلك ، فدعوة إلى اختلاط الجنسين ، فإذا تَمَّ ذلك ، فدعوة إلى زواج التجربة، فإذا تَمَّ ذلك فدعوة إلى إباحة الجنس ، ثم مَلَلٌ من الجنس مع المرأة ، فليكن التغيير بإباحة الشذوذ الجنسي . . وهكذا إلى أن تنتقض عُرَى الأخلاق عُروة عُروة حتى يصل المجتمع إلى الهاوية . .

وعبيد الغرب عندنا في ديار الإسـلام ، قد نجحوا في هذا المضمار نجاحاً لا نظير له ، وشايعهم على ذلك الحُكَّام الذين لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه ، ومن العمل الصالح إلا تمثيليات يجيدون حبكها أمام الجماهير في المناسبات ذراً للرماد في العيون .

نادوا بالاختلاط وقالوا : إنه ضرورة نفسية واجتماعية ، وبالاختلاط تختفي العُقَد ، ويتلاشى الشعور بالخجل في وجود الجنس الآخر . . والاختلاط يؤدي إلى الإشباع العاطفي . . والاختلاط يُعَلِّم الذوق في حضور الجنس الآخر . . إلى آخر الأوهام التي تُعشش في أدمغة النوابغ من عباقرة أُمتنا .

وكان الاختلاط ، وطُبِّقَ على طول البلاد الإسلامية وعرضها ما عدا القلة القليلة . . ونظرنا إلى الاختلاط الذى سيحقق هذه المعاني ، فإذا هو نار في

الهشيم تحرق . . نار وقودها الأجيال المسلمة تعيسة الحظ . . وسأعرض عينة .. وعينة مخففة من هذا الاختلاط (البرئ) :

في جريدة الأخبار ، وتحت عنوان « حديث عن الحب » أرسلت هذه الخطابات تطلب من محررة زاوية « الجنس الآخر » حلاً لها . . تقول المحررة :

« وقعت خطابها بإسمها الكامل ، ولكنها طلبت الإشارة الى الاسم بالحروف الأولى فقط وهي « أ . أ . أ . » بسبب الموضوع الشائك الذي طلبت عرضه ومناقشته ، ولا شك أنه يُعتبر شائكاً بالنسبة لطالبة جامعية في سنها الصغير ، لأنه يدور حول الحب في الجامعات بين الزملاء والزميلات . . وهذا ملخص الخطاب :

« إن المشكلة التي أود عرضها هي مشكلة الحب داخل الحرم الجامعي ، وإلى أي مدى يعتبر صحيحاً أو صالحاً لأن يكون بداية لمشوار الحياة ورحلة العمر . .

هل يمكن أن يفتح زميل وزميلة قلبيهما للحب أثناء الدراسة ، فيعيشا أربع سنوات مع الأحلام الحلوة ، والآمال العريضة ، لبناء بيت زوجية سعيد ؟ .. واذا حدث وتقدَّم للفتاة بعد ذلك عريس لُقطة – على حد قول الناس – هل تحاول أن تنسى حبها الأول ، وتُفَضِّلُ على زميلها ذلك العريس المستعد لدفع المهر وكَتَب الكُتَّاب ، أم تظل متمسكة بحبها القديم ؟

هل كل قصص الحب التي نسمع عنها في الجامعة مجرد أحلام يمر بها الشباب في هذه المرحلة ، لعلها تعتبر من ضروريات هذه المرحلة ؟ وما هو فارق السن المعقول بين الشاب والفتاة ؟ إنني شخصيا – والكلام لا يزال للطالبة الجامعية « أ . أ . أ . » – لا أشجع الحب في الجامعة ، ولا أحاول الارتباط بأي زميل . لقد باح لي أحد الزملاء بحبه ورغم أنه يمتاز بعقلية ممتازة ، وذكاء كبير ، فقد أخبرته أن شعوري نحوه لا يتعدى الزمالة والأخوة . . لقد رفضت أن أبادله الحب والأحلام لمجرد أنني لا أؤمن بالحب في فترة الدراسة . إن مشكلتي تواجه كثيرين من الزملاء والزميلات ، ونريد مناقشتها . . . » .

تقول المحررة : وتلقيت خطاباً من طالب لا يزال في سنته الأولى في الجامعة ، والخطاب مكوَّن من (ثماني صفحات) يقول فيه : إنه وقع في غرام زميلته الجميلة الأنيقة جداً ، وأن حبــه منعـه من الأكل والنـوم والاســتذكار ، وأنه لا يستطيع أن يبوح لها بحبه ، لأنها لا تعرفه ولا تشعر بوجوده ، ولذلك يفكر في الانتحار ! !

وخطاب من طالبة تقول فيه : إنها وقعت في غرام أستاذها ، وأنها تنتظر محاضراته بفارغ الصبـر ، ولكنها لا تفهم شيئاً ، وأنها تعلم أنه متزوج ولكن لا تستطيع أن تنساه ، وأنها أقسمت أن تظل مخلصة له طول الحياة [١] .

وإلى محررة الزاوية نفسها أرسلت فتاة تبحث عن حل لمشكلتها . . فكتبت تقول لها : أنا في بداية دراستي الجامعية ، وفي الثامنة عشرة ، وعلى جانب كبير من الجمال والأناقة والذكاء - تصف نفسها . .

تقول : وقعتُ في غرام مُعيد شاب في كُليتي ، التقيت به في مدرج الجامعة في فصل غير فصلي . . تقول : وكأنني بفتى أحلامي يقف أمامي . . بهرني كل شئ فيه : شعره الغزير . . قوامه الممشوق . . بسمته الفاتنة . . عيونه الساحرة . . صوته الرخيم . . حتى جلسته ووقفته ، وطريقة إلقائه المحاضرة . . طيرٌ عقلها . . وهي من ساعة أن رأته تحلم ، وتُفكر ، وتسرح ، وتسأل : كيف أستطيع الوصول إليه ؟ كيف أبَلِّغهُ إعجابي به ؟ هل أكتب إليه خطاباً ، أوأرسل إليه زميلة أو زميلاً يشرح له حبي ؟

هذا هو الاختلاط « البرئ » الذي يُخَفِّف ضغط الغريزة ، ويُؤدي إلى الري العاطفي ! !

هذا هو الاختلاط « البرئ » الذي يُبَدِّد الطاقات ، ويقتل الملكات ، ويسبب العُقَد ، ويُصيب بالخيبة والإحباط كل فتى وفتاة ! !

---

(١) الأخبار في ١٤ من ربيع الأول سنة ١٣٩٩ هـ .

فتاة تبدو متماسكة ، وزميلها يُفضي إليها بحبه ، وفتى معجب من بعيد ، ومحب من طرف واحد ، وتُحَدِّثه نفسه بالانتحار ، وثالثة ، تحب أستاذها المتزوج وتُقسم أن تظل مخلصة له مدى الحياة . . ورابعة أسرها قَدّه المشوق وقامته الهيفاء وطلعته البهية . . ولو كانت تُخفي وراءها طِباعاً سافلة . .

وما الحسن في وجه الفتى شرفاً له إذا لم يكن في فعله والخلائقُ

اختلاط « برئ » . . وطوفان رهيب من الأزيــاء و « المــودات » تَغُصُّ به « صالات » الجامعات : أقصد قاعات الجامعات المختلطة .

أين الفطرة التي فَطَرَ اللّهُ الخَلق عليها من تجاذب بين الجنسين . . ؟ أهي في غيبوبة ؟

أين وَقدة الجنس ، التي تلتاع بين جوانح هذا الشاب المسكين . . ؟ أهي في إجازة ؟

أين الخلفيات التي يعرفها الجنسان عن الحب ، والتي شحنتها وسائل الدمار من أُغنية في الحب إلى مسلسلة في الحب إلى فيلم في الحب إلى قصة عن الحب إلى . . . ؟ ألا يحن الجنسان إلى تجربة ؟ ما لكم كيف تفهمون . . ؟

هل رأيت الأمان في مكان به أعواد الثقاب المشتعلة بجوار براميل البارود ؟

هل رأيت إنساناً يغرق في البحر ثم لا يبتل ؟

هل رأيت إنساناً يُلقى في جهنم ثم لا يحترق ؟ . . نعم جهنم . . جهنم الأزياء ، والأصباغ ، والمساحيق ، والألوان الفاقعة ، والبشرة اللامعة ، والجمال الفاضح ، والفتنة التي يحركها الشيطان !![1] . .

هذه الأسئلة سيُجيب عنها دعاة الاختلاط بـــ : نعم ، لأنهم يفكرون بلغة أجهزتهم السفلية الحيوانية ، لا الأجهزة العلوية الإنسانية في رؤوسهم .

---

(١) والشباب مكلّف شرعاً بتجنب هذه الفتن كحد أدنى إذا لم يستطع التغيير .

تقول الكاتبة الشهيرة « اللادي كوك » بجريدة ألايكو :

« إن الاختلاط يألفه الرجال ، ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها ، وعلى قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا ، وهنا البلاء العظيم على المرأة ، فالرجل الذي علقت منه يتركها وشأنها تتقلب على مضجع الفاقة والعناء ، وتذوق مرارة الذل والمهانة والاضطهاد ، بل الموت أيضا . . أما الفاقة فلأن الحمل وثقله والوحم ودُواره من موانع الكسب الذي تُحَصِّل به قوتها ، وأما العناء فهو أن تصبح شريرة حائرة لا تدري ماذا تصنع بنفسها ؟

وأما الذُّل والعار ، فأي عار بعد ؟ وأما الموت فكثيراً ما تبخع المرأة نفسها بالانتحار وغيره .

هذا الرجل لا يُلِمُّ به شيئ من ذلك . وفوق هذا كله تكون المرأة هي المسئولة وعليها التبعة مع أن عوامل الاختلاط كانت من الرجل . .

أما آن لنا أن نبحث عما يُخفف - إن لم نقل عما يُزيل - هذه المصائب العائدة بالعار على المدنية الغربية ؟ أما آن لنا أن نتخذ طرقاً تمنع قتل ألوف الألوف من الأطفال الذين لا ذنب لهم بل الذنب على الرجل الذي أغرى المرأة المجبولة على رقة القلب المقتضى تصديق ما يُوسوس به الرجل من الوعود ويُمنِّي به من الأماني ، حتى إذا قضى منها وطراً تركها وشأنها تقاسي العذاب الأليم.

يا أيها الوالدان : لا يغرنكما بعض دُريهمات تكسبها بناتكما باشتغالهن في المعامل ونحوها ، ومصيرهن إلى ما ذكرنا . علِّموهن الابتعاد عن الرجال ، أخبروهن بعاقبة الكيد الكامن لهن بالمرصاد ، لقد دلَّنا الإحصاء على أن البلاء الناتج من حمل الزنا يعظم ويتفاقم حيث يكثر اختلاط النساء بالرجال . . ألم تروا أن أكثر أمهات أولاد الزنا من المشتغلات في المعامل والخادمات في البيوت ، وكثير من السيدات المعرضات للأنظار ؟ ولولا الأطباء الذين يعطون الأدوية للإسقاط لرأينا أضعاف ما نرى الآن ، لقد أدت بنا هذه الحال إلى حد من الدناءة لم يكن تصورها في الإمكان ، حتى أصبح رجال مقاطعات من بلادنا

لا يقبلن البنت زوجة ما لم تكن مجربة ، أي عندها أولاد من الزنا ينتفع بشغلهم . . وهذا غاية الهبوط بالمدنية . .

فكم قاست هذه المرأة من مرارة هذه الحياة حتى قدرت على كفالتهم ، والذي علقت منه لا ينظر إلى أولئك الأطفال ولا يتعهدهم بشيء ، ويلاه من هذه الحالة التعسة .. تُرى من كان معيناً لها في الوحم ودواره ، والحمل وأثقاله ، والوضع وآلامه ، والفصال ومرارته » ؟ [1] .

هذا في الغرب . .. أما عندنا فمن أراد أن يطلع على وجه الاختـــلاط القبيح ، فليقرأ كتاب « المرأة والصراع النفسي » [2] ، ليجد إحصاءات مخجلة عن الممارسات الجنسية المحرّمة ، والتي أخجل من تسطيرها على هذه الصفحات ، وليعلم الجميع كيف يعمل سرطان الاختلاط في جسد الأمة الإسلامية وفي ظل عقول النوابغ والمفكرين ، من عباقرة أمتنا .. وإنا لله وإنا إليه راجعون . .

* * *

إن هذا الاختلاط المروّع ، قد هبط بالمرأة في نظر الرجل من سمائها العالية إلى أرضها السافلة المخضبة بالأوحال . . اختفى الحب الروحي وبرز الحب الجنسي . . اختفى الإلهام . . اختفى الإبداع . . اختفى الحلم الجميل لخيال المرأة الساحرة الفاتنة . .

وزادني كَلَفاً في الحبِ أنْ مَنَعَتْ أحبُّ شيءٍ إلى الإنسانِ ما مُنِعَا

يقول الأوائل : « كان الرجل يحب الفتاة فيطوف بدارها حَوْلاً يفرح أن يرى من يراها ، فإن ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الأشعار . واليوم يشير إليها وتشـــير إليـه فـيعـدها وتعده ، فإذا إلتقيا لم يـشـك حبـــاً ، ولـم ينـشـد شـــعراً و . .....» .

---

(١) حقوق النساء في الإسلام – لمحمد رشيد رضا ص ٧٧ ، ٧٨. (٢) للدكتورة نوال السعداوي .

ولقد كان الشاعر العربي يُصَوِّر المرأة تصويراً يُنبئ عن مدى مكانتها في نفسه . . يقول الشاعر :

حُبَيْشُ أجمل أَمْ ظبي برابيةٍ	لا ، بل حُبَيْشَةُ مِنْ دُرٍّ ومِنْ ذَهَبِ

ولقد تحوّل هذا الدُّر والذهب إلى تراب وطين وماء . . تحلّل إلى عناصره الأولية ، وصارت المرأة لعبة الرجل . . بضع عبارات محفوظة ، ولبس القناع الزائف ، وحبك تمثيلية الحب ... ثم تَخِرُ ليلى تحت أقدام قيس . .

إن من أروع ما نقرأه في شعر الغزل العربي هو هذا الإلهام ، وذلك الإبداع الذي أوحى به خيال المرأة المتمنعة . . المرأة المصونة . . المرأة التي لم تكن كلأً لكل راتع . .

يقول قيس :

فما طلع النجم الذي يُهتدي به	ولا الصبح إلا هيجا ذكرها ليا
ولا سرت ميلاً من دمشق ولا بدا	سُهيل لأهل الشام إلا بدا ليا
ولا سُميت عندي لها من سمية	من الناس إلا بَلّ دمعي ردائيا
ولا هبت الريح الجنوب لأرضها	من الليل إلا بتُّ للريح حانيا
فياليل كم من حاجة لي مهمة	إذا جئتكم بالليل لم أدر ماهيا
قد يجمع الله الشتيتين بعدما	يظنان جهد الظن ألاَّ تلاقيا
فإن تمنعوا ليلى وتحموا بلادها	عليَّ فلن تحموا عليَّ القوافيا
أعد الليالي ليلة بعد ليلة	وقد عشتُ دهراً لا أعد اللياليا
وأخرج من بين البيوت لعلّني	أُحَدِّثُ عنكِ النفسَ ياليل خاليا
أحب من الأسماء ما وافق اسمها	وأشبهه أو كان منه مدانيا
إذا اكتحلت عيني بعينك لم تزل	بخير وجلت غمرة عن فؤاديا
وأنتِ التي إن شئتِ أشقيتِ عيشي	وإن شئتِ بعد الله أنعمت باليا

وإني لأستغشي وما بي نعسة لعلَّ خيالاً منك يلقي خياليا
هي السحر إلا أن للسحر رَقيَّةً وإني لا ألقي لسحري راقيا
ذكت نار شوقي فؤادي فأصبحت لها وهج مستضرم في فؤاديا
ألا ليت شعري ما لليلى وما لي وما للصبا من بعد شيب عَلانيا
ألا أيها الواشي بليلى ألا ترى إلى من تشيها أو بمن جئت واشيا ؟
إذا نحن رمنا هجرها ضم حبها ضميم الحشا ضم الجناح الخوافيا
لئن ظعن الأحباب ياأم مالك لما ظعن الحب الذي في فؤاديا

إلى أن قال :

علي مثل ليلى يقتل المرء نفسه وإن كنت من ليلى على اليأس طاويا
خليلَيَ إن ضنوا بليلى فقربا ليَ النعش والأكفان واستغفرا ليا [1]

ونعتقد أنه لو كان قيس بنّ المُلَوَح يعيش معنا في هذا العصر لماتت هذه المعاني في قلبه ولم تر النور . .

انطفأ هذا الإلهام ، وذوي ذلك الإبداع ، واستيقظنا من الحلم الجميل على المرأة بين أيدينا ملء السمع والبصر ، قريبة منا في الشارع والمدرسة والنادي والمكتب والجامعة والحافلة (الأتوبيس) مُشَمرة عن سيقانها ، حاسرة عن شعرها ، عارضة جمالها مجاناً . . وكأنها بهذا تُلح على الرجل قائلة له : « حيوان للجنس » وصار غاية الهامها للرجل أن يقول لها : شعرُكِ الذهبي ، وخدُكِ الوردي . . وصار يُعَبِّر عن هذا الإسفاف شعراء الخدود والنهود والجوارب والأحذية . . والمتهم الأول والأخير في قتل هذا الحب هو المرأة التي استجابت لأصحاب الأفكار الساقطة ، والتي عرضت نفسها على الرجل عرضاً غير كريم . . !!

* * *

---

(١) أبيات مختارة من قصيدة لقيس بن المُلَوَح مجنون بني عامر .

الفصل الثالث

مشكلات الشباب العاطفية

- عاطفة الحب في التصور الإسلامي .
- احترام الإسلام لعاطفة الحب بين الزوجين
- المرحلة الحرجة في حياة الشباب .
- الشباب وجنون العاطفة .
- الفتاة التي تلعب بالنار .
- الحب الناضـــج .
- الحب بعد الزواج .
- شهيد الحب .
- المـــــاضي .

عاطفة الحب في التصور الإسلامي

الحب : هو ذلكم الرباط السحري الذي تتماسك به الأكوان . . إنه روضة الحياة وأريجها الفوّاح ، وعطرها الذي تنتشي منه الأرواح ، والحب كلمة واسعة الدلالة . . ولكنني أعني بهَا هنا : الحب بين فتى وفتاة ، بين رجل وامرأة . .

والحب بهذا المعنى هو من العواطف الإنسانية التي لم يصادرها الإسلام ، ولم يعمل على قمعها داخل النفوس لتولّد الكبت . بل هو فطرة الله التي فَطَرَ النّاسَ عليها . . يقول الله عز وجل :

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ ﴾ (١) .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ (٣) .

وقال ﷺ : « النساء شقائق الرجال » (٤) . . فكل من شقَيْ النفس البشرية يظل تائهاً حائراً حتى يعثر على شقه الآخر ليجد في ظله التوحد الأول فتهدأ النفس بعد اضطرابها ويأنس الجسم إلى الراحة والقرار . .

وإلى هذه العاطفة السامية يشير رسول الله ﷺ بقوله : « حُبِّبَ إلي من الدنيا النساء والطيب ، وجُعلَتْ قُرَّةُ عيني في الصلاة » (٥) .

هل تأملت لفظ « حُبِّبَ » إنه شبيه بلفظ زُيِّنَ ، أي أن الحب وميل كل من الجنسين إلى الآخر عواطف ورغبات وضعت في الفطرة البشرية دون إرادة للبشر

---

(١) آل عمران : ١٤ . (٢) الروم : ٢١ . (٣) الأعراف : ١٨٩ .
(٤) رواه أحمد وأبو داود . (٥) رواه أحمد والنسائي .

فيها ، ونجد هذا المعنى بارزاً في حديث النبي ﷺ عن العدل بين نسائه حيث يقول : « اللّهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك » [١] .

فالذي يملكه رسول الله ﷺ هو العدل بين نسائه في النفقة والمبيت وسائر الحقوق المادية . . والذي لا يملكه هو الميل القلبي . .

وإذا أردنا أن نضع نموذجاً رفيعاً يمثل هذه العاطفة في قمة صفائها ، فإننا سنتجه على الفور إلى صاحب الشخصية الجامعة ، شخصية رسول الله ﷺ صاحب القلب المرهف ، والمشاعر الحساسة ، فنجد أنه كان يحب زوجه عائشة رضي الله عنها حبا عرفه كل صحابته ، حتى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما تولى الخلافة فرض لأمهات المؤمنين من بيت المال عشرة آلاف ، وزاد عائشة ألفين ، وقال : إنها حبيبة رسول الله ﷺ ، وكان الصحابي « مسروق » إذا حَدَّثَ عن عائشة رضي الله عنها يقول : حدثتني الصديقة بنت الصديق – حبيبة رسول رب العالمين ، المبرأة من فوق سبع سموات . . على الرغم من ذلك الحب لعائشة فإنه لم ينس حبه الأول . . حبه لخديجة رضي الله عنها ، وظل وفياً لهذا الحب يرويه من ينابيع الوفاء . . عن عائشة رضي الله عنها قالت : « ما غِرْتُ على أحد من نساء النبي ﷺ ما غِرْتُ على خديجة رضي الله عنها – وما رأيتها قَطّ ، لكن كان يكثر من ذكرها وربما ذبح الشاة ، ثم يُقَطِّعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق [٢] خديجة رضي الله عنها ، فربما قلت له : كأن لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة ؟! فيقول : « إنها كانت وكانت ، وكان لي منها ولد » [٣] .

ولقد كان يسمع صوت أختها « هالة » فيثير صوتها مشاعره ، ويُذَكِّره بالماضي البعيد لأنه كان شبيهاً بصوت خديجة . .

« عن عائشة رضي الله عنها قالت : استأذنت هالة بنت خُوَيلدْ أخت خديجة

---

(١) رواه أبو داود والترمذي . (٢) صدائق : جمع صديقة . (٣) متفق عليه .

رضي الله عنها على رسول الله عليه الصلاة والسلام - فعرف استئذان خديجة فارتاح لذلك ، فقال : « اللَّهم هالة بنت خُوَيلدْ » [1] . . وهكذا لم تشغل الدعوة بأثقالها رسول الله ﷺ عن أن يكون ذا قلب محب عطوف . صلاة وسلاماً عليك أيها النبي المحب الوفي !!

* * *

● احترام الإسلام لعاطفة الحب بين الزوجين :

سأعرض هنا صورتين حدثتا على عهد الرسول ﷺ توضحان بجلاء كيف أن ديننا الإسلامي جعل لهذه العاطفة أعظم مكانة في العلاقات الزوجية ؟ وإلى أي مدى احترم عاطفة المودة والرحمة بين الزوجين ؟

فإذا نُسفت هذه العاطفة واستحالت الحياة الزوجية إلى جحيم لا يطاق ، وفشلت جميع وسائل التوفيق بين الرجل وزوجته . . كان آخر الدواء الكي . . وسواء أكان تمرد هذه العاطفة من جانب الزوج أو من جانب الزوجة . .

ولعل سائلاً يسأل فيقول : إذا تغيرت عاطفة الزوج نحو زوجته بهذه الصورة التي تستحيل معها الحياة الزوجية ، فإنه يستطيع التخلص من زوجته بالطلاق ، فماذا تصنع الزوجة ؟

أقول بوضوح : إن الإسلام احترم مشاعر المرأة نحو زوجها كما احترم عواطف الرجل نحو زوجته تماماً دون تفرقة ، ويظهر هذا المبدأ جلياً فيما نعرضه في هذا المقام :

رفعت زوجة ثابت بن قيس جانب خبائها ، فرأت زوجها مقبلاً في عدة من صحبه ، فإذا هو أشدهم سواداً ، وأقصرهم قامة ، وأقبحهم وجهاً ، فحرك هذا المشهد مشاعر الكراهية التي كانت مُترسبة في أعماقها منه ، وعلى الفور

---

(١) رواه مسلم .

تركت بيته ، وذهبت إلى بيت أهلها . . ومع خيوط الفجر الأولى كانت واقفة عند باب بيت رسول الله ﷺ ولم تنتظر إلى أن يصلي صلاة الصبح لتعجل بفراقها من زوجها ثابت بن قيس ، وقالت : يارسول الله ، ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ولا دين - تعني أنه رجل غير متهم في خُلقه أو دينه - ولكني أكره الكفر في الإسلام - أي أكره الكفر بعشرته ، فأحيل حياته جحيماً ، ولا يسعني أن أقوم بحقوق الزوجية التي لا تؤدي إلا بعاطفة المودة والرحمة بين الزوجين - فقال لها رسول الله ﷺ : « أتردين عليه حديقته » ؟- أي التي قدمها مهراً لها - فقالت : نعم ، وإن شاء زدته . فأمر رسول الله ﷺ ثابت بن قيس أن يطلقها .

وقال له : « اقبل الحديقة ، وطلقها تطليقة » [1] .

وهذا مشهد آخر يؤكد منهج الإسلام في هذا المجال :

كان « مُغيث » عبداً في بني مخزوم ، وكانت « بُرَيرة » أَمَةً تعمل في خدمة عائشة رضي الله عنها ، وشاءت الأقدار أن تجمع بين مُغيث وبُرَيرة تحت سقف واحد في زواج فيه الحب من طرف واحد . . مُغيث مُوَلَّهٌ [2] في حب بُريرة ، وقلب بُريرة يأبى أن ينسكب فيه حب مُغيث ، والقلوب بيد الرحمن يُقَلِّبُها كيف شاء . . ويأتي اليوم الذي تُعتق فيه بُريرة ، ويصبح لها الحق في أن تنعتق من هذا الرباط الذي جمع بينها وبين رجل قلبها في غطاء عن حبه ، وتصر بريرة على فراق مغيث ، ولكن حبها مَلَكَ عليه أقطار قلبه حتى إنه ليذرع طرق المدينة خلفها وهو يذرف من عينيه الدموع الساخنة علّها ترحم عَبْرَتَهُ وترد لهفته . . وعبثا تذهب دموعه .

وينطلق مُغيث إلى العباس عم النبي ﷺ يرفع إليه شكواه ليُوَسِّط النبي ﷺ لعلّه يشفع له عند حبيبه المتأبي عليه ، وغزاله الشارد من بين يديه . . ويَرِّق له

---

(١) رواه البخاري ومالك في الموطأ وآخرون .

(٢) أذهب حبها عقله .

النبي ﷺ ويُحَرِّك هذا المشهد مشاعره ، فيقول للعباس عمه : « ياعباس ، ألا تعجب من حب مُغيث بُريرة ، ومن بغض بُريرة مُغيثا » ؟ ويكلم النبي ﷺ بُريرة في شأن مُغيث فقال لها : « لو راجعته . . فإنه أبو ولدك » . قالت : يارسول الله ، تأمرني ؟ قال : « إنما أنا أشفع » . قالت : لا حاجة لي فيه [١]

فأي تكريم هذا الذي كَرَّمَ به الإسلام المرأة ؟ وأي دين هذا الذي يقيم للعواطف الإنسانية هذا الوزن في أخطر أمور الحياة ؟ . . إنه ديننا الإسلام . . الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون !

* * *

● المرحلة الحرجة في حياة الشباب :

ومرحلة المراهقة التي يمر بها كل فتى وفتاة – هي مرحلة التهاب المشاعر ، وثورة العواطف . . فترة الأحلام الوردية ، والخيال المُجنَّح ، والنظرة الحالمة .

وما أن تتفتح عيون الشباب وأسماعهم في هذه المرحلة على أغاني الحب ، ومسلسلات الحب ، وأفلام الحب الذي تبثه وتُزينه أجهزة الإفساد ، حتى يظل الفتى شارد الفكر مسلوب القلب . . أجهزة التخريب تُلح عليه من الخارج ، والحنين إلى الجنس الآخر يدفعه من الداخل . .

ويظل الفتى أو الفتاة في شرود ، كل منهما يفكر . . يريد أن يُجَرِّب . . ويبدأ في تسجيل الأغاني وحفظها ، ويشتري كتباً رخيصة تحمل بين دفتيها خطابات الغرام وعبارات العشق والهيام . . ويحفظ بعض العبارات المعسولة .. وينصب شباكه . . وإذا في شباكه تقع فتاة . . و :

---

(١) رواه البخاري وابن ماجه واللفظ له .

لكل ساقطة في الحي لاقطة   وكل كاسدة يوماً لها سوق

ومن هنا تبدأ حكاية الحب ، وتظهر على المتيم أعراضه ، سهر . . أرَقْ . . إضراب عن الطعام . . أحلام يقظة . . انصراف عن الاستذكار والتحصيل . . وكما عَبَّرَ حماد الراوية عندما سُئل عن الحب ، فقال : الحب شجرة أصلها الفكر، وعروقها الذكر ، وأعضاؤها السهر ، وأوراقها الأسقام ، وثمرتها المنية . .

ويعيش « قيس » يترقب خُطى « ليلى » إن غابت عنه تحوَّلت الدنيا في عينه إلى ليال ليست لها أسحار ، وظلمات لا يتخللها أنوار .

وتبدأ الكلمات ، وتُحدد اللقاءات ، وتُكتب الخطابات ، وتُتبادل الصور ، وهنا بداية الانحراف ، وبداية النهاية في مستقبل الحبيبين المتيمين معاً . .

هذا الحب هو مايسمى بـ « حب المراهـقيـن » ، أو حب « التـلامـذة » ، ولا يجني الفتى أو الفتاة من ورائه إلا تشتيت الذهن ، وتبديد الطاقة ، والسهر والدموع ، وبالتالي الانصراف عن الدراسة وتحطيم المستقبل على صخرة العاطفة.

* * *

● الشباب وجنون العاطفة :

هذا الفتى الذي سار في هذا الطريق ، قد حُكم على مستقبله بالضياع . . فإن كان الحب من طرفه وحده فيالشقائه وعذابه . .وإن بادلته « ليلى » مطارحات الهوى ومساجلات الغرام ، كانت الكارثة التي ينتهي بها كل حب من هذا القبيل . .

رلقد أعجبني هذا الشاعر الشاب القوي العزيمة الذي لم يجعل لهذه الأفكار السقيمة سلطاناً على قلبه وعقله ، فتشغله عن الوصول إلى قمة المجد التي ينشدها فيقول :

سلام على من تَيَّمتني بطَرفها   ولمعة خديها ولمحة طرفُها

سبتني وأصبتني فتاة مليحة تحيرت الأوهام في كُنْهِ وصفها
فقلت ذَريني واعذريني فإنني شُغفت بتحصيل العلوم وكشفها
ولي في طلاب العلم والفضل والتقى غنى عن غناء الغانيات وعرفها

وهذا الذي أراد الحب أن يتسلل إلى قلبه في غفلة من عقله فيزجر قلبه ويقول له : ليس هذا أوان الحب ..

وقلت لقلبي حين لَجَّ به الهوى وكلفني ما لا أطيق من الحب
ألا أيها القلب الذي قاده الهوى أفق ، لا أقر الله عينك من قلب

ويقسم ابن القيم العشق ثلاثة أقسام فيقول :

« عشق هو قُربة وطاعة وهو عشق الرجل امرأته وجاريته ، وهذا العشق نافع ، فإنه أدعى إلى المقاصد التي شرع الله لها النكاح ، وأكف للبصر والقلب عن التطلع إلى غير أهله ، ولهذا يحمد هذا العاشق عند الله وعند الناس .

وعشق هو مقت عند الله وبُعد من رحمته . . وهو أضر شيء على العبد في دينه ودنياه وهو عشق المُرْدان (الذكور) فما ابتلي به إلا من سقط من عين الله وطرده عن بابه ، وأبعد قلبه عنه ، وهو من أعظم الحُجب القاطعة عن الله كما قال بعض السلف : « إذا سقط العبد من عين الله ابتلاه بمحبة المُرْدان » . وهذه المحبة هي التي جلبت على قوم لوط ماجلبت ، وما أتوا إلا من هذا العشق إذ قال الله تعالى : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (١) .

ودواء هذا الداء : الاستغاثة بمقَلّب القلوب ، وصدق اللجأ إليه والاشتغال بذكره ، والتعوض بحبه وقربه ، والتفكر بالألم الذي يعقبه هذا العشق ، واللذة التي تفوت به ، فيترتب عليه فوات أعظم محبوب ، وحصول أعظم مكروه ، فإذا أقدمت نفسه على هذا أو آثرته فليُكَبِّر على نفسه تكبير الجنازة ، وليعلم أن البلاء قد أحاط به . .

(١) الحجر : ٧٢ .

والقسم الثالث من العشق : العشق المباح الذى لا يُملك ، كعشق من صُوِّرت له امرأة جميلة أو رآها فجأة من غير قصد ، فأورثه ذلك عشقاً لها . ولم يُحدث له ذلك العشق معصية ، فهذا لا يُملك ولا يُعاقب عليه . والأنفع له مدافعته والاشتغال بما هو أنفع له منه ، والواجب على هذا أن يكتم ويعف ويصبر على بلواه ، فيثيبه الله على ذلك ويُعَوِضه على صبره لله وعفته وترك طاعة هواه وإيثار مرضاة الله وما عنده » (١) .

وعن الاسترسال مع هذا النوع الثالث يقول ابن عقيل : « العشق مرض يعتري النفوس العاطلة ، والقلوب الفارغة ، والمتلمحة للصور ، لدواع من النفس ، ويساعدها إدمان المخالطة ، فتتأكد الألفة ويتمكن الأُنس ، فيصير بالإدمان شغفاً ، وما عشق قط إلا فارغ فهو من علل البطّالين ، وأمراض الفارغين من النظر في دلائل العبر ، وطلب الحقائق المُسْتَدَلّ بها على عِظم الخالق » . .

ويتحدث ابن الجوزي عن ضرر العشق فيقول :

« وأما ضرر العشق في الدنيا ، فإنه يُورثُ الهَمَّ الدائم والفكر اللازم والوسواس والأرَقْ ، وقلة المطعم ، وكثرة السهر ثم يتسلط على الجوارح ، فتنشأ الصفرة في البدن والرعدة في الأطراف ، فالرأى عاطل ، والقلب غائب عن تدبير مصلحته ، والدموع هواطل ، والحسرات تتتابع ، والزفرات تتوالى ، والأنفاس لا تمتد » (٢) .. وصدق القائل اذ يقول :

العشق مَشْغَلَةٌ عن كل صالحة وسَكْرَةُ العشقِ تنفى سَكرة الوسَنِ

وإنني أسأل هذا الشاب : كيف يستبيح لنفسه أن يُنشئ علاقة مُحرَّمة بفتاة لا تحل له ؟

ألم يعلم بأن هذا يُغري أخواته بالفساد إذا اكتشفن هذه العلاقة ؟ وهي لابد أن تُكشف مهما حاول أن يُسدل عليها ستائر كثيفة من الإخفاء والتمويه !

---

(١) الجواب الكافي ص ٢٢٩.

(٢) ذم الهوى لابن الجوزي .

ماذا يكون شعوره لو علم أن أخته أو إحدى قريباته على علاقة بشاب آخر ؟ هل سيثور ويفور ، ويُرغي ويُزبد ، ويُقيم الدنيا ويُقعدها ، أم أنه سيتعامى ويُغمض عينيه عما يجري حوله ؟ !

أعتقد أن روح الشباب المتوقد فيه ، ونخوة الرجولة المتأصلة في نفسه ، ومشاعر الغيرة على عِرضه لن تجعله يدع هذه القضية لتمر بسلام . .

إذن كيف يُحِلُّ لنفسه ما يُحَرِّمه على غيره ؟

تصف الدواءَ لذي السقام وذي الضنَى كيما يصح به وأنتَ سقيمُ

لقد جاء فتى إلى رسول الله ﷺ فقال : يانبي الله ، أتأذن لي في الزنا ؟ فصاح الناس به ، فقال النبي ﷺ : « قَرِّبوه ، ادن » ، فدنا حتى جلس بين يديه، فقال النبي ﷺ : « أتحبه لأمك » ؟ ، قال : لا ، جعلني الله فداءك ، قال : «كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم . . أتحبه لابنتك » ؟ قال : لا ، جعلني الله فداءك . قال : « كذلك الناس لا يُحبونه لبناتهم . . أتحبه لأُختك»؟ وزادت بعض الروايات أنه ذكر العمة والخالة ، وهو يقول في كل واحدة : لا ، جعلني الله فداءك . فوضع الرسول ﷺ يده على صدره ، وقال : « اللّهم طَهِر قلبه ، واغفر ذنبه ، وحَصِّنْ فَرجه » ، فلم يكن شيء أبغض إليه منه - يعني الزنا [1] .

وبهذا الأسلوب المقنع الهادئ ، أجبت تلميذاً يسألني : إنني أحب فتاة حباً بريئاً . . فقلت له : أتحب أن يُحب أحَدٌ أختك حباً بريئاً ؟ فأجاب : لا . . فقلت له : كذلك الناس لا يُحبونه لأخواتهم .

يقول الأستاذ محمد قطب في كتابه « التربية الإسلامية » : « فحين يقول إنسان لنفسه : إنني أحس في أعماقي بحنين إلى الجنس الآخر ورغبة قوية في

---

(١) رواه أحمد بإسناد جيد ورجاله رجال الصحيح .

اللقاء بأحد أفراده ، والامتزاج معه ، والإفضاء إليه ، والاتحاد الكامل معه حتى كأننا شخص واحد لا شخصان منفصلان .

هذا الإحساس ليس عيباً في ذاته ولا قذارة ، إنه فطرة الله التي فطر الناس عليها ، كل الرجال وكل النساء يشعرون بهذا الحنين وهذه الرغبة ، ولا بد أن يشعروا بها ليحققوا غاية الحياة ، ويحفظوا النوع على وجه الأرض .

والتركيب الجسمي يشير إلى هذه الوظيفة . . ففسيولوجياته وبيولوجياته وكيماوياته كلها مهيأة للقيام بهذه الوظيفة على وجهها الأكمل ، لتنتج أجيالا جديدة من الحياة ، وهو أمر لا يتم بغير لقاء زوجين .

وحين أحس بهذا الإحساس وهذا الميل ، فأنا سائر مع الفطرة في إتجاهها السليم .

ولكن ليس معنى هذا أن يكون التفكير في مسائل الجنس هو شغلي الشاغل ، وهمي المُقْعِد المقيم ، فالحياة ليست جنساً خالصاً ، ولا هي محصورة في هدف واحد . . إن عليّ تبعات أخرى تجاه نفسي وتجاه الناس .

إن عليّ أن أتعلم ، وعلي أن أنتج ، وعليّ أن أنظر في أمر المجتمع ، أسائر هو على ما ينبغي له أم منحرف عن سبيله ، وما أسباب انحرافه ؟ وعليّ أن أقوم بدوري في تقويمه من انحرافه .

وعليّ أن آمر بالمعروف وأنهي عن المنكر ، وقد يُصيبني من الناس أذىً وأنا أقوم بهذا الواجب فينبغي أن أجَنِد نفسي على احتمال الأذى ، وأجَنِد نفسي لمقاومة الشر ، وعليّ أن أقوم بدوري الإيجابي في هداية الناس إلى الحق . . وخير وسيلة لذلك هي « القدوة » ، فينبغي أن أكون أنا بذاتي قدوة حسنة ، وإلا فلا قيمة لكل ما أقول وأنا أقول للناس : إن الذي يُفسدهم هو انجرافهم في طريق الشهوات ، فلأكن أنا المثل في عدم الانجراف مع الشهوات .

وكذلك ليس معنى هذا أن أخطف فتاة ما لأقضي معها رغبة جنسية فهذه

الفتاة ليست لي ، لا أملكها لنفسي حتى أتصرف في شأني وشأنها على هذا الوضع . إن لها عرْضاً يُكافئ عرْضي لا يجوز لي أن أدنسه . إني أحب أن يكون عرْضي نظيفاً طاهراً لم يدنسه شيء ، فلأحافظ على عرْض هذه الفتاة كذلك . وإني أحب حين تكون لي زوجة أن تكون نظيفة . . أن تكون خالصة لي بروحها وجسمها جميعاً . فلأترك هذه الفتاة إذن نظيفة لمن ستكون زوجا له ، فلأتركها له خالصة كما أحب أن تكون زوجتي لي خالصة .

ولو أنها رضيت رضاءً بأن أقضي معها رغبة الجنس ، أو دعتني هي إلى ذلك فلا فارق . إنه لا يجوز لي . إنها كالحارس الذى يدعو الناس إلى سرقة المال الذى يحرسه ، فذلك لا يُعطي الناس الحق في السرقة ، لأن الحارس لا يملك المال في الحقيقة .

وهذه الفتاة الحارسة على عرْضها لا تملك التصرف فيه ، ولا دعوة الناس إلى اغتصابه . . إنه ليس عرْضها وحدها ، إنه عرْضها وعرْض والديها وعرْض أسرتها وعرْض مجتمعها وعرْض الإنسانية ، إنه عرْض الأمانة التي ائتمن اللّٰه عليها البشر ، وينبغي أن يردوا له الأمانة نظيفة كما تلقوها ، كاملة كما تسلموها إلا بحقها الذي نص عليه صاحب الحق » .

* * *

● الفتاة التي تلعب بالنار :

وهذه الفتاة التي رضيت أن تسلك هذا الطريق الوعر الحافل بالمخاطر والأشواك التي يمكن أن تُمزّق عنها ثياب العفة .

كيف تلعب بالنار ؟ النار التي تحرق سمعتها وتُدمر مستقبلها ، أما علمت أن شرف الفتاة كالثوب الأبيض ، وهذه العلاقة تظل نقطة من مداد أسود في ثوب شرفها الناصع البياض ؟

أما علمت أن الحياة مليئة بالخداع والمكر ، حافلة بالذئاب الماكرة في لباس البشر . . . ؟

أيتها الفتاة . . .

إن فيكِ الرقة ، وفيك الوداعة ، وفيك البراءة ، وفي قلبك الرقيق ينابيع الحب والرحمة والحنان . . لا تمنحيها لأول طارق ، واحتفظي بها ، وادخريها لزوجك ، لفارس أحلامك ، لأسرتك التي لا تقوم إلا بهذه العواطف النبيلة . .

لا تُصَدِّقي كلام الأفلام والمسرحيات والأغاني ، فإنها « أكل عيش » فهؤلاء يبنون ناطحات السحاب على أنقاض صروح الفضيلة ، ويرفلون في أثواب الترف ، ويتقلبون في أحضان النعيم ، إذا انهارت الأخلاق وسادت الرذيلة ، وراجت متطلبات الدعارة . . هؤلاء الذين ترينهم يمثلون أمامك أدوار الحب والغرام من أتعس خلق الله وأشقاهم في واقع الحياة . .

كحامل لثياب الناس يغسلها وثوبه غارق في الرجس والنَجَسِ

إن الفتاة التي تُراسل الفتى أو تُعطيه صوراً فكأنما تهديه حياتها ومستقبلها . . وهي الوسائل التي تُمَكِّنَه من ابتزازها تحت ضغط أدلة الإدانة التي تُحفظ عليها ، وربما دعته الظروف الى إشهار هذا السلاح لينتقم منها وَيُشَهِّر بها ، ويهدم صرح حياتها . . والفشل في الحب يصنع الكوارث . .

هذا الفتى الذي يُرسل إليك الخطابات يشكو فيها حُرقة الجَوَىَ ولوعة النَوَىَ ويصف فيها ورد الخدود ، ورمان النهود ، وأغصان القدود . . احذريه . .

إنه ذئب ماكر في ثوب محب ولهان . . يتسلى بك ، ويضحك منك ، ويتخذك متنفساً مؤقتاً لعواطفه . . إنه يضع طُعْمه في الشبكة والفخ . . وطُعْمه الألفاظ المعسولة ، وتكلُّف البطولة ، والمفاهيم المزيفة باسم التحرر والانطلاق ، والتمتع بالحياة ، والتفكير العصري . .

إنه بطُعْمه هذا يحاول أن يستغل براءتك ليُخَدِّر أحاسيسك ومشاعرك ويحصل على أقصى ما يستطيع منك من مُتعة رخيصة ليمضي هو خفيفاً . . ثم تروح السَكرة وتأتي الفكرة ، وتنظرين حواليك لتجدي جيوش الفضيحة والعار تهزك بعنف ، وتُحيط بكِ من كل جانب . .

هذا المحب الذي سهر الليالي ، وَعَدَّ النجوم ، وشكا همومه إلى النسيم ، وأخلصت له «ليلاه» وأعطته جسمها وعِرْضها ..

هذا الثعلب الماكر لو قُدِّرَ له أن يخطب عروساً في اليوم التالي لتكون زوجة له وأماً لأولاده . . لما اختار مثل هذه زوجة أبداً . . إنه سيجتهد في البحث ، ويُحقِّق ويُدَقِّق ، ويُحلِّل ويُمَحِّص ، ويسأل ويتحرى . . يُقدِّم رِجلاً ويُؤخر أُخرى . . لماذا . . ؟

لأنه أُصيب بالشك ، فهو يخاف أن يسقط على إنسانة مُلوَّثَةٌ كما لَوَّثَ هو الأُخريات . .

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

وهكذا ذهب الحب « المزعوم » وتبخر وتلاشى مع أول جريمة اقترفها أو قبلة اختلسها ، وألقى بحبيبة القلب إلى عرض الطريق كما يلقي المدخن عُقْب «سيجارته» بعد أن قضى منها وطره ، وأشبع نهمه ليدوسها كل من يمر بها دون أن يلقي لها بالاً . . ويتولى عنها ولسان حاله يقول :

لا تأمن الأُنثى حبتك بودها إن النســاء وِدادهن مقسّم

اليوم عندك دَلها وحديثهــا وغداً لغيرك كفها والمعصم

ونتيجة لهذا الحب الأرعن تُصاب الفتاة بالإحباط ، وتلعن الحب ، وتلعن معه كل الرجال وتنطوي على نفسها يطاردها ماضيها الأليم ، وتجتر ذكريات الأسى ليذيقها الضمير أبشع ألوان العذاب ، وكأنه وقدات تلذع قلبها . . وربما كان رد الفعل أقوى ، فتسمم حياتها الزوجية ، وتنتقم من المحب الهارب في صورة زوجها المسكين !!

إن الرجل يحب في الفتاة شرفها وفضيلتها .. يُحب فتاة بلا ماضٍ . . فتاة عذراء الروح . . بِكْرُ الفؤاد ، لم يستهلك طاقة الحب في قلبها الرقيق بشر ، ولم يُلوث جسدها الطاهر إنسان . .

هذه الفتاة هي التي تُلهب مشاعر الفتى ، وتجعله يلهث وراءها ، لا أقصد الذي يريد أن يلهو ويتسلى بها ، ولكنه الذي يريد الزواج . . الذي يريد حباً مع النفاذ . .

وإننا لنجد في تراثنا العربي شمم المرأة العربية وأنفتها حين تقف قوية المراس أمام عواطفها . . قيل لـ « عتبة » بعد موت عاشقها : ماكان يضرك لو أمتعته بوجهك ؟ قالت : منعني من ذلك خوف العار وشماتة الجار ، ومخافة الجبار . . وإن بقلبي أضعاف ما بقلبه – غير أني أجد ستره أبقى للمودّة ، وأحمد للعاقبة ، وأطوع للرب ، وأخف للذنب [1] . .

وقبل أن نغادر الحديث في هذا الموضوع ، فإن أديب العربية الفذ « مصطفى صادق الرافعي » يهمس في أذنك بهذه الكلمات :

« احذري أن تُخدعي عن نفسك . . إن المرأة أشد افتقاراً إلى الشرف منها إلى الحياة . .

إن الكلمة الخادعة إذ تُقال لك ، هي أخت الكلمة التي تُقال ساعة إنفاذ الحكم للمحكوم عليه بالشنق . .

يغترونك بكلمات الحب ، والزواج ، والمال ، كما يقال للصاعد إلى المشنقة : ماذا تشتهي ؟ ماذا تريد ؟

الحب ؟ الزواج ؟ المال ؟ يالحم الدجاجة . . بعض كلمات الثعلب هي أنياب الثعلب . .

أيتها الشرقية احذري . . احذري . .

احذري السقوط ، إن سقوط المرأة لهوله وشدته ثلاث مصائب في مصيبة :

سقوطها هي ، وسقوط من أوجدوها ، وسقوط من توجدهم . . نوائب الأسرة

---

(١) روضة المحبين لابن القيم ص ٣٣٦ .

كلها قد يسترها البيت ، إلا عار المرأة . فيد العار تُقَلِّب الحيطان كما تُقَلِّب اليد الثوب فتجعل ما لا يُرى هو ما يُرى . . والعار حُكم يُنَفِّذُه المجتمع كله ، فهو نفي من الاحترام الإنساني . .

أيتها الشرقية احذري ، احذري . .

لوكان العار في بئر عميقة لقلبها الشيطان مئذنة ووقف يؤذن عليها . . يفرح اللعين بفضيحة المرأة خاصة ، كما يفرح أب غني بمولود جديد في بيته . . واللص والقاتل والسكير ، والفاسق ، كل هؤلاء على ظاهر الإنسانية كالحر والبرد . .

أما المرأة حين تسقط ، فهذه من تحت الإنسانية هيْ الزلزلة . . ليس أفظع من الزلزلة المرتجة تشق الأرض ، إلا عار المرأة حين يشق الأسرة . .

أيتها الشرقية . . احذري ، احذري » [1] .

* * *

(١) وحي القلم جـ ١ ص ٢٦٦ ، ٢٦٧ .

الحب الناضج

وتسألونني : متى نتمتع بنعيم الحب ونشوته ؟ . .

نعم هذه المرة تسألون عن الحب الحقيقي . . لا الحب المزيف . . الحب الناضج وليس حب المراهقة الذي يشتعل سريعاً وينطفيء سريعاً . .

وهذا الحب الذي نعنيه هو العاطفة الناضجة التي تُفَرِّق بين الإحساس بالجمال السطحي ، وبين الإحساس الحقيقي بحب إنسان فيه من الصفات ما هو جدير بهذا الحب . .

هذا الحب الناضج الواعي هو الذي قد يطرق القلب عندما يصبح الشاب مستعداً لتحمل نتائجه . .أقصد تحمل تبعات الزواج . .

هذا الحب . . يباركه الإسلام . . ،

عن ابن عباس رضي الله عنه أن رجلا قال : يارسول الله ، عندنا يتيمة قد خطبها رجلان : موسر ومعسر . هي تهوى المعسر ، ونحن نهوى الموسر ، فقال رسول الله ﷺ : « لم يُرَ للمتحابين مثل النكاح » [(١)] .

والنظرة هي الشرارة الأولى التي تُشعل عاطفة الحب . .

كم نظرة فعلت في قلب صاحبها . . فعل السهام بلا قوس ولا وتر .

ولا تَحلُّ هذه النظرة الطويلة المحققة المدققة في أسرار الجمال إلا إذا كان الإنسان عازماً على الزواج . . ولذلك كان النبي ﷺ يدفع من يريد الزواج الى رؤية من يريد خطبتها لعله يدرك من أسرار الجمال فيها وتُدرك من أسرار الجمال فيه ما يوقع الحب في قلبيهما . .

وما الحب من حسن ولا من ملاحة ولكنه شئ به الروح تكلف

---

(١) رواه الطبراني وابن ماجه .

عن محمد بن سلمة ، قال : خطبت إمرأة ، فجعلت أتخبأ لها حتى نظرت إليها في نخل لها ، فقيل له : أتفعل هذا وأنت صاحب رسول الله ﷺ ؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا ألقى الله في قلب امرئ خطبة امرأة ، فلا بأس أن ينظر إليها » [١] .

وهذا الحوار الذي دار بين عبد الملك بن مروان وبُثينة يبين أن لكل إنسان ذوقاً في الجمال ، قد يتعلق بغير المظهر الخارجي ويكون باعث التقاء الأرواح فيه أقوى من باعث الجمال الحسي ، و « الأرواح جنود مجندة ، ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » [٢] .

دخلت بُثينة على عبد الملك بن مروان ، فقال بها : يابثينة ، ما أرى فيك شيئاً مما يقوله جميل . . فقالت : يا أمير المؤمنين ، إنه كان يرنو إليّ بعينين ليستا في رأسك . قال : فكيف رأيته في عشقه ؟ . . قالت : كان كما قال الشاعر :

لا والذي تسجد الجباه له ... ما لي بما تحت ذيلها خبر
ولا بفيها ولا هممت بها ... ماكان إلا الحديث والنظر [٣]

وهكذا يكون الزواج هو الخطوة الأولى على طريق الحب الناجح الذي يعمر به الكون ، ويدفع سفينة الحياة في بحار السعادة هادئة مطمئنة . . تهب عليها نسمات رقيقة عذبة ، يتمتع بها الحس ، وتأنس إليها النفس ، ويكون المعنى الحقيقي لقوله عز وجل :

﴿ وَمِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٤].

* * *

(١) رواه ابن ماجة وابن حبان بسند آخر .
(٢) أخرجه البخاري .
(٣) المستطرف للأبشيهي ص١٨٣ .
(٤) الروم : ٢١ .

الحب بعد الزواج

وتسألونني : هل يستمر الحب بعد الزواج ؟

أجيب عليكم : بنعم . . نعم يستمر على شرط أن يشترك الزوجان في رعاية شجرة الحب وتعهدها وسقيها بالمعاملة الرقيقة ، والكلمة الحانية ، والبسمة الراضية ، والتجاوز عن الهفوات ، وأن يُعيد كل من الطرفين النظر في خياله المُجَنَّح الذي كان يُجَسِّم له شريك حياته على أنه مَلَك من ملائكة العالم العُلوي . . عند ذلك سيجد كل من الحبيبين أنه يقطع رحلة الحياة على جناح الشوق والمحبة ، والرحمة والمودة ، إلى أن يكون اللقاء هناك ، حيث لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خَطَرَ على قلب بشر . .

والآن أصحبكم في رحلة قصيرة لنقرأ معاً نماذج رائعة عن الحب الحلال :

روى ابن الجوزي في كتابه « ذم الهوى » [1] أن عبد الله بن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنهما تزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفيل ، وكانت حسناء جملاء ، ذات خلق بارع ، فشغلته عن مغازيه فأمره أبوه بطلاقها ، وقـــال : إنها قد شغلتك عن مغازيك ، فقال شعراً :

يقولون طَلِّقْها وخَيِّـم مكانـهـا مُقيماً عليك الهَمّ أحلام نائم
وإن فراقي أهلَ بيت جمعتهم على كِبَرٍ مني لإحدى العظائم

ثم طلَّقها . . فمر به أبوه وهو يقول :

أعاتكُ لا أنساك ما ذَرَّ شارقٌ وما لاح نَجمٌ في السماءِ مُحَلِّقُ
أعاتِكُ قلـــبي كل يوم وليـــلة لديكِ بما تخـــفي النفوس مُعَلَّقُ

---

(١) ذم الهوى لابن الجوزي ، والصدِّيقة بنت الصدِّيق لعباس محمود العقاد .

ولم أرَ مثلي طلّقَ اليومَ مثلَها ... ولا مثلها في غيرِ شيءٍ تُطلّقُ

لها خُلُق جزْل ورأيٌ ومنصبٌ ... وخَلْق سَوّى في الحياة ومَصْدَقُ

فرَقّ له أبوه فراجعها ، ثم شهد مع النبي ﷺ غزوة الطائف فأصابه سهم ، فمات بعد بالمدينة . فقالت عاتكة تبكيه :

رُزِئْتُ بخير الناس بعد نبيهم ... وبعد أبي بكر وماكان قصّرا

فآليت لا تنْفَكُّ عَيْنَيَّ حزينةً ... عليكَ ولا يَنْفَكُّ جلدي أغبرا

فللّه عيناً من رأى مثله فتىً ... أكَرُّ وأحمى في الهياجِ وأصبرَا

إذا شُرِعَت فيه الأسِنَّةُ خاضها ... إلى الموت حتى يترك الرُمح أحمرَا

أرأيت كيف كان الحب ؟ وكم كانت تعشق المرأة العربية في الرجل ؟ إنها كانت تعشق فيه صفات البطولة والرجولة ولو ابتلعته الحرب العوان . .

أرأيت بِمَ رثت عاتكة زوجها ؟ لقد رثته بسمات الفروسية في غبار الحرب وفي مستنقع الطعن والضرب ، ولم تذكر فيه جماله ودلاله ، ونعومة يديه وشعره « الخنافس » وحذاءه ذا الكعب العالي . . !!

وحكى الأصمعي عن رجل من بني ضَبَّة قال : ضلت لي إبل فخرجت في طلبها ، حتى أتيت بلاد بني سليم ، فلما كنت في بعض أَحْوِمُها ، إذا جارية عشّى بصري إشراق وجهها ، فقالت : ما بُغيتك ، فإني أراك مُوَلَّهاً ؟ قلت : إبل ضلت لي فأنا في طلبها قالت : فتحب أن أُرشدك إلى من هي عنده ؟ قُلت : نعم . قالت : الذي أعطاكهن هو الذي أخذهن . . فإن شاء ردهن ، فاسأله من طريق اليقين ، لا من طريق الاختيار . . فأعجبني ما رأيت من جمالها وحُسن منطقها ، فقلت لها : هل لك من بعل ؟ قالت : كان والله ، فدُعي فأجاب إلى ما منه خُلِق ، ونِعْمَ البعل كان . . قلت لها : فهل لك في

بعل لا تُذم خلائقه ، ولا تُخشى بوائقه - يعرض عليها الزواج - فأطرقت ساعة[1] ثم رفعت رأسها وعيناها تذرفان دموعاً ، فأنشأت تقول :

كُنَّا كغصنين من بان غذاؤهما ماء الجداول في روضات جناتِ

فاجتث صاحبها من جنب صاحبه دهر يكر بفرحات وترحاتِ

وكان عاهدني إن خانني زَمن ألا يُضاجع أنثى بَعْدَ موتاتِ

وكنت عاهدته أيضاً فعاجله ريب المنون قريباً مُذْ سنيناتِ

فاصرف عتابك عمن ليس يصرفه عن الوفاء له خلب التحيات [2]

وحكى الأصمعي أيضاً قال : خرج سليمان بن عبد الملك ومعه سليمان بن المُهَلّب بن أبي صُفرة من دمشق متنزهين ، فمرا بالجبانة ، وإذا امرأة جالسة على قبر تبكي ، فهبت الريح ، فرفعت البرقع عن وجهها ، فكأنها غمامة جلت شمساً . . فوقفنا متعجبين ننظر إليها ، فقال لها ابن المُهَلّب : ياأَمَةَ اللّه ، هل لكِ في أمير المؤمنين بعلاً ؟ فنظرت إليهما ، ثم نظرت إلى القبر وقالت :

فإن تسألاني عن هواي فإنه بملحود هذا القبر يافَتَيَانِ

وإني لأستحييه والتُرب بيننا كما كنت أستحييه وهو يراني [3]

وممن تحدث التاريخ عن روعة وفائهن لأزواجهن قائلة بنت الفرافصة زوجة عثمان بن عفان رضي اللّه عنه - وكانت ذات رأي وفصاحة وجمال وكمال . .

فقد عرضت نفسها للقتل يوم أن اقتحم الثائرون دار عثمان بن عفان عنوة ، ولما أهوى أحدهم على عثمان بالسيف اتقت السيف بيدها فقطع أناملها . .

---

(١) الساعة جزء من أجزاء الوقت وإن قل .

(٢) أخبار النساء لابن القيم ، تحقيق الدكتور نزار رضا ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٣) المرجع السابق ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

وبعد أن قُتل عثمان رضي الله عنه وقفت يوماً على قبره وتَرَحَمَتْ عليه ثم انصرفت الى منزلها قائلة : إني رأيت الحزن يُبْلَى كما يُبْلَى الثوب ، وقد خفْت أن يُبلى حزن عثمان في قلبي ، فدعت بحجر وكسرت به مقدم أسنانها ، وقالَت: والله لا يقعد رجل مني مقعد عثمان أبداً . . . ثم أرسل إليها معاوية بعد ذلك ليخطبها فبعثت إليه بأسنانها ، وقالت : أذات عروس ترى ؟

وقالوا : لم يكن في النساء أحسن منها مَضْحَكاً ! !

ونقتصر على هذه الصور ، لأن حبل الحديث سيطول بنا في هذا المجال . . والحب بين الزوجين قائم في كل العصور ، ولكننا تخيرنا أمثلة من الأدب العربي ، لأن هؤلاء الناس أجادوا في التعبير عن عواطفهم وعواطف المحبين لزوجاتهم والمحبات .

* * *

شهيد الحب

خرج علينا من الذين لا يراعون حُرمة للكلمات ، ولا يتحرجون من ذكر الله ، ولا الأنبياء ولا الملائكة في أغانيهم - وصدق رسول الله ﷺ حين قال : « إذا لم تستح فاصنع ماشئت »[1] .

خرج علينا من يقول :

قد مات شهيداً يا ولدي   من مات فداءً للمحبوب

ويوم أن أذيعت هذه الأغنية تلقيت سيلاً من أسئلة الشباب عن حديث منسوب إلى رسول الله ﷺ وهو : « من عَشِقَ فعَفَّ فمات فهو شهيد » .

مامدى صحة هذا الحديث ؟

ولا أجد في هذا المقام زيادة على ما علّقَ به الإمام ابن القيم في كتابيه : «زاد المعاد» ، و « الجواب الكافي » . . يقول :

« إن هذا الحديث لا يصح عن رسول الله ﷺ ولا يجوز أن يكون من كلامه . فإن الشهادة درجة عالية عند الله مقرونة بدرجة الصدِّيقين ، ولها أعمال وأحوال هي شروط في حصولها وهي نوعان : عامة وخاصة . .

فالخاصة : الشهادة في سبيل الله . .

والعامة : خمس مذكورة في الصحيح ليس العشق واحداً منها ، وكيف يكون العشق الذي هو شِرك في المحبة وفراغ عن الله ، وتمليك القلب والروح والحب لغيره تُنال به درجة الشهادة . . هذا من المحال ، فإن إفساد عشق الصور للقلب فوق كل فساد . بل هو خمر الروح الذي يُسكرها ويصدها عن ذكر الله. وحبه والتلذذ بمناجاته والأنس به ، ويُوجب عبودية القلب لغيره . .

---

(١) حديث شريف .

فلو كان إسناد هذا الحديث كالشمس كان غلطاً ووهماً ، ولا يُحفظ عن رسول الله ﷺ لفظ العشق في حديث ألبتة . .

ثم إن العشق منه حلال ومنه حرام ، فكيف يُظن بالنبي ﷺ أنه يحكم على كل عاشق يكتم ويعف بأنه شهيد . . فترى من يعشق امرأة غيره ، أو يعشق المردان (الذكور) والبغايا ينال بعشقه درجة الشهداء ! !

وأنت إذا تأملت الأمراض والآفات التي حكم رسول الله ﷺ لأصحابها بالشهادة وجدتها من الأمراض التي لا علاج لها ، كالمطعون ، والمبطون ، والمجنون ، والحريق ، والغريق ، وموت المرأة يقتلها ولدها في بطنها ، فإن هذه بلايا من الله لا صُنْعَ للعبد فيها ، ولا علاج لها ، وليست أسبابها مُحَرَّمة ولا يترتب عليها من فساد القلب وتعبده لغير الله ما يترتب على العشق . .

فإن لم يكف هذا في إبطال نسبة هذا الحديث إلى رسول الله ﷺ فقلد أئمة الحديث العالمين به وبعِلَله ، فإنه لا يُحفظ عن إمام واحد منهم قط أنه شهد له بصحة ، بل ولا بحُسن ، كيف وقد أنكروا على سويد - هو *راوي الحديث - هذا الحديث ، ورموه لأجله بالعظائم ، واستحل بعضهم غزوه لأجل هذا الحديث ».

ونحن نقول : نعم . . من ابتُلي بحب امرأة ، فجاهد نفسه وحارب هواه واعتصم بربه ، ولجأ إليه . . لا شك أنه يدخل تحت قوله تعالى :

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾[1] .

وقد تبين لك جلياً أن الحديث السابق ليس من كلام النبي ﷺ ولا يشبهه ، والله الهادي إلى سواء السبيل . .

* * *

---

(١) النازعات : ٤٠ ، ٤١ .

الماضي

وتسألونني : إذا تَوَرَّط فتى أو فتاة في مثل هذه العلاقة ، ثم رجع ، وتاب إلى الله وأناب . . هل يُحَدِّث بها خطيبته أو زوجته مثلاً . . ؟

هنا ياشباب ، أرفع راية الخطر ، لأحذركم كل التحذير . . فالشاب الذي يصف بطولاته ومغامراته العاطفية مع الأخريات أمام خطيبته أو زوجته ، فإنه يُحَطِّم نفسه كمثل أعلى في خيال زوجته ، وسيكون هذا سبباً مباشراً في إصابتها بداء الشك فيه . . في تصرفاته وحركاته وسكناته ، وبذلك يكون قد وضع السُم في حياته لتنتحر انتحاراً بطيئاً . .

وكذلك الفتاة – والموقف بالنسبة لها مُرهف وحسَّاس – ينبغي عليها ألا تتكلم مطلقاً بشيء من هذا ، ولتستتر بستر الله لها ، فإن الرجل لا يمكن بحال من الأحوال أن يتصور أن هذه المرأة عرفت رجالاً قبله . والرجل لا ينسى للمرأة زلتها أو سقطتها مدى الحياة . فإن صَرَّحت المرأة بشيء من هذا القبيل . . تكون هذه الغرة الساذجة بجهلها قد وضعت – بإخلاص – مادة متفجرة في بيتها ، توشك أن تنسف صرح حياتها من الأعماق . .

وإليكم ياشباب توجيهات الإسلام في هذا المجال تتحدث عنه سُنَّة رسول الله ﷺ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل أمتي معافى إلا المجاهرين ، وإن من المجانة ، أن يعمل الرجل بالليل عملاً ، ثم يصبح وقد ستره الله ، فيقول : يافلان . . عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ، ويُصبح يكشف سِتر الله عنه » (١) .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله عنها ، فمن ألَمَّ بشيءٍ منها فليستتر بسترِ الله » (١)

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني عالجت (٢) امرأة من أقصى المدينة ، فأصبت منها ، دون أن أمسها. فأنا هذا ، فأقم على ماشئت . فقال عمر : قد ستر الله عليك لو سترت على نفسك . فلم يرد النبي ﷺ شيئاً ، فانطلق الرجل فأتبعه النبي ﷺ رجلا ، فدعاه ، فتلا عليه : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَهَـارِ وَزُلَفـاً مِنَ اللَّيْلِ ، إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ، ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾(٣) .

فقال له رجل من القوم : يارسول الله ، أله خاصة أم للناس كافة ؟ فقال : « للناس كافة » (٤) .

وهكذا ياشباب ، نجد أن ديننا الحنيف ليس مُغْرَماً بالتشهير ولا بإثارة الفضائح ، ولا بإقامة الحدود ، بل إنه يعطي الفرصة لمن هفا هفوة أو كبا كبوة أن يستأنف حياة جديدة نظيفة ما دام قد تاب إلى الله وأناب :

﴿ إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ، وكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾(٥) .

* * *

(١) أ خرجه الحاكم ورواه مالك في الموطأ.
(٢) قبلها أو احتضنها .
(٣)هود : ١١٤ .
(٤) رواه مسلم والترمذي وأبو داود واللفظ له .
(٥) الفرقان : ٧٠ .

الفصل الرابع

الأمراض الخلقية

- الشذوذ الجنسي .
- الـــزنـــا .
- الإيدز .. طاعون عصر الفضاء .
- العـــادة الســـريـــة .

الشذوذ الجنسي

هو قضاء الشهوة مع نفس الجنس ، وارتكاس وانتكاس ، ودليل شذوذ النفس وانحراف الشعور . . وبه يتدلى الإنسان الى أخس من مرتبة الحيوان ، إذ فطرة الحيوان تأبى مثل هذا العمل الدنئ . .

وقد عَاقَب اللّهُ قوم لوط على هذه الجريمة عقاباً مُروِّعاً ، إذ أمر جبريل برفع قراهم إلى السماء ، فجعل عاليها سافلها ، وأمطر عليهم حجارة من صنع جهنم . . كل حجر مكتوب عليه اسم صاحبه . يقول تعالى :

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ ، وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾(١) .

وفي نفس الطريق الذي أدى بقوم لوط إلى الهاوية يتبعهم الغرب بحضارته المادية الجنسية حذو النعل بالنعل . . وقد نشرت الصحف مؤخراً : أن عشرين شخصاً يمثلون عشرين مليوناً من هواة ومحترفي اللواط والسحاق ذهبوا إلى الرئيس الأمريكي « كارتر » ليُقَدِّم لهم تسهيلات أكثر ، ويُصَرِّحون بأنهم يأملون فيه أكثر من غيره . .

ولعلك تعجب وتتساءل . . لِمَ لَمْ تجر عليهم سُنةُ اللّه في قوم لوط ؟ . . وهو سؤال ينم عن صفة العجلة في الإنسان والتي وصفه اللّه بها في قوله تعالى :

﴿ وكانَ الإِنْسَانُ عَجُولاً ﴾(٢) .

﴿ خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾(٣) .

﴿ وَيَسْتَعجِلُونَكَ بِالعَذَابِ وَلَنْ يَخْلِفَ اللّهُ وَعْدَهُ ﴾(٤) .

---

(١) هود ٨٢ ، ٨٣ .

(٢) الإسراء : ١١ .

(٣) الأنبياء : ٣٧ .

(٤) الحج : ٤٧ .

وإذا أردت معرفة الإجابة فتدبر قول الله عز وجل :

﴿ أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ ، كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴾[1] .

وتأمل قول رسول الله ﷺ : « إن الله ليُملي للظالم ، فإذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ :

﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ ، إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[2] .

* * *

• قوم لوط :

ولكي ندرك مدى شناعة الجُرم وبشاعته ، لا بد لنا أن نعرض قصة قوم لوط عرضاً سريعاً يبيّن مكامن الداء ، ويطلعنا على مصارع الذين غضب الله عليهم . . ليكون في ذلك عبرة وعظة لقوم يعقلون .

قوم لوط هم أول من سَنُّوا الشذوذ الجنسي على وجه البسيطة ، فأرسل الحق تبارك وتعالى إليهم نبيه لوطاً :

﴿ وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ ، بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾[3] .

فيم أجابوه ؟

لقد أجابوه إجابة منكرة . . إجابة كل مجتمع جاهلي يُسمى الفضيلة رجعية ،

---

(١) غافر : ٢١ . (٢) متفق عليه – والآية من سورة هود : ١٠٢ . (٣) النمل : ٥٤ . ٥٥.

ويُسمى الاحتشام تأخراً ، ويُسمى التدين تعصباً ، ويسمي الدعارة فناً . . إجابة المجتمع الذي يُعِد الطهارة جريمة يستحق الإنسان النفي بسببها :

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ، إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾[1] .

واستشرى الشذوذ بينهم وانتشر ، وصار يُمارَس في مجتمعات القوم وفي أنديتهم - كما في أوروبا الآن - وطارت شهرة قوم لوط في هذا العمل الخبيث حتى لم ينج منهم ضيف أو غريب أو عابر سبيل . .

طفح الكيل وجاوز الأمر منتهاه ، فلا حوار لوط معهم يُجدي ، ولا إقناعه لهم بأن يتزوجوا النساء يُفيد ، بل لَجُّوا في طغيانهم يعمهون ، وقالوا له في صلف وصفاقة وإصرار : ﴿ ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[2].

ورتبت السماء الأمر ، وأرسل الله وفداً من الملائكة برئاسة جبريل في مهمة مزدوجة ، فتوجهوا أولا إلى أبي الأنبياء إبراهيم . .ألقوا عليه السلام فرد عليهم التحية بأحسن منها ، ثم تسلل متخفياً وأتى لهم بعجل مشوي . . ولكن الخوف ساوره حينما رأى أيديهم لا تمتد إلى الطعام ، فلاحظت الملائكة ذلك على نبي الله ابراهيم فكشفوا عن خصيتهم وقالوا له : لا تخف ، إنا أرسلنا إلى قوم لوط ، وكانت زوجته قائمة تنظر أمر هؤلاء ، فبشرتها الملائكة بولد اسمه إسحاق وولد لإسحاق اسمه يعقوب تعيش حتى تراه . ولكن المفاجأة أذهلتها ، فصكت وجهها وقالت : ﴿ يَاوَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً ، إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾[3] .. فردت عليها الملائكة قائلة : ﴿ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ، رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ، إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾[4] ..

---

(١) النمل : ٥٦ .

(٢) العنكبوت : ٢٩ .

(٣) هود : ٧٢ .

(٤) هود : ٧٣ .

ودار الحوار بين نبي الله إبراهيم والملائكة في شأن قوم لوط ، واحتمال رجوعهم عن غيهم ، ولكن الملائكة بينت له أن الله قد حسم القضية : ﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ، إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ، وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾(1) .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَاماً ، قَالَ سَلَامٌ ، فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ * فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ، قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ * وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً ، إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ، إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ * فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ * إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ * يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ، إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ، وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾(2) .

وخرجت الملائكة قاصدة قرية لوط ، والتقوا به على مشارف سدوم وهو يجهل حالهم . . شباب في مقتبل العمر ، مشرقة وجوههم ، مبهجة طلعتهم ، وسيمة خلقتهم . . وعندما التقى بهم نبي الله لوط وعرف أنهم ضيوفه وضع يده على قلبه ، وكتم أنفاسه ، وتمتم قائلا : ﴿ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾(3) . وظل طوال الطريق يعرض لهم بأن ينصرفوا عنه فيقول : « والله ما أعلم على وجه الأرض أهل بيت أخبث من هؤلاء » وظل يكرر عليهم القول علهم ينصرفون عنه ، ولكن الملائكة تصحبه إلى داره ثابتة الخطى رابطة الجأش لتنفيذ أمر الله ، ودخلوا بيته، وما أن أخذوا مجالسهم حتى أسرعت زوجته الكافرة بإخبار القوم بهذا الصيد الثمين،

---

(1) هود : ٧٦ .   (2) هود : ٦٩ ، ٧٦ .   (3) هود : ٧٧ .

فقالت لهم : « إن في بيت لوط رجالاً ما رأيت مثل وجوههم قط » وإذا بالقوم ينطلقون كالمجانين إلى دار لوط . . وعسكروا حول الدار ، وأخذ نبي الله لوط ينثر كل ما في جُعبته من وسائل الإقناع ، واستثارة أحاسيس الشفقة ، واستجاشة مشاعر الرجولة :

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ، أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾[1] .

ولكنهم يجيبونه بكل صفاقة :

﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ * قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾[2] .

وتأزم الموقف . وتعقدت الأمور ، وانتاب الحزن الشديد قلب نبي الله لوط . ويكشف الضيوف عن حقيقتهم . . إنهم ملائكة :

﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ، إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ، إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ، أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾[3] .

وخرج جبريل عليهم فضرب وجوههم ضربة بطرف جناحه فطمس أعينهم ، فرجعوا يتخبطون في الطريق . .

ولما جاء أمر الله عز وجل أمر جبريل – وهو الذي وصفه الله بأنه : ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾[4] .

أن يُنَفِّذْ فيهم حكمه ، فاقتلع قُرى قوم لوط من الماء الأسود حتى خرج مكانها البحر الميت ورفعها إلى السماء ، فجعل عاليها سافلها وأمطر عليهم حجارة من

(1) هود : ٧٨ .
(2) هود : ٧٩ ، ٨٠ .
(3) هود : ٨١ .
(4) التكوير : ٢٠ .

سجيل ، كل حجر يحمل اسم صاحبه . يقول تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِن سِجِّيلٍ مَنضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ، وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾[1] .

وهكذا طوى الله صفحة من صفحات المفسدين في الأرض لعلها تكون عظة وعبرة للمعتبرين . . ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ .

﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[2] .

﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾[3]

* * *

● التحذير من عمل قوم لوط :

عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم لوط » [4] .

وعن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لعن الله من وقع على بهيمة ، ولعن الله من عمل عمل قوم لوط » [5] .

وعن أنس رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا استحلت أمتى خمساً فعليهم الدمار : إذا ظهر التلاعن ، وشربوا الخمور ، ولبسوا الحرير ، واتخذوا القيان ، واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء » [6].

* * *

---

(١) هود : ٨٢ ، ٨٣ .
(٢) العنكبوت : ٣٥ .
(٣) الذاريات : ٣٧ .
(٤) رواه الترمذي ، وابن ماجه والحاكم .
(٥) رواه أحمد .
(٦) رواه البيهقي .

• **حتى الزوجة :**

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « لا ينظر الله عز وجل إلى رجل جامع امرأته في دُبرها » [(١)] .

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال ﷺ « لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلا أو امرأة في دُبرها » [(٢)] .

ولتنظر المرأة المسلمة كيف كرمها الإسلام وراعى مشاعرها ، لتنظر إلى الديانة اليهودية وكيف تجعل من المرأة كماً مهملاً لا قيمة له . .

« لما قال الحاخام يوحنا : إن اللواط بالزوجة غير جائز عارضوه في ذلك قائلين: إن الشرع لم يُحَرِّم هذا الأمر ، بل قال : لا يُخطئ اليهودي مهما فعل مع زوجته ، وأية طريقة اتبعها نحوها بأمر الزواج فهي بالنسبة للاستمتاع بها كقطعة لحم اشتراها من الجزار يمكن أن يأكلها مسلوقة أو مشوية على حسب رغبته »[(٣)]

* * *

• **حكم الإسلام في جريمة الشذوذ الجنسي :**

أعرض عليك حكم الإسلام في هذه الجريمة المنكرة ، ولست أقصد بذلك استنباط الأحكام أو المقارنة بين الآراء . . ولكن قصدت إلى توضيح حكم الإسلام في هذا الشذوذ الغريب عن الفطرة السوية التي فطر الله الناس عليها .

يقول النبي ﷺ : « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط ، فاقتلوا الفاعل والمفعول به » [(٤)] .

---

(١) رواه ابن ماجة .

(٢) رواه الترمذي .

(٣) الزنا .. عن الكنز المرصود في قواعد التلمود .

(٤) إسناده على شرط البخاري .

وعن محمد بن المنكدر أن خالد بن الوليد كتب الى أبي بكر الصديق رضى الله عنه أنه وجد رجلا في بعض الأضاحي ينكح كما تنكح المرأة ، فجمع أبو بكر لذلك أصحاب رسول الله ﷺ منهم عليّ بن أبي طالب . . فقال عليّ : إن هذا ذنب لم تعمل به إلا أمة واحدة ففعل الله بهم ما قد علمتم ، أرى أن تحرقه بالنار .. فاجتمع رأي أصحاب رسول الله ﷺ أن يُحرق بالنار ، فأمر به أبو بكر أن يُحرق بالنار . .

وعن يزيد بن قيس ، أن علياً عليه السلام رجم لوطياً . .

ورُوى عن عمر أنه قال : من عمل عمل قوم لوط فاقتلوه . .

وعن سعيد بن يزيد قال : سُئل ابن عباس : ما حَدُّ اللوطي ؟ قال : يُنظر أعلى بيت في القرية فيُرمي مُنَكَّساً ثم يُتبع بالحجارة . .

وعن سعيد بن المسيب قال : على اللوطي الرجم ، أحصن أو لم يحصن .

وقال عبد الله بن عمر : يُحشر اللوطيون يوم القيامة في صورة القِردة والخنازير .

وفي الحديث : « اللوطيان لو اغتسلا بماء البحر لم يجزهما إلا أن يتوبا » .

وقال مجاهد : « لو أن الذي يعمل ذلك العمل - يعني عمل قوم لوط - اغتسل بكل قطرة في السماء وكل قطرة في الأرض لم يزل نجساً » . .

وقد ذكر الله - سبحانه - عقوبة اللوطية وما حل بهم من البلاء في عشر سور من القرآن وهي : سورة الأعراف ، وهود ، والحجر ، والأنبياء ، والفرقان ، والنمل ، والشعراء ، والعنكبوت ، والصافات . واقتربت الساعة ، وجمع على القوم بين عمي الأبصار ، وخسف الديار ، والقذف بالأحجار ، ودخول النار . . وقال مُحَذِّراً لمن عمل عملهم وما حل بهم من العذاب الشديد : ﴿ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴾[1] .

---

(١) هود : ٨٩ .

وقال بعض العلماء : إذا علا الذكرُ الذكر هربت الملائكة ، وعجّت الأرض إلى ربها ، ونزل سخط الجبار - جل جلاله - عليهم ، وغشيتهم اللعنة ، وحَفّتْ بهم الشياطين ، واستأذنت الأرض ربها أن تُخسف بهم . وثَقُل العرش على حملته ، وكبَّرت الملائكة ، واستعرت الجحيم ، فإذا جاءته رُسل الله لقبض روحه نقلوها إلى ديار إخوانهم ، وموضع عذابهم ، فكانت روحه بين أرواحهم ، وذاك أضيق مكاناً وأعظم عذاباً من تنور الزناة ، فلا كانت لذّة تُوجب هذا العذاب الأليم، وتسوق صاحبها إلى مرافقة أصحاب الجحيم . . تذهب اللذّات وتعقب الحسرات، وتفنى الشهوة ، وتبقى الشقوة . .

وكان الإمام أحمد بن حنبل يُنشد :

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها — من الحرام ويبقى الخزي والعار

تبقى عواقب سوء في مغبتها — لا خير في لذة من بعدها النار [1]

* * *

• الأضرار الجسمية والنفسية للشذوذ الجنسي :

ومن الأضرار الجسمية والنفسية لهذه العلاقة الشاذة :

١ - عدم الميل الى المرأة : فيبلغ الأمر باللائط إلى عدم الميل إلى النساء ، وقد يصل به الأمر إلى أنه لا يملك مباشرة امرأة ما . .

٢ - الانعكاس النفسي : فيشعر الشاذ بأنه ما خُلِقَ ليكون رجلاً ، ولذلك يلازمه الإحساس بالميل إلى بني جنسه ، وتتجه أفكاره الخبيثة إلى أعضائهم التناسلية . .

٣ - إضعاف القُوى النفسية والطبيعية ، فيُصاب الشاذ بالأمراض العصبية والنفسية كالسادية والماسوشية ، والفيتشزم ، وغيرها .

---

(١) انظر ذم الهوى لابن الجوزي ص ٢٠١ وما بعدها ، وروضة المحبين ص ٣٥٨ وما بعدها.

٤ - التأثير على المخ : يُصاب الشاذ باختلال التوازن العقلي والبلاهة الواضحة وشرود الفكر ، وذلك يرجع إلى قلة الإفرازات الداخلية التى تفرزها الغُدَّة الدَرقية ، والغُدد فوق الكُلى وغيرها وذلك من تأثير هذا الشذوذ . .

٥ - السويداء : فقد تكون هذه الممارسة غير الطبيعية سبباً في ظهور مرض السويداء وتكون عاملاً قوياً في إظهاره نتيجة للشذوذ الوظيفي لهذه الفاحشة المنكرة . .

٦ - عدم كفاية اللواط : فهذه العلاقة غير كافية لإشباع العاطفة الجنسية ، لأنها بعيدة عن الملامسة الطبيعية ، ولذلك فإنها لا تقوم بإرضاء المجموع العصبي . .

٧ - ارتخاء عضلات المستقيم وتمزقه : لأن هذا الوضع غير الطبيعي يسبب تمزق المستقيم وهتك أنسجته وارتخاء عضلاته ، فيفقد المستقيم قوة سيطرته على المواد البرازية ، وبالتالي فإن ذلك يسبب للفاسق عدم التحكم في عملية الإخراج.

٨ - الانحطاط الخُلُقي : وكنتيجة مباشرة للخلل النفسي الذي يُصاب به هؤلاء الشواذ ، فإننا نجدهم يفقدون السيطرة على أنفسهم ، فيسببون لمجتمعاتهم الاضطراب والخلل بالسطو على الأطفال الصغار ، واستعمال العنف، والتجرؤ على ارتكاب أبشع الجرائم التي تسيل بها أنهار الصحف في المجتمعات التي فقدت نور ربها . ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾[1] .

٩ - التأثير على أعضاء التناسل : يُضعف اللواط كذلك مراكز الإنزال الرئيسية في الجسم ، ويعمل على القضاء على الحيوانات المنوية فيه ، ويُؤثّر على تركيب مواد المَنّى ، وينتهي الأمر باللائط الى العُقم . .

١٠ - الإصـابة بالتيفـود والدوسنتاريا : واللواط بجانب ذلك يسبب العدوى

---

(١) النـــــور : ٤٠ .

بحمى التيفود والدوسنتاريا والأمراض الخبيثة التي تنقل عن طريق التلوث بالمواد البرازية ..

١١ - أمراض الزنا : بالإضافة إلى الأمراض السالفة الذكر ، فإن هؤلاء الشواذ مُعَرَّضون أيضاً للإصابة بالأمراض الرهيبة التي يُصاب بها الزناة .

﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[١] .

وجاء أيضا في كتاب « القرآن والطب » : « إن من أهم الأسباب التي حُرِّمَ « اللواط » من أجلها بقاء الجهاز التناسلي عند الرجل والمرأة سليماً ، إذ أن لسلامته تأثيراً كبيراً في سلامة كل عضو آخر من أعضاء الجسم ، فمن المعروف علمياً أن الإفرازات التي يفرزها الجهاز التناسلي ترتبط بأوثق الصلات بإفراز الغُدَّة النُخامية ، تلك الغُدَّة الصغيرة الحجم العظيمة الشأن التي في أسفل المخ والتي تتحكم في نشاط أعضاء الجسم وأجهزته المختلفة : القلب وسائر الأعضاء الأخرى والجهاز الهضمي والجهاز التنفسي والجهاز العصبي . .

والجهاز التناسلي في الرجل والمرأة جهاز خال من الجراثيم تماماً بعكس نهاية الأمعاء الغليظة ، فإن الفضلات التي تخرج منها يتكون معظمها من جراثيم ضارة : جراثيم معروف علمياً أنها هي التي تُسبب القيح ، ولم يحتط لها الجسم إلا في هذا المكان فحسب ، بحيث لو وُجدت في مكان آخر لأدت إلى أعظم الضرر . . فتسربها إلى الجهاز التناسلي للرجل أو للمرأة أو لكليهما عن طريق اللواط يُفقد هذا الجهاز صفة طهارته من الجراثيم ، فيصبح مرتعاً لهذه الجراثيم، ويترتب على هذا إضعاف الحيوانات التناسلية وربما أدى ذلك إلى القضاء عليها.

وبما أن الجهاز التناسلي والغُدَّة النُخامية مرتبطان - كما أسلفنا - ارتباطاً وثيقاً فإنه يترتب على التهاب الجهاز التناسلي واضطراب إفرازاته اضطراب الغُدَّة النُخامية ، فيتأثر باضطرابها الجسم كله »[٢] . .

* * *

---

(١) انظر كتاب «القرآن والطب» للدكتور محمد وصفي ص ١٢٢ ومابعدها - والآية من سورة النحل : ١١٨ .

(٢) القرآن والطب : أحمد محمود سليمان ص ١١٧ .

الـــــــــــزنا

مرض خُلُقي خبيث ، لا يظهر إلا في المجتمعات الجاهلية التي ابتعدت عن طهر السماء ونقائها لتتدنى إلى رِجس الجاهلية ودنسها .

وهذه الآفة المهلكة لا تستشري إلا في المجتمعات التي تعبد الجنس ، وتُقَدِّم له القرابين . . وتصير قَوَّادات الجنس فيه شموساً ساطعة في سماء الفن ، حتى تُقَدَّم الواحدة منهن إلى المحاكمة ، فيُخلى سبيلها لماضيها العريق في الفساد والإفساد ، ليُحيوا سنن الذين غضب الله عليهم ، من الذين كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه . .

أتذكرون ياشباب كيف كانت المومسات في الحضارة اليونانية - التي هوت - شموساً في سماء العلم والأدب . . وهكذا يُعيد التاريخ نفسه على أرض الإسلام . .!!

ولأن الطريق إلى هذه الجريمة الكبرى يمر عبر مراحل قد يستهين بها الإنسان ولا يلقي لها بالاً ، فإننا نجد رسول الله ﷺ يصف مدارج هذا الطريق ليكون المسلم على بينة من أمره ، وحتى لا يسترسل معها فتوصله إلى غضب الله فيقول : « كُتبَ على ابن آدم نصيبه من الزنا ، مُدرك ذلك لا محالة : العينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زِناه الكلام ، واليد زِناها البَطش ، والرجل زِناها الخُطى ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويُصَدِّقُ ذلك الفرج أو يُكَذِّبه »[1] .

والحق - تبارك وتعالى - الخبير بخفايا النفوس لم يُحَذِّر من الزنا مباشرة وإنما حذَّر أولاً من مقدماته فقال : ﴿ وَلاَ تَقْرَبُوا الزِناَ ، إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾[2] .

---

(١) متفق عليه .

(٢) الاسراء : ٣٢ .

والمجتمعات التي تُشْحن فيها أجهزة الإعلام نفوس الشباب بالإثارة والمهيجات التى ينطلق في دمه شواظ منها ما ذاك إلا دعوة مُقَنَّعَةٌ لممارسة البغاء ، وهذا نوع من إلهاء الشعوب وتنويمها في خِدر لذيذ حتى تظل فاقدة الإحساس فلا تُحَرِّك ساكناً ولا تثور على باطل . .

ولعلك قرأت ما كتبنا عن الجنس في الغرب ، وما أدى إليه من فساد في الأسرة ، وتفكك في العلاقات ، واختلاط في الأنساب ، وجناية على النسل وانتشار للأمراض . . لقد كان في قَصصهم عِبرة لأولي الألباب .

والإسلام عندما يُشَرِّع فإنه لا يُشَرِّع لمجتمعات انسلخت من آيات الله ، واتبعت أهواءها ، ولكنه يُشَرِّع لمجتمعات من صُنع الإسلام . . مجتمعات طاهرة نظيفة ، ولذلك فإن جريمة الزنا في البيئة الإسلامية لا وجود لها إلا في الشذوذ الذى لا يُقاس عليه ، وقد وضع الإسلام عقوبة رادعة قد تبلغ حد الإعدام رمياً بالحجارة على أعين الناس تطهيراً للمجتمع ، وحِفاظاً على الأعراض ، وقمعاً للذين يريدون تلويث المجتمع الإسلامي النظيف .

ومن بشاعة هذه الجريمة وجسامتها قرنها الله تعالى بالقتل في قوله :

﴿ وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ ﴾[1] .

وكيف لا يكون الزاني قاتلا ، وقد انتهك عِرْضاً ، واستحل حُرمة ، وزرع بذره في غير أرضه . .

ولو تَبَصَّرْتَ بعين العقل ، وتأملتَ بعين الفكر طفلة ضائعة شريدة جاءت ثمرة مُرَّةٌ لشهوة لحظة .

هذه الطفلة الغضة البريئة ..

---

(١) الفرقان : ٦٨ .

هذه الزهرة المتفتحة في أكمامها . .

هذه التي قُذِفَ بها إلى الحياة لتَعاني شقاء الأبد . .

ماذا جنت . . لتفتح عينيها على الحياة فلا تجد مأوى إلا أحضان المؤسسات، أو ليتلقفها من لا يعرف الله من أبالسة البشر فيتاجر في عرضها ، ليُقدِّم للمجتمع ساقطة جديدة . . ؟

أية جريمة اقترفت . . لتنظر الى الأطفال فتجد لكل طفل أماً تحنو عليه ، وأباً يُسارع في هواه ، وهي لا تجد من المجتمع إلا كل احتقار وازدراء . .؟

أية جريمة ، اقترفت . . لتتمنى الموت في كل يوم بل وفي كل ساعة ولسان حالها يقول :

لموتة تأخذ الإنسان واحدة　　　خير له من لقاء الموت مرات

أية جريمة اقترفت . . . حتى تُحرم من حقوق الرضاعة ، والنفقة والحضانة والتعليم وفي أن تنشأ في جو نفسي خال من العقد والضغوط النفسية . . ؟

أية جريمة اقترفت . . حتى تُحرم من دفء الحياة ونعيمها بين أبوين شرعيين تنعم في ظلهما بجمال الحياة . . ؟

لهذا قَرَنَ اللّهُ جريمة الزنا بجريمة القتل . .

ولهذا - أيضاً - ضرب الإسلام بيد من حديد كل من يحاول العبث بأعراض المجتمع المسلم . .

* * *

وهذا الزاني النجس الذيل قد يُصَوِّر له الوهم أنه كالفراشة ينتقل من زهرة إلى زهرة ، أو من فَنَنٍ إلى فنن ، ولكنه يُخطئ التصوير ، إنه كالكلب ينتقل من جيفة منتنة إلى جيفة متعفنة . .

يُصَوِّرُ لنفسه أنه يعيش حياة الانطلاق والانعتاق ، وفي الواقع أنه يعيش

سجين الأوهام . . يعيش ضائعاً ، تائهاً ، شريداً ، لا يستطيع الإقدام على الزواج ومسئولياته كما يقدم الرجال ، لأنه مُصاب بنقص في رجولته . .

يتحدث ابن القيم عن صفات الزاني فيقول : « الزنا يجمع خلال الشر كلها ، من قلة الدين ، وذهاب الورع ، وفساد المروءة ، وقلة الغيرة ، فلا تجد زانياً معه ورع ، ولا وفاء بعهد ، ولا صدق في حديث ، ولا محافظة على صديق ، ولا غيرة تامة على أهله ، فالغدر ، والكذب ، والخيانة ، وقلة الحياء ، وعدم المراقبة ، وعدم الأنفة للحرم ، وذهاب الغيرة من القلب من شعبه وموجباته ، ومن موجبات غضب الرب بإفساده حُرمه وعياله . . ومنها أنه يسلبه أحسن الأسماء وهو اسم العفة والبر والعدالة ، ويعطيه أضدادها كاسم الفاجر والفاسق والزاني والخائن . . ومنها قلة الهيبة التي تنزع من صدور أهله وأصحابه وغيرهم له ، وهو أحقر شئ في نفوسهم وعيونهم ، بخلاف العفيف فإنه يرزق المهابة والحلاوة.. ومنها أن الناس ينظرون بعين الخيانة ولا يأمنه أحد على حرمه ولا على ولده . . . . » [1] .

ويقول الدكتور محمد وصفي تحت عنوان « أخلاق الزانية ونفسيتها » :
« فالزانية مخلوقة شاذة ، وشذوذها لا يتفق مع طبيعة الرجل العادية ، من الناحية العقلية ، والنفسية والجنسية والأخلاق ، فهي مسلوبة الشرف والعفاف ، ظاهرة اللؤم والنفاق ، تُرضى كل طارق ، وتَدَّعي حُب كل زان ، تبتسم ابتسامة ملؤها النفاق والخداع ، وتُقبل عن نفس سقيمة عليلة ، وروح خادعة غاشة ، ألقت بُرقع الحياء ، ولبست أثواب الخبث والخديعة ، لا كرامة لها ، ولا قوام لأخلاقها ، لها عقيدة فاسدة ، ورأي ضال ، فلا تصلح أن تكون شريكة رجل مسلم مهذب النفس قويم الأخلاق حسن الطباع ، ولقد قال تعالى :

﴿ ٱلْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ، وَٱلطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ﴾[2] .

* * *

---

(١) روضة المحبين ص ٣٤٨ ومابعدها .

(٢) النور : ٢٦ .

علماء الطب والنفس وجريمة الزنا

يقول الدكتور فوزي علي جاد الله في كتاب « الصحة العامة » :

الأمراض السرية المعروفة : هي الزُهري ، والسَيَلان ، والقرحة الرخوة ، والجرانيولوما الأربية ، والجرانيولوما الليمفاوية السرية . .

وتختلف هذه الأمراض في مسبباتها الأساسية ولكنها تتشابه في وسائل انتقال العدوى بها ، وهي أساساً بالملامسة الجنسية ، وعلى ذلك فهي تتشابه أيضاً في طرق الوقاية والمكافحة ، وأهمها الزُهري والسيلان لارتفاع معدلات انتشارها ، والزُهري أخطرها لإزمانه وللمضاعفات الخطرة التي تنتج عنه من عجز وعاهات ووفيات ، والتقارير الصحية الحديثة تشير إلى اتجاه معدلات انتشار الزُهري والسيلان للارتفاع ، مما يشير إلى أهمية هذين المرضين في الصحة العامة الاجتماعية .

• الزُهري :

تُعَرِّفه الموسوعة الطبية الحديثة بأنه مرض مُعْدٍ يصيب كل أنسجة الجسم وأعضائه ، ويُسبب الزُهري نوعاً من البيكتريا يُسمى الحلزونيات أو اللولبيات تنتقل من شخص الى آخر عن طريق الاتصال الجنسي . . ولا يُوَرَّث الزُهري ، ولكنه ينتقل من الأم المصابة به إلى جنينها وهو ما يُسمى الزُهرى الخِلقي أو الولادي ، ويظهر على الوليد وقت الولادة أو بعد ذلك . .

وفي طوره الأول تصل جراثيم الزُهري إلى الدم بعد اختراقها الجلد أو الغشاء المخاطي بساعات قليلة ، وتنتشر في جميع الجسم بعد أسبوع تقريباً . .

وأول علامات الزُهري ظهور قرحته المتميزة بعد العدوى بمدة تتراوح بين تسعة أيام وثلاثة أشهر ، وهي ثلاثة أسابيع في المتوسط . وقرحة الزُهري صلبة ، وتظهر على قضيب الرجل أو على فرج المرأة في مهبلها . وقد تظهر على

الشفتين أو الثدي أو الأصابع أو حول الشرج ، ويمكن رؤية جراثيم الزُهري إذا فُحصَ رشح القرحة تحت المجهر . . وتزول قُرحة الزُهري فيما بين عشرة أيام وأربعين يوماً بغير علاج ، وقد يؤدي ذلك إلى الاعتقاد الخاطئ بالشفاء . وقد لا تظهر قرحة الزُهري إطلاقاً ، أو تكون صغيرة فلا يميزها الفاحص . .

ويبدأ الطَور الثاني بعد زوال القرحة بمدة تتراوح بين شهرين وستة أشهر ويستمر سنتين تقريباً . .

وأول أعراض الزُهري في طَوره الثاني ظهور طفح على جزء من أجزاء الجسم، ثم يُغطي سطح الجلد كله ، وكذلك راحتي اليدين وإخمص القدمين ، ويشبه طفح الحصبة ولكنه لا يسبب حَكّة ، ولا يمكن التحقق من أنه طفح الزُهري إلا بفحص الدم ، ومن أعراضه أيضاً صُداع وحُمّى وإحساس بالمرض . . وقد تسقط خصل من الشعر ، وتتألم العظام والمفاصل ، وتظهر الأنيميا (فقر الدم) وتتأثر العينان . .

والزُهري في طَوره الثاني مُعْدٍ جداً ، وينتقل بسهولة ، وهو ينتشر بالتقبيل إذا ظهرت قروح مخاطية على الشفتين أو الفم . .

والطَور الثالث هو الطَور النهائي أو الزُهري الكامن . . وقد يظهر بعد زوال الزُهري الثانوي مباشرة أو بعد سنين طوال تتراوح بين خمس سنوات وخمس عشرة سنة أو أكثر ، وقد لا يشعر به المصاب رغم وجود الجراثيم في داخل جسمه ، وقد يكون فحص الدم سلبياً . .

وهذا الطَور قليل العدوى ، ولكنه شديد الخطورة على المصاب نفسه ، وتغزو الجراثيم جميع خلايا الجسم فتسبب فقد الإبصار ، وأمراضاً خطيرة بالرئتين والقلب والمخ وجميع الأعضاء الداخلية . . ويُصيب الزُهري العظام والمفاصل والجلد ، وقد يُسبب الزُهري قروحاً عميقة بالساقين ، والتهاباً مزمناً بالعظم ، وثقباً بالحنك الرخو . .

والزُهري مميت في طَوره الثالث إذا أصاب القلب أو الجهاز العصبي المركزي .

وسبب الوفاة في إصابة القلب أو الأورطـي أو أصمته - إنفجـار الأورطـي أو إخفاق القلب . .

وتسبب إصابة الجهاز العصبي المركزي شللاً قد يُؤدي إلى الجنون والموت . .

ويتحدث الدكتور أحمد عكاشة عن أهم الأعراض العقلية لزهري الجهاز العصبي فيقول : « وأهم الأعراض العقلية في المرحلة الأولى والثانية هي الصداع . . صعوبة التركيز . . سهولة الإرهاق . . التهيج العصبي مع أعراض التوهم المرضي ». .

* * *

• السَيَلان في الذكور :

أول أعراضه هو الإحساس بحرقان عند التبول ، شديد ، أو بسيط ، وإذا لم يُبادر المريض إلى العلاج فإن العدوى تمتد إلى الجزء الخلفي من مجرى البول في القضيب وعُنق المثانة والبروستاتاً ، ويتبع ذلك كثرة التبول وأحياناً نزول دم مع البول ، ومما يزيد هذه المضاعفات الإثارة الجنسية ، وشرب الخمر ، وقد يُشفى تلقائياً بعد شهور أو سنة ، وقد تنشأ مضاعفات موضعية مثل خُرَّاج البروستاتا ، أو خُرَّاج الحُوَيْصَلَة المنوية والتهاب الحبل المَنَوِّيْ أو أجزاء من الخصية مما قد يؤدي إلى العُقم . .

* * *

• السَيَلان في الإناث :

الأعراض الابتدائية بسيطة ، وقد تمر دون ملاحظة ، وقد يُوجد إفراز مهبلي بسيط مع إحساس بالحرقان ، وقد يُحدث خُرَّاج في غُدَّة بارثولين في الشفرات ، وقد يمتد المرض من عُنق الرحم إلى الرحم ، ويصيب قناتي فالوب والمبيضين ، ويؤدي هذا إلى ارتفاع في درجة الحرارة وآلام في النصف الأسفل من البطن ، وقد ينتج عن هذا العُقم في المرأة ، وقد يُؤدي السَيَلان في الرجل أو المرأة إلى إلتهاب المفاصل ويُؤدي إلى عجز مفصلي دائم ، في أحد المفاصل . .

* * *

● **القرحة الرخوة :**

مرض سري حاد موضعي يُكتسب عادة عن طريق الملامسة الجنسية ، والمسبب الأساسي للمرض ميكروب يُسمى باسيل دوكري . .

تبدأ أعراضه في الظهور على شكل منطقة حمراء صغيرة عند مكان دخول العدوى عادة على الأعضاء الجنسية ، وتكبر وتصبح حلمة تُكَوِّن قرحة لها حافة متعرجة ، وتفرز الصديد ، وهي قرحة مؤلمة وتنزف بسهولة ، وقد يظهر بعد أيام تضخم في الغدد الليمفاوية القريبة ، وتلتهب وقد تـفتـح علـى شـــكل دمامل أو بثور ثم تُشفى تلقائياً أو تستمر خاصة فيمن لا يراعون النظافة الشخصية . .

* * *

● **الجرانيولوما الأربية :**

مرض مزمن معد بدرجة بسيطة ، ويصيب عادةً الأعضاء الجنسية الخارجية وما حولها ، يبدأ المرض على الأعضاء الجنسية الخارجية ، وينتشر تدريجياً إلى المناطق الأربية ويظهر على شكل تقرح أحمر مزمن جداً ، ويلتئم بصعوبة ، وإذا أُصيب المريض بعدوى ثانوية تصبح القروح مؤلمة ، ومصحوبة بارتفاع في درجة الحرارة ، وأعراض عامة ، وإذا لم يُعالج يُؤدي إلى عجز شديد وفقد الوزن والوفاة . .

* * *

● **الجرانيولوما الليمفاوية السرية :**

مرض سري يتسبب من فيروس خاص يحمل اسم المرض ، ويُصيب الأوعية والغدد الليمفاوية في المنطقة الجنسية ، وتظهر على شكل تضخم في الغُدَد الليمفاوية وتَقَرُّح وتَضَخُّم في الأعضاء الجنسية الخارجية ، وضِيق في المستقيم .

وقد تكون أول الأعراض تضخم الغُدد الليمفاوية الأربية ، وتكون ساخنة ومؤلمة ، وقد تكون مصحوبة بارتفاع في درجة الحرارة ، وصداع ورعشة والتهاب في المفاصل ، وقد تكون خراريج وتتقرح في النهاية مع تكوين ما يشبه داء الفيل في الأعصاب الجنسية مع أورام حلمية حول مخرج الشَرَج ، وقد تؤدي

إلى ضيق في الشرج وكذلك التهاب المفاصل والملتحمة ، وقد يُؤدي المرض إلى العجز الشديد . . [1] .

* * *

هل رأيت الأمراض التي يسببها الزنا الذي وصفه الحق - تبارك وتعالى - بأنه كان فاحشة وساء سبيلا . . ؟

هل رأيت كل عضو في الجسم شارك في عملية الزنا أو في مقدماته ، وكيف يتلظى بالآلام الجسام ، ويصاب بالبثور والأورام . . ؟

أرأيت كيف يكون العقاب ؟ وكيف يكون الجزاء من جنس العمل ؟

بل هل رأيت عاقلاً يُفَضِّل التنعم بلحظة ليُعاني بها شقاء الدنيا والآخرة ؟

هذا مصير الزناة في الدنيا . . آلام رهيبة في أجسادهم قد تسلمهم إلى الموت ، وتخريب كامل في عقولهم قد يصل بهم إلى الجنون .

وأما في الآخرة فالعذاب الدائم الذي لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون .

عن أبي موسى أن النبي ﷺ قال : « ثلاثة لا يدخلون الجنة : مُدمن الخمر ، وقاطع الرحم ، ومُصَدِّق بالسحر .. ومن مات وهو مدمن الخمر سقاه الله عز وجل من نهر الغوطة » . قيل : وما نهر الغوطة ؟ قال : « نهر يجري من فروج المومسات ، يُؤذي أهل النار ريح فروجهن » [2] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يُدخل الناس الجنة ، فقال : « تقوى اللّه وحسن الخُلُق » ، وسُئل عن أكثر ما يُدخل الناس النار فقال: « الفم والفرج » [3] .

* * *

(١) راجع الموسوعة الطبية الحديثة جـ ٤ ص ٧٤٤ ، وكتاب الصحة العامة للدكتور فوزي علي جاد الله ، وكتاب الطب النفسي المعاصر للدكتور أحمد عكاشة .

(٢) رواه أحمد وابن حبان في صحيحه ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

(٣) رواه الترمذي والبيهقي وابن حبان .

الإيــدز .. طاعون عصــر الفضـــاء

ظهرت الطبعات السابقة من هذا الكتاب قبل ظهور طاعون الإيدز ، وقد حذرنا من خلال معالجتنا لهذا الموضوع أن الطوفان الجنسي الرهيب سيفترس هذه الحضارة ليذرها أطلالاً دارسة ، وقد بات واضحاً فعلاً أن خطر الطاقة الجنسية أشد فتكاً من خطر الطاقة الذرية .

وظهور هذا الطاعون - نستعيذ بالله منه - في بداية الثمانينات ما هو إلا نتيجة طبيعية للفوضى الجنسية التي غرق فيها العالم فحقت عليه لعنة قوم لـوط ، والتي حَذَّر منها الحق - تبارك وتعالى - بقوله : ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾[1] .

ويكفي أن تعلم أن السقوط في هذا المجال قد بلغ غايته ، فقد أسس أحد رجال الدين في أمريكا واسمه « ريفرندبري » كنيسة خاصة بالشواذ لها فروع في شيكاغو ، ونيويورك ، وبوسطن ، وواشنطون ، ولوس أنجلوس .

وأصبح زواج الشذوذ هذا مناسبة اجتماعية يدعى إليها أهل العروسين الشاذين مع بعض الأصدقاء ، وقد نُشرت الإحصاءات التي تحدد نصيب هؤلاء الشواذ من مرض الإيدز ، فقالت الإحصاءات إن نسبة المرضى بالإيدز من الشذوذ الجنسي (الجماع الشرجي) بين رجل ورجل يمثل نسبة ٧٥٪ من المصابين بهذا المرض .

وقد استولى الرعب العام علي الدول التي ابتليت بهذا الطاعون ، حتى السينما في أوروبا بدأت تتراجع عن إخراج أفلام الجنس والدعارة .

وهذا قاضي أمريكي يرفض أن يَمْثُل المتهم المريض بالإيدز أمامـه فـي قـاعـة

---

(١) هود : ٨٣ .

الجلسة خوفاً من العدوى ، وتم إجراء أغرب محاكمة لهذا المتهم ، فقد أجلسوه في زنزانته أمام عدسة « ڤيديو » راحت تنقل إلى القاضي أقوال المتهم وإجاباته . . حتى الحانوتي في أوروبا الآن يرفض تجهيز ميت الإيدز ، وإذا عثر على من يقبل ذلك فإنه يرتدي ملابس رواد الفضاء .

وقد عبرت الدكتورة « مارجريت هنكلر » وزيرة الصحة في أمريكا عن هذا الرعب الطاغي فقالت : « إن الخوف من المرض ربما يكون أسوأ من المرض نفســـه ، ولقد تجاوز الخوف من الإيدز في الولايات المتحدة كل حدود المنطق والعقل » .

* * *

● ماذا تعرف عن الإيدز ؟

إن جسم الإنسان له جيش دفاعي قوي يتمثل في التشكيلات الدفاعية والقوات الانتحارية ، ودوريات الحراسة .

فهناك الخلايا الليمفاوية (ت) وهناك الخلايا (ب) وهناك الخلايا الالتهامية ، وكلها تسبح في الدم في شكل دوريات عمل مستمرة لا تنقطع ليلاً ولا نهاراً ، وتتعاون هذه الخلايا معاً في تكوين فريق عمل متكامل يعمل باتساق شديد للدفاع عن الجسم وحمايته ضد الغزاة ، فإذا حدثت غارة فيروسية بقيادة فيروس الإيدز عن طريق فرج شـــاذ ، أو حقنـــة في الوريد الدموي فـــي ذراع مدمن ، أو نقل دم ملوث ، فإن فيروس الإيدز ينهي المعركة بمقتل مدير حركة الدفاع : الخلايا (ت) ، فيسرى الشلل والإحباط إلى بقية قوات الدفاع من الخلايا الالتهامية والخلايا (ب) ، ويبقى الجسم كلأ مستباحاً – بعد تدمير دفاعاته وحصونه – لكل غاز من توافه الميكروبات والجراثيم والڤيروسات لتنتهي به إلى الموت المحتوم[١] .

---

(١) انظر كتاب « الطاعون الأبيض » للدكتور محمد محمود أبو العلا .

وإزاء هذا الخطر الداهم لهذا الفيروس يجتمع الأطباء وينْفَضُّون دون التوصل إلى علاج حاسم ليؤكدوا في كل مؤتمر على أساليب الوقاية التي دعا إليها القرآن وَحَذَّرَ من التمرد عليها ، حتى لا يُدَمِّر الإنسان نفسه برفض هدايات السماء ! !

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ، إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾[1] .

وجعل من صفات المفلحين من المؤمنين حفظ الفروج إلا عن الأزواج ، فقال تعالى : ﴿ والَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَامَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ العَادُونَ ﴾[2] .

ويقول صلى الله عليه وسلم : « ماظهرت الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الدين مضوا . . »[3] .

وفي رواية : « ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت »

وهكذا : ﴿ ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ والبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[4] .

* * *

---

(١) الإسراء : ٣٢ .
(٢) المؤمنون : ٥ -٧ .
(٣) من حديث رواه ابن ماجة والحاكم .
(٤) الروم : ٤١ .

العادة السرية

لن نركز في هذا المجال على حكم الإسلام في العادة السرية فحسب ، لأنه من المسلم به أن كل شاب قد سمع أقوالا متضاربة عن حكمها . . ولكننا سنحاول ما وسعنا الجهد – أن نضع أقدام شبابنا على طريق الفرار منها ، وذلك إذا صدقوا العزم ، وأخلصوا النية لله . . . ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾[1] .

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾[2] .

• حكم الإسلام في العادة السرية :

لسنا من هواة عرض خلافات العلماء في المسائل الفقهية وبخاصة إذا كنا نخاطب الشباب . . ولكننا نجد أنفسنا مضطرين إلى ذلك ، لأنه ربما لو ذهبنا إلى رأي وسمع الشاب أو قرأ رأياً آخر فإنه قد يقع في صراع مع نفسه ، ولذلك آثرنا أن نعرض الآراء ونُرَجِّح أقواها حتى يكون الشاب على بينة من أمره . .

وأود أن يفهم شبابنا أن ديننا لا يُؤخذ بالرأي ، وإنما وقع الخلاف فيه في الفروع ، وفي فهم بعض النصوص ، وذلك تيسير من الله عز وجل على هذه الأمة ودليل حيوية هذا الدين الذي يصلح لكل زمان ومكان . .

يقول الحنفية : « إن الاستمناء حرام . . إذا كان لإثارة الشهوة دون مبرر . . أما إذا غلبت الشهوة الرجل فاستمنى بقصد تسكين الشهوة فلا إثم عليه . . بل إنهم ذهبوا إلى أن الاستمناء واجب إذا خيف الوقوع في الزنا جرياً على قاعدة ارتكاب أخف الضررين » .

---

(١) محمد : ١٧ .   (٢) الطلاق : ٤ .

ويقول الحنابلة : « إن الاستمناء حرام إلا إذا خاف الزنا ولم تكن له زوجة ، ولم يقدر على الزواج فلا جُناح عليه » .

وقال المالكية والشافعية : « إن الاستمناء حرام مطلقاً ، وحجتهم في التحريم أن الله أمر بحفظ الفروج في كل الحالات إلا فيما أحل الله » .

رأي ابن حزم : يرى ابن حزم أن الاستمناء مكروه ، لأن مس الذكر بالشمال مباح وليس فوق ذلك إلا تعمد إنزال المني ، فليس ذلك حراماً لقوله تعالى : ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ﴾[1] . وليس هذا مما فُصِّلَ لنا تحريمه وقال: إنما يُكره الاستمناء لأنه ليس من مكارم الأخلاق » .

وبعد عرض أشهر الآراء في هذا الموضوع ينبغي أن نعلم أنه من الأصول المتفق عليها شرعاً أن كل ما أضر بالجسم فهو حرام لقوله ﷺ : « لا ضرر ولا ضرار » . ولقول الله تعالى : ﴿ ولا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾[2] . .

ومن هذا المنطلق فإننا إذا دققنا البحث في مساوئ هذه العادة ، نجد أنها تسوق الممارس لها إلى ضرر محقق فعلاً فهي :

أولا – تبدد طاقة الشباب ، وتشغله عن واجباته ، وتجعله ينفق الكثير من وقته في البحث عن المثيرات ، من صور عارية ، إلى فيلم عار ، إلى مجلة جنسية ، وتكون هذه الأشياء بمثابة الوقود الذي يوضع على النار ليزيدها إشتعالاً . .

ثانياً – ممارسة العادة السرية تُلهب خيال الشباب في أثناء ممارستها وذلك بتخيله لأوضاع مثيرة مما يؤدي به إلى إرهاق في الجهاز العصبي .

(١) الأنعام : ١١٩.

(٢) البقرة : ١٩٥ .

ثالثاً – ممارسة العادة السرية لا تؤدي إلى الإشباع الجنسي الطبيعي مما يترتب عليه المبالغة في إدمانها ، ويكون مثل الشاب في ذلك كالعطشان الذي يشرب الماء المالح كلما إزداد شرباً إزداد عطشاً . .

رابعاً – الإدمان على العادة قد يجعلها ترتبط بإدمان في الجهاز العصبي ، فيتعود مدمنها على هذا الأسلوب الخاطئ في ممارساته الجنسية ، وبالتالي يؤثر هذا على مستقبله في معاشرة زوجته . . وهذا أيضاً بالنسبة للفتاة بالإضافة إلى أن ممارسة الفتاة لهذه العادة يصيبها بالتهابات في منطقة الحوض وكثرة في الإفرازات وقد يؤدي بها إلى فقدان بكارتها نهائياً . .

خامساً – انشغال الشاب بهذه الأمور الجنسية وسيطرتها على تفكيره بهذه الصورة غيرالطبيعية – سيجعله ينحرف ويفكر في لون آخر من ألوان الانحراف الجنسي يكون أكثر إشباعاً . . ومنهج الإسلام في معالجة مثل هذه القضايا هو سد الذرائع والطرق الموصلة إلى الفتنة والفساد . .

وهذا الذي سقناه إليك من مضار ممارسة هذه العادة هو الحد الأدنى لضررها النفسي والجسدي ونحن نراه كافياً للتحريم الشرعي . .

وقبل أن نسوق إليك الأدلة الشرعية التي تقوي مذهب الذين ذهبوا إلى التحريم ، فإننا نود أن نوجه أنظار شبابنا إلى أن حرمة ممارسة العادة السرية لا تصل بالطبع إلى حُرمة الزنا أو اللواط ، وذلك لأن ضررها لا يتعدى الشخص نفسه ، ولا يساهم في نشر التلوث الخلقي كالزنا أو اللواط ، بل إن ممارسها يكون متخفياً عادة ، ومن ثَمَّ أُطلق عليها اسم العادة السرية . .

ينبغي على الشاب الذي أغراه الشيطان بها ألا يُصاب بحالة من الانهيار العصبي ، أو الصراع النفسي بل ينبغي عليه أن يرجع إلى الله تائباً مستغفراً دارساً للأسباب التي أدَّتْ به إلى الإخفاق أو التورط في هذه العادة – كما سنبين ذلك فيما بعد – دون أن يترك ذلك في نفسه أي أثر سيئ . .

والآن إلى الأدلة الشرعية التي يرتاح إليها القلب وتطمئن إليها النفس ، والتي تؤكد ما ذهب إليه المُحَرِّمون لهذا الفعل غير الكريم ، وإن كان فيما عرضنا من المذاهب فُسحة لمن أوشك أن يتورط في جريمة الزنا ، والضرورة تُقَدَّرُ بقدرها . .

١- قال الله عز وجل في سورة « المؤمنــــــــون » :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾[1] .

فالذي يُفهم من الآيات بوضوح وجلاء أن حفظ الفرج واجب إلا من زوجة الإنسان أو ما ملكت يمينه فمن ابتغى الشهوة في غير ما ذُكر فهو المتعدي على الحدود التي حَدَّها الله تعالى . . والآية صريحة في الدلالة على ذلك .

٢- وقال الله تعالى في سورة « النــــــــور » :

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ، ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾[2] .

فانظر كيف أمر الله تعالى المؤمنين والمؤمنات في الآية بالغض ومن البصر و« من » هنا للتبغيض في حين أمر بحفظ الفروج كلية . . فهذا يفيد – ولا شك – حفظ الفرج من أي انحراف جنسي بما فيه العادة السرية . . وما كان ربك نسياً.

---

(١) المؤمنون : ١ – ٧ .

(٢) النور : ٣٠ ، ٣١ .

ونجد أيضاً في السورة نفسها قوله تعالى :

﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾[1] .

ففي هذه الآية الكريمة طالب الحق - تبارك وتعالى - غير القادر على الزواج أن يستعفف وأن يتسامى ، وألا يقرب أي عمل جنسي ، وذلك حتى يغنيه الله من فضله ، ويقضي مطالب الجنس في مصرفها الطبيعي ألا وهو الزواج .

٣ - ومما يؤيد هذا الفهم الذي ذهبنا إليه قوله ﷺ : « يامعشر الشباب : من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج . . ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء »[2] .

في هذا الحديث يصف الرسول ﷺ الدواء الذي لا بديل له في تصريف الطاقة الجنسية بلا مضاعفات جسدية أو نفسية ، فيَحُضُّ الشباب على الزواج إن قدروا عليه . . « ومن لم يستطع » لم يقل النبي ﷺ : فعليه بالعادة السرية فإنها تُنَفِّسُ عنه ما به ، ولكنه وجَّهَ الشباب إلى علاج حاسم يُقَوِّي الإرادة فتُسيطر على شهوات النفس .. ويصل الشاب بربه عَزَّ وجل ، ويخفف ضغط الغريزة عليه فقال : « فعليه بالصوم فإنه له وجاء » .

وتذكرون الشاب الذي أتى إلى رسول الله ﷺ ليستأذنه في الزنا[3] . . هل تذكرون ؟؟!! هل وصف الرسول ﷺ له العادة السرية لتُخَفِّفْ حمْل الغريزة عليه ؟ كلا . . ولكنه أجرى له علاجاً روحياً جعل الزنا أبغض الأشياء إليه . فوجود السبب المُلِحْ الذي من أجله يمكن أن يبيح له الرسول ممارسة العادة قائم وتأخير بيان الحكم عن وقت الحاجة لا يجوز . . من ذلك ندرك أن ممارسة العادة السرية : حرام . .

---

(١) النور : ٣٣ . (٢) متفق عليه . (٣) مر الحديث في عاطفة الحب .

وأخيراً أهمس في أذنك بقول الرسول ﷺ : « ما كرهت أن يراه الناس منك ، فلا تفعل بنفسك إذا خلوت » [1]

* * *

• الطب والعادة :

قال الاستاذ الطبيب « Laségue» : في كتابه « مقبرة الرجال ، أو مساوئ الدعارة في نظر العقل والعلم » : « من القواعد العامة أننا إذا دَقّقْنَا النظر في الشبان المستسلمين للعوائد السرّية ، وفحصناهم من جهة الدماغ ، وجدناهم محدودي الفهم ، منحطين عن متوسط درجة رفقائهم ، ولاحظنا أنهم عاجزون عن بلوغ مركز في الهيئة الاجتماعية » [2] .

وقال الدكتور « چورج سربيلد » : « إن المساكين المستعبدين للعوائد الرذيلة يفقدون القوة الجسدية والقوة الأدبية ، وما عادوا يصلحون لشئ فلا أهلية لهم في الاجتهاد ، ولذة العمل ، فهم يضجرون ويُضيعون أوقاتهم في التماس اللهو واللّذة ، ويقعون غالباً في فضائح لا اسم لها » [3] .

وقال الطبيب « أ . س . سلمون » : « ليس من الصعب على الرجل أن يخالف نفسه عن المباشرة الجنسية إلى أن يتزوج ، ولا عبرة قط بترهات بعض مثيري السوء الذي يَدّعُون - بلا حياء - أن إشباع الشهوة البهيمية ، وإرضاء النزعة الجنسية ضروري لحفظ الصحة وقوام الحياة ، فهو زعم باطل من الوجهة الطبية ، وأكابر الأطباء أثبتوا العكس » [4] .

---

(١) رواه الترمذي وابن حبان .

(٢) الزنا ومكافحته .

(٣) المرجع السابق.

(٤) نفس المرجع .

وقال « Mantegazza » : « لم أشاهد مطلقاً مرضاً قد نتج عن الإمساك عن الجماع والتمسك بالعفة ، ويستطيع الرجال والفتيان على الخصوص أن يمارسوا أو يجربوا التمسك بالعفة ، فتصبح الذاكرة عندهم سريعة ومتصلبة والفكرة حية وخصبة والإرادة ذات قوة فعالة مع حزم في الطبع ، على العكس من الذين يسترسلون في الجماع حتى الإنهاك ، فلا يتمتعون بتلك الصفات الممتازة » [1] . . وهذا الكلام له نصيب كبير من الصحة ، فالواقع المشاهد أننا نجد الشاب المدمن لهذه العادة يفضحه مظهره ، تجده وقد غارت عيناه ، واصفر جلده ، وتخدد وجهه ، وذهبت ممارسة العادة ببريق الحياة في عينيه ، ونضرة الفتوة في وجنتيه ، ووهج الشباب في جسده .. وهو في كل حالاته مكتئب مهموم ، سارح الذهن ، مشتت الفكر ، متماوت المشية ، كأنه شبح هرم قد تكلف روح الشباب . . وسرعان ما تسرى في جسده روح الحياة . إذا هو عاد إلى رُشده وتخلى عن هذه العادة السيئة التي تُبَدِّد الجهد وتُضيع الطاقة الحيوية في جسم الإنسان . .

ويُوضِّح هذه المعاني الدكتور « ألكسيس كاريل » الحائز على جائزة نوبل في العلوم والآداب فيقول :

« للغُدد الجنسية وظائف أُخرى غير دفع الإنسان لإتيان عمل من شأنه حفظ الجنس . . فهي تزيد أيضاً من قوة النشاط الفسيولوچي والعقلي والروحي . . فليس هناك خصى أصبح فيلسوفاً عظيماً ، أو عالماً خطير الشأن ، أو حتى مجرما عاتياً ، لأن للخصيتين وللمبايض وظائف على أعظم جانب من الأهمية ، إنها تولد الخلايا الذكرية والأنثوية ، وفي الوقت نفسه تفرز في الدم مواد تطبع الخصائص الذكرية أو الأنثويةوتعطي جميع وظائفنا صفاتها من المميزة على أنسجتنا وأخلاطنا [2] وشعورنا . وتعطي جميع وظائفنا صفاتها من الشـــدة ،

---

(١) الزواج ، لعمر رضا كحالة جـ ٢ ص ٢١٧ .

(٢) أخلاط الإنسان في الطب القديم هي أمزجته الأربعة : الصفراء ، والبلغم ، والدم ، والسوداء

فالخصية تولد الجرأة والقوة والوحشيـــة ، وهي الصفات التي تُميز الثور المقاتل عن الثور الذي يجر المحراث في الحقل . . ويؤثر المبيض في جسم المرأة بطريقة مماثلة ، ولكن عمله يستمر فقط إبان جزء من حياتها . . فحينما تبلغ المرأة سن اليأس تضمر الغدة بعض الشئ . . وحياة المبايض القصيرة تجعل المرأة المتقدمة في السن أكثر ضعة من الرجل الذي تظل خصيتاه نشيطتين حتى سن متقدمة جداً » [1] .

وهكذا رأينا قوة تأثير هذه الطاقة الحيوية في حياة الإنسان ، وكيف أنها تزيد في نشاطه الجسمي والعقلي والروحي .

وأذكر في هذا المجال كلمة قالها الأديب الروسي المعروف « ليو تولستوي » وهي تؤكد صدق ما قاله الدكتور « ألكسيس كاريل » ، يقول تولستوي في مذكراته :

« كلما أسرفتُ في أية لذة ، أفلت مني عقلي ، وتداعت أعصابي ، وعجزتُ عن مواصلة العمل في عناية ودأب ، وكلما استيقظت ، واعتدلت في ملذاتي ، أو تعففت عن ممارسة الجنس فترة طويلة ، دَبَّ في عروقي نشاط خارق ، وأحسست كأن سيلاً من دم جديد يَنْصَّبُ في إرادتي ، وأني بهذه الإرادة المُتّقدة في وسعي أن أصنع المعجزات » .

هذا . . وإذا عرف شبابنا مكونات المني الحيوية فإنه سيعرف مدى الخطورة الصحية المترتبة على الإفراط في ممارسة هذه العادة السيئة ، فقد أثبتت التحاليل الطبية أن المني يدخل في تكوينه أكثر من اثنى عشر عنصراً ، منها:الصوديوم ، والبيكاربونات ، والبوتاسيوم ، والكالسيوم ، والزنك ، والسـيترات ، والكـلور ، والفوسـفات ، والأزوت ، والفركتـوز ، واللاكتوز ،

---

(١) الإنسان ذلك المجهول ، ص ٧٧ ، ٧٨ .

وعناصر أخرى بالإضافة إلى ڤيتامين (ب١) ،(ب٢) ، وڤيتامين (ج)حيث يوجد في المَنِيْ نسبة عالية من هذا الأخير .

ومما ذُكر في كتبنا الأدبية عن الإسراف في هذا الأمر قولهم : « والإكثار في الجماع يهدم العمر ، واعتبر ذلك بالبغل والعصافير ، فإن العصافير أكثر سِفاداً وأقصر أعماراً ، وليس من الحيوانات أطول عمراً من البغل » .

وذُكر عند الإمام مالك بن أنس الباءة فقال : « هو نور وجهك ومخ ساقك فأقلل منه أو أكثر » .

وقال معاوية : « ما رأيت منهوماً بالجماع إلا تبينتُ ذلك في مِشيته » .

ولقد صدق إمام العلوم كلها الشيخ الرئيس ابن سينا حيث يقول :

احفظ مَنِيَّكَ ما استطعتَ فإنَّهُ ماءُ الحياةِ يُصَبُّ في الأرْحامِ

* * *

• العلاج الحاسم :

الزواج . . وهو العلاج الأوحد الذي وَجَّهَ الرسول ﷺ الشباب إليه في قوله: « يامعشر الشباب ، من استطاع منكم الباءَةَ فليتزوج . . » وليس كالزواج علاج ناجع للسكن الروحي والجسدي ، ومهما اجتهد علماء النفس وحملة الأقلام من مصلحين ومفكرين في البحث عن متنفس للطاقة الجنسية ، فلن يجدوا غير الزواج ، فهو السكن . . السكن بمعناه الواسع . . السكن الجسدي ، والسكن الروحي ، والسكن العاطفي ، وكل حل سوى هذا الحل الأمثل من انطلاق علي طريقة الحيوان ، أو اختلاط بين الجنسين ، أو غير ذلك من الطرق الملتوية ، فما هو إلا خبط عشواء في ليلة ظلماء ، والواقع الماثل أمام أعيننا يُكَذِّب هذه الأفكار الوهمية التي قد تُغلَّف بغلاف علمي وما هي من العلم في شئ . .

والمجال هنا لا يتسع لما نريد أن نقوله في هذا الموضوع ، ولكننا سنعرض رأياً للدكتور « مصطفى السباعي » - رحمة الله عليه - وهو رأي جدير بالدراسة والتأمل . . يقول الدكتور في معرض حديثه عن الزواج المبكر :

« وأريد بهذه المناسبة أن أتحدث عن تأخر الشباب والشابات - وبخاصة الطلاب والطالبات - في الزواج إلى الوقت الذي يضمنون فيه مستقبلهم بعد تخرجهم ، وهذه ظاهرة خطيرة أدت إلى مساوئ اجتماعية لا عداد لها . .

إن الزواج إذا يُسِّرت وسائله ، وقُضِيَ على التقاليد السيئة فيه يصبح أمراً عادياً جداً ، فالطالب الذي ينفق عليه أبوه يستطيع أن يضم إليه زوجة في نفس الغرفة التي يسكن فيها دون أن يرهق والده . .

ويجب أن نُفَرِّق بين الزواج ، وبين إنجاب الأولاد ، فقد أصبح من الممكن علمياً إيقاف إنجاب الأولاد إلى الوقت الذي يصبح فيه الزوجان قادرين على الإنفاق على الأولاد . .

والمهم أن تبكير شبابنا وشاباتنا في الزواج يعصم أخلاقهم من الانحراف ، ويهدئ أعصابهم ، ويقيهم أخطار الانفعالات النفسية ذات الأثر الضار في دراستهم واتجاههم السلوكي في الحياة . . . » [١] .

* * *

• العلاج المؤقت :

الصيام . . « . . . ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجاء » . . نعـــم . . فالصيام فيه تدريب على قوة الإرادة التي تجعل الشباب يتحكم في غرائزه الجامحة ، وفيه أيضاً تربية للنفس على مراقبة الله عز وجل ، وهذه المراقبة إذا تأصلت في النفس كانت هي حارس القيم في نفس الإنسان فلا يأتي من الأعمال إلا ما يُرضي الله عز وجل الذي هو أقرب إليه من حبل الوريد . .

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون ص ٦١ ، ٦٢ .

ومن ثَمَّ فإننا نجد أن النبي ﷺ يقول : « من أفطر يوماً من رمضان في غير رُخصة رَخَّصها الله له ، لم يقض عنه صيام الدهر كله ، وإن صامه » [١] .

لماذا ؟

لأن مثل هذا الإنسان سقط في امتحان الإرادة ، ومُني بالهزيمة والفشل أمام غرائزه . .

وأوه ألا يفهم الشباب توجيه الرسول ﷺ لهم بالصيام على أنه ينبغي على الشباب أن يقضي أيامه كلها صائماً إلى أن يتزوج . . كلا . . فإن ذلك يقعد بالشباب عن الكسب والإنتاج والتحصيل العلمي ، ولكن هناك سعة في هذا الأمر فكلما شعر الشاب بضغط الغريزة عليه صام ولو يوماً واحداً ، وهذا الصيام صيام تطوع وعبادة لله عز وجل ولنا في هدى رسول الله ﷺ أحسن الأسوة:

« عن عبد الله بن عمرو قال : قال لي رسول الله ﷺ : « لقد أخبرت أنك تقوم الليل وتصوم النهار » قال : قلت : يارسول الله ، نعم ، قال : « فصم ، وأفطر ، وصل ، ونم ، فإن لجسدك عليك حقاً ، وإن لزوجك عليك حقاً ، وإن لزورك – أي ضيفك – عليك حقاً ، وإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام » قال : فشُدِّدتُ فَشُدِّدَ عليَّ قال : فقلت : يارسول الله ، إني أجد قوة . قال : « فصم من كل جمعة ثلاثة أيام » قال : فشددت فشُدِّد علي قال : فقلت : يارسول الله ، إني أجد قوة . قال : « صم صوم نبي الله داود ، ولا تزد عليه » قلت : يارسول الله ، وما كان صيام داود عليه الصلاة والسلام ؟ قال : « كان يصوم يوماً ، ويفطر يوماً » [٢] .

الصلاة [٣] . .وإقامة الصلاة في أوقاتها تجعلك – دائماً – على صلة بالله، فهي صمام الأمان وناهية عن الفحشاء والمنكر . . وعلى الجملة فإن التوجه إلى

---

(١) رواه أبو داوود وابن ماجه ، والترمذي .

(٢) رواه أحمد وغيره .

(٣) راجع كتاب « الصلاة الخاشعة » للمؤلف .

الله عز وجل ، والتقرب إليه بالطاعات يبعد عنك وساوس الشيطان وهواجسه .

وهذه نصائح يُسديها إليك الدكتور « عبدالرازق الشهرستاني » ليساعدك على التخلص من هذه العادة السيئة ، وهي في جملتها تدخل تحت توجيهات ديننا الحنيف . .

١ - تشجيع الزواج المبكر . .

٢ - التثقيف الجنسي وإظهار مساوئ هذه العادة المستهجنة التي يمجها كل ذوق وإحساس . .

٣ - الابتعاد عن أفلام الجنس ، ووسائل الإغراء الأخرى كالمجلات ، والكتب المكشوفة ، والرقص الخليع ، ومباهج الزينة التي تُهَيِّج وتُثير الغرائز الجنسية وتُخرج الشباب عن الطريق المستقيم . .

٤ - ممارسة الرياضة والأعمال الفنية الجميلة . . والقيام بالمطالعة المفيدة . .

٥ - تناول الغذاء الصحي الحاوي على الخضروات والفواكه ، وترك المخللات والتوابل والمشروبات الكحولية ، والتقليل من اللحوم . .

٦ - تفريغ الفضلات والغازات والإدرار من الأمعاء والمثانة دون تأخير ، لأنها تسبب الاحتقان في منطقة الأعضاء التناسلية وتهيجها . .

٧ - اتباع الوسائل الصحية كالنظافة العامة ، والحمامات المائية والشمسية ، وترك الفراش حالاً عند النهوض من النوم والانشغال بأمور مفيدة . .

ونحن نزيد على هذه النصائح ما يلي :

- الاستغراق الكامل في العمل أو الهوايات التي تميل إليها ، فإن ذلك يستوعب طاقتك ويستثمرها وبالتالي يخفف من إلحاح الغريزة عليك . .

إذا دخلت دورة المياة لقضاء الحاجة ، فقل قبل دخولك : « بسم الله . . اللّهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث »[١] وعليك بسرعة الخروج فور انتهائك من قضاء حاجتك واستبرائك . .

لا تُسَلِّم نفسك إلى الفراش إلا إذا أحسست أنك في حاجة حقيقية إلى النوم، وقل عند نومك هذا الدعاء : « اللهّم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والأرض ، رب كل شئ ومليكه ، أشهد أن لا إله إلا أنت . أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه ، وأن نقترف سوءاً على أنفسنا أو نجره إلى مسلم » . . قله إذا أصبحت وإذا أمسيت ، وإذا أخذت مضجعك[٢] .

وإذا استيقظت من نومك فقل : « الحمد لله الذي رَدَّ عليَّ روحي ، وعافاني في جسدي ، وأذِنَ لي بذكره »[٣] ولا شك أن هذا الذكر سيبعد عنك الوسواس الخناس : ﴿ وإمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَيْطَانِ نَـزْغٌ فَاسْـتَعِذْ بِاللَّهِ ، إِنَّهُ سَـمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٤] .

– حاول قدر الإمكان ألا تنفرد بنفسك إلا إذا كان هناك عمل يستوعب انتباهك ويستولى على تركيزك . .

يقول « جون كنيدي » في كتابه « قوة الإرادة » : « وأسهل سبيل لتحطيم العادات السيئة هو ألا نحاربها . .وهذه ليست نصيحة بطولية فحسب ، ولكن أحسن طريقة لمعاملة العادات السيئة هي أن تفر منها ، فالولد الواقع فريسة للعادة السرية ، بدلاً من التركيز على إغرائها بالمقاومة الصلبة القاسية ، أفضل له كثيراً أن يرمي بنفسه في بعض النشاط الآخر الذي يستنفد نشاطه ويُشغل فكره . .

---

(١) حديث شريف .
(٢) رواه الترمذي .
(٣) حديث شريف .
(٤) الأعراف : ٢٠٠ .

وقد يكسب المعركة بالقتال ، ولكن في الإمكان أن يكون الخيـال عنده أشد وأقوى ، ومن الأفضل كثيراً ألا نعطي الخيال شيئاً يتغذى عليه . وإن أحسن علاج للإدمان هو النشاط والعمل . .

وإن أشد العادات صعوبة هي تلك التي ترتبط بإدمان في الجهاز العصبي ، كتلك العادة المشار إليها أو كالإفراط في الشرب أو التدخين ، ولا يقتصر الأمر على الخيال لإنتاجها ولكن إلحاح الجسم ومطالبته أيضاً ، لذلك فإن الجسم مثله كمثل العقل ، يجب أن نتناوله بالتنظيم ، فالاستيقاظ المبكر ، والهواء الطلق ، والرياضة البدنية ، يجب أن تأخذ مكانها وتلعب دورها في حياتنا . .

وإذا فشلنا مرة فيجب ألا نترك الأمر كله وننهار ونتشاءم ، ويجب بعد الفشل أن تدرس أسبابه الموضوعية . لماذا فشلت وانهرتُ اليوم ؟ . هل أنا اتخذت قراراً سليماً ونسيت أن أصر عليه ؟ هل أصبحت مرهقاً نتيجة لعملية إيحاء ذاتي أو لاعتقادي أن الأمر ليس حسناً ؟ هل ابتعدت بعقلي عن المحاولة وتحوّلتُ نحو شيء آخر ؟ وماذا كانت الظروف ؟ كيف أتلافاها مستقبلاً ؟

وباكتشاف أسباب الفشل نكون قد وضعنا أنفسنا في موضع أفضل من ذي قبل ونصير أكثر قدرة على معالجة حالات الضرورة في المرات التالية ، وبذلك نبتعد عن الفشل ونبحث عن طريق لنسيانه فيما عدا الدرس الذي تعلمناه منه ، وكل محاولة هي بمثابة تمرين للقوة . . لقد كنا سيئين . . ولكن سوف نعمل بطريقة أفضل في المرة القادمة . فإنْسَ وَتَقَدَّمْ بعزم نحو الأمام . .

ولا حاجة لأن نقول إننا يجب أن نقطع خط الرجعة على كل ما ينبه أو يسمح بظهور العادة التي نسعى للتغلب عليها ، وأن نتلافى مناسبات ظهورها . . وإذا كان بعض الأصدقاء والزملاء يعاونون على إغرائنا ، فيجب أن نضحي بهم ليحل محلهم آخرون . وإذا كانت بعض الكتب أو الروايات تثير خيالنا وتصورنا فيجب ألا نتصفحها . ويجب علينا أن ننمي في أنفسنا مثل هذه التصرفات

والضمانات باعتبارها الطريق السليم نحو الهدف الجديد . . وأما الجلوس بلا عمل أو سعي فهو أمر غاية في السوء »[1] .

* * *

• الشعور بالذنب :

وهنا يتحدث أساتذة علم النفس عن أن هناك شعوراً بالإثم ، وإحساساً بالذنب ينتاب الشاب الذي يمارس العادة ويرجع هذا إلى تأنيب الضمير ومخالفة الدين . ولذلك فإن كل الأعراض الجسمية راجعة إلى أساس نفسي . .

يقول الدكتور « أحمد عكاشة » في كتابه « الطب النفسي المعاصر » :« ويعاني كثير من الشباب والشابات من آلام نفسية شديدة من جراء الصراع بين الرغبة في ممارسة الاستمناء ، والإحساس بالإثم ووخز الضمير وعصيان الدين ، ونصيحة الآباء ، وتبدأ الغالبية في الشكوى من أعراض الإعياء النفسي ، والتوهم المرضي ، وصعوبة التركيز ، والصداع ، وآلام الظهر ، والسرحان نتيجة لهذا الصراع النفسي ، وليس كنتيجة من ممارسة الاستمناء كما في ذهن كثير من العامة » .

ونحن مع الدكتور في بعض ما قال ، ولكن قد تكون بعض الأعراض المرضية جسدية فعلا نتيجة للإفراط في ممارسة العادة ووقوع بعض هؤلاء فريسة لها . . وقد ثبت في أبحاث الأطباء الذين يعتد بهم في هذا المجال أن الإدمان على العادة يؤدي بالفعل إلى الإعياء النفسي ، ويُرهق الجهاز العصبي ، ويضعف الغدد التناسلية ، فضلاً .. عن أنه لا يُحقق الإشباع الجنسي الطبيعي كما سبق أن بيننا ..

وفي نفس الوقت الذي نقول فيه ذلك ، فإننا لا نقول بأن الاستمناء يسبب الجنون ، وأمراض السل ، والشلل ، وقد يُؤدي إلى الانتحار وغير ذلك من قائمة الأمراض التي كان يقول بها بعض الأطباء قديماً قبل أن

(١) قوة الارادة « بتصرف » تأليف جون كنيدي ، ترجمة صلاح مراد ص ٦٦ وما بعدها .

يتطور البحث العلمي في هذا المجال ، ولا نذهب أيضاً إلى القول المطلق بأن أضرار العادة ما هي إلا أضرار أتت نتيجة الإيحاء أو الوهم كما يقول بذلك آخرون ، فكلا القولين مجاف للحقيقة العلمية . .

إنه ينبغي على كل من يتولى توجيه الشباب أن يعمل على مساعدتهم في التغلب على غرائزهم الضارة في هذه الفترة الحرجة من حياتهم . . وبدلا من أن نتملق عرائزهم ، ونغريهم بإشباع شهواتهم بأساليب منحرفة . . بدلاً من ذلك يحسُن بنا أن نُعَلِّمُهُم كيف يُسَخِّرون طاقاتهم المذخورة في بناء حياتهم حتى يؤَمِّنوا مستقبلهم في عصر لا يعترف إلا بالكفاءة والتفوق . . نُعَلِّمُهُم أن فترة الشباب في عمر الإنسان هي الفترة الوحيدة التي من خلالها يستطيع الشاب أن يحقق أحلامه ، ولن يتم له ذلك إلا بإرادة صلبة ، وعزم متين ، وتسخير لإمكانات الجسم كلها في سبيل تحقيق هذه الأحلام . .

ونعود مرة أُخرى إلى الصراع النفسي الذي قد يتولد من ممارسة العادة ، لنرى كيف عالجه الإسلام ؟

إن الإسلام لا يفترض في الإنسان أنه مَلَكٌ كريم ، ولكنه يعامله على أنه بشر رُكِبت فيه الشهوات والغرائز ، ومن ثَمَّ فإنه لا يحكم عليه بالإعدام ولا بالطرد من رحمة الله بسبب ذنب ارتكبه أو إثم تَوَرَّط فيه . .

فهذا الإحساس بالذنب والشعور بتأنيب النفس اللوَّامة يزول تماماً عندما يتوجه الشاب بقلبه إلى ربه مقلعاً عن الذنب نادماً على ما فات مصراً على عدم العودة . . وقد جاء في الحديث الصحيح :

« إن اللّه تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها »(١) .

---

(١) رواه مسلم .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لايَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾[1] .

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً ، إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[2].

فينبغي على الشباب المسلم ألا ييأس من روح الله ، وألا يعرف الصراع النفسي إلى قلبه سبيلاً ، بل إنه قد يأثم إذا استعظم ذنبه إلى جوار رحمه الله وعفوه ..وكيف ذلك وهو الذي يناديك بهذا النداء القدسي الجليل : «أيها الشاب التارك شهوته من أجلي أنت عندي كبعض ملائكتي »[3] .

هل يبقى بعد ذلك إحساس بالذنب ، أو شعور بالإثم ، بعد أن تاب ألله عليه ومحا ذنبه ، وأنسى « الحفظة » ما عمل ، وأنسى جوارحه ما عمل ، وأنسى بقاع الأرض ما عمل ، حتى يأتي يوم القيامه وليس عليه شاهد بذنب ؟

الإجابه سيجدها الشباب العائد إلى ربه ، راحة في النفس ، وطمأنينة في القلب وحيوية في الجسم - إن شاء الله تعالى ..

* * *

---

(١) النساء : ٤٨ .　　(٢) الزمر : ٥٣ .　　(٣) رواه أحمد .

الفصل الخامس

منهج الإسلام في استثمار طاقات الشباب

- الشباب في ميزان الإسلام .
- روح القوة في الإسلام .
- الرياضة ومكانتها في الإسلام .
- الرياضة بين الإسلام والعلم
- للإسلام كلمة في كرة القدم .
- فضل العلم وشرفه .
- القراءة والبحث ومسئولية المؤسسات التعليمية .
- الفراغ ومنهج الإسلام في استثماره .
- الإسلام وتربية الإرادة .

الشباب في ميزان الإسلام

رقة الفؤاد ، وصفاء النفس ، وبراءة الضمير ، وطاقة الإيمان المتوقد بين الجوانح ، تلكم صفات الشباب المسلم ..

ولذلك فإننا نجد النبي ﷺ يلفت الأنظارِ ويُنبه الأذهان إلى ضرورة رعاية الشباب وتعهدهم ، والعناية بهم فيقول : « أوصيكم بالشباب خيراً ، فانهم أرق أفئدة ، لقد بعثني الله بالحنيفية السمحة فحالفني الشباب ، وخالفني الشيوخ »[1] .

والشباب الذي تربى في مدرسة النبوة الأولى لم يتركه الإسلام وقوداً للفراغ الفكري أو الروحي ، ولم يضعه على هامش الحياة يعاني الضياع والبلبلة وفقدان الذات ، وإنما أشعره بالانتماء ،وحقق له الإحساس بالنفس . .

لما جمعت قريش جموعها ، وجيشت جيوشها ، وخرجت في ثلاثة آلاف مقاتل متوجهين إلى المدينة ليثأروا لشرفهم الذي مُرِّغَ في الرِغام يوم بدر ، جمع النبي ﷺ أصحابه ، وعرض عليهم الموقف . . فرأى الشيوخ البقاء بالمدينة على أن تدور رحى المعركة في شوارعها ودروبها ، وبذلك يستطيع الصبيان والنساء أن يساهموا في المعركة بإلقاء الحجارة على المشركين من فوق البيوت والآكام ، وكان من أصحاب هذا الرأي عبد الله بن أُبَيّ رأس النفاق . .

وكان رأي الشباب أن يخرجوا لمناجزة القوم ، وقالوا لرسول الله ﷺ : اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرونا أنا جبنا عنهم وضعفنا ، والله لا نُطمع العرب في أن تدخل علينا منازلنا . . ونزل رسول الله ﷺ على رأي الشباب ، وانسحب عبد الله بن أُبَيّ من جيش النبي ﷺ متعللاً بنزول الرسول على رأي الشباب ، ورجع وهو يتمتم قائلاً : « أيعصيني ويطيع الوِلدان » .

---

(١) حديث شريف .

وفي هذا اليوم المشهود - يوم أُحد - وبعد أن أكَدٌ للشباب ذاته في الرأي ، أكد له أيضاً ذاته بالمشاركة الفعلية في ميدان القتال ، فسمح للبراعم المتفتحة من الشباب المؤمن أن تشارك في المعركة ، فأجاز سمرة بن جندب ورافع بن خديج وهما في الخامسة عشرة ، وكان قد ردهما لصغر سنهما . . فقال الصحابة : يارسول الله ، إن رافعاً رام - يجيد الرماية - فأجازه ، فلما أجازه قالوا له : يارسول الله ، إن سمرة يصرع رافعاً فأجازه . .

وفي يوم الخندق يجيز رسول الله ﷺ للقتال أُسامة بن زيد ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وزيد بن ثابت ، والبّراء بن عازب ، وعمرو بن حزم ، وأُسيد بن ظهير . . وكل هؤلاء لما يجاوزوا الخامسة عشرة . .

بل إننا نجد أنه ﷺ يُعَوِّد الشباب ويدربهم على تحمل المسئولية الكبرى في قيادة الجيوش . .

فقد وَجَّهَ النبي ﷺ جيشاً عظيماً إلى بلاد الشام بقيادة الشاب المسلم أُسامة ابن زيد وهو في الثامنة عشرة من عمره . . هذا الجيش يضم بين جنوده كبار الصحابة من أمثال أبي بكر وعمر وأبي عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص . . وكان عمر - حتى بعد أن ولى الخلافة - إذا رأى أُسامة رضي الله عنه قال له : السلام عليك أيها الأمير ، فيقول أُسامة : غفر الله لك يا أمير المؤمنين ، تقول لي هذا ؟ فيقول عمر : لا أزال أدعوك - ما عشت - الأمير.. مات رسول الله ﷺ وأنت عليّ أمير . .

وأمر الرسول ﷺ أُسامة أن يسير إلى موضع مقتل أبيه زيد بن حارثة حتى تطأ خيل المسلمين تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين . .

ولكن تأمير أُسامة الشاب الحديث السن على جيش جّرار فيه كبار الصحابة من مهاجرين وأنصار لم يلق هوىً في نفوس بعض الصحابة ، فخرج رسول الله ﷺ إلى الناس عاصباً رأسه من مرضه الذي لحق فيه بالرفيق الأعلى ، وخطب الناس قائلاً :

« أما بعد أيها الناس . . فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ، ولئن طعنتم في تأميري أسامة لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله ، وأيم الله إن كان لخليقاً بالإمارة ، وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة ، وإن كان لمن أحب الناس إلي وأنهما مظنة لكل خير ، فاستوصوا به خيراً فإنه من خياركم » [1] .

وخرج أسامة ، ورابط بجيشه على مقربة من المدينة استعداداً للتحرك ، ولكن الجيش أوقف تحركه للحادث الجلل والخطب العظيم ، ألا وهو وفاة رسول الله ﷺ .

وعقب تولية أبي بكر للخلافة كلمه كبار الصحابة في أن يجعل مهمة جيش أسامة هي الدفاع عن المدينة في ظل الظروف الحرجة التي أحاطت بقلعة الإسلام بعد موت النبي ﷺ ولكن أبا بكر الحليم يرسلها في عبارات قاطعة جازمة فيقول : « والله الذي لا إله إلا هو ، لو جرَّت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ﷺ ما أرد جيشاً وجهه رسول الله ﷺ ، والله لأن تخطفني الطير أحب إليّ من أن أبدأ بشيء قبل أمر رسول الله ﷺ » .

وخرج أبو بكر يُودِّع أسامة وجيشه . . أسامة راكب ، وخليفة رسول الله يمشي ، فيقول أسامة : ياخليفة رسول الله ، لتركبن أو لأنزلن ، فيرد عليه أبو بكر قائلاً : « والله لا تنزل ، ووالله لا أركب .. وما عليّ أن أُغَبِّر قدمي ساعة في سبيل الله » .

ولما انتهى من توديعه قال لأسامة - مستئذناً إياه - : « ان رأيتَ أن تعينني بعمر فافعل ، فأذن له .. ثم وقف أبو بكر يُوصي الجيش بالوصايا الغالية . .

ورجع أسامة بجيشه ظافراً غانماً رافعاً رايات التوحيد ، فلا عجب بعد ذلك إذا رأينا أبا بكر يستخلف أسامة (الشاب) على المدينة حين خرج إلى ذي قصة ليعقد أحد عشر لواء لسحق حركة المرتدين . .

---

(١) السيرة الحلبية جـ ٣ ص ٢٣٤ .

وهذا أيضاً عُتاب بن أُسيد ، وهو شاب في العشرين أو يزيد عنها بقليل ، يستعمله رسول الله ﷺ على مكة بعد الفتح ، وكان فيما قال له : « يا عُتاب ، تدري على من استعملتك ؟ استعملتك على أهل الله عز وجل ، ولو أعلم خيراً منك استعملته عليهم » . ولم يزل عُتاب بن أُسيد على مكة إلى أن مات رسول الله ﷺ ثم أقرّه أبو بكر عليها إلى أن مات عُتاب يوم مات أبو بكر - رضي الله عنهما . .

وهكذا نجد أن رسول الله ﷺ يُلقي على مسامع الأمة وأعينها درساً عملياً في أن الشباب المسلم لا بد أن نحقق له ذاته ، ونُفسح له المجال ليُعَبِّر عن نفسه من خلال أخطر الأعمال وأجلها . .

ولقد وعى خلفاء رسول الله ﷺ الدرس فكّرموا الشباب ، واحترموا فكرهم، وأشركوهم بالرأي والفعل في أعظم الأمور وأخطرها . .

يقول ابن شهاب الزهري موجهاً حديثه إلى الشباب :

« كان مجلس عمر رضي الله عنه - غاصاً بالعلماء والقرّاء كهولاً وشباباً ، وربما استشارهم . فكان يقول : « لا يمنعن أحدكم سنه أن يشير برأيه ، فإن الرأي ليس على حداثة السن ، ولا على قِدمه ، ولكنه أمر يضعه الله حيث يشاء » .

وكان يقول : « عليكم بآراء الأحداث ومشاورة الشباب فإن لهم أذهاناً تفل الفواصل ، وتحطم الزوامل » .

وكان العرب يقولون : « عليكم بمشاورة الشباب ، فإنهم ينتجون رأياً لم ينله القِدم ، ولا استولت عليه رطوبة الهرم » .

نعم - ولا عجب في ذلك . .

فرأي الفتى رأي فتي ، وعقول الفتيان هي العقول الصافية الثاقبة التي لم تنل منها مثبطات الحياة . .

والشباب بفكره البكر ، وبروح الإيمان المتوقد بين جوانحه لا تختلج في نفسه معاني الخوف والتردد . . فروحه - دائماً - هي روح الإقدام لا الإحجام ، والإقبال لا الإدبار ، ومنازلة مخاطر في الحياة دونها الموت . .

ومن ثَمَّ فإن فكر الشباب وعقيدته هي التي توقظ الأمة من سُباتها وتَحرِّك فيها الآمال إلى مستقبل أفضل . .

وما كانت ثورة « الفتى » إبراهيم على الأصنام المعبودة وتحطيمه لها إلا فكراً جديداً أيقظ النائمين ، ونبَّه السكارى والمخمورين . . أن لا معبود إلا الله . . .

وما تمرد فتية الكهف على الطواغيت الحاكمة إلا رفضاً لأفكار عفنة ، وإحياء للفطرة المتجددة التي حمل لواءها الشباب . ﴿ لنْ نَدْعُوَا منْ دُونِه إلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إذاً شَطَطاً ﴾[1]

هذا هو الشباب ، وهذه بعض مكانته في الإسلام ، وإنا لنعقد كل الأمل على شباب هذه الأمة ليعيد الوجه الإسلامي على أرضه بعد غيبة طويلة ، وليرفع شعار التوحيد قولاً وعملاً . . لا معبود إلا الله ، ولا حاكمية إلا لشرع الله [2] . .



(١) الكهف : ١٤ .

(٢) راجع مبحث « الشباب المسلم بين تيارات الفتن » .

روح القوة في الإسلام

للأسف أننا لم نجد شمس الإسلام مشرقة - حتى هذه اللحظة - على أية بقعة من بقاع المعمورة . . الإسلام كما يريده الله لا كما تريده الأهواء . .

فالمسلمون في كل مكان خلطوا بين السنة والبدعة ، والحقيقة والخرافة ، والمستورد والأصيل ، وصنعوا من كل ذلك ديناً جديداً هو « إسلام المسلمين اليوم » .

ومما وقر في أذهان المنتسبين إلى الإسلام أن الشاب المسلم ما هو إلا إنسان تبدو عليه أمارات المرض : فهو أصفر اللون ، ناحل الجسم ، شعث الهيئة ، إذا مشى خلته شبحاً يتحرك ، لا يجيد شيئاً غير الحوقلة والترجيع ، وليس له في دنيا الناس قليل أو كثير . .

وهذه - ولا ريب - صورة مشوهة من الخرافات التي أُلصقت بالإسلام تارة باسم التصوف ، وتارة باسم الزهد . .

وهذا هو المعلّم والأسوة والقدوة .. كان النموذج الحي لروح هذا الدين في حركاته وسكناته . .

يقول عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ إذا مشى تكفأ تكفياً كأنما يَنْحَطُّ من صَبَبٌ . . وقال مرة : إذا مشى تَقَلَّعَ . . ويُعَلِّق على ذلك ابن القيم فيقول : قلت : والتَقَلُّع الارتفاع من الأرض بجملته كحال المنحط من صَبَب ، وهي مشية أُولي العزم والهمَّة ، والشجاعة ، وهي أعدل المشيات وأروحها للأعضاء ، وأبعدها عن مشية الهوج ، والمهانة ، والتماوت . فإن الماشي إما أن يتماوت في مشيه ، ويمشي قطعة واحدة كأنه خشبة محمولة ، وهي مشية مذمومة قبيحة ، وإما أن يمشي بانزعاج واضطراب مشي الجمل الأهوج ، وهي مشية مذمومة أيضاً ، وهي دالة على خفة عقل صاحبها ، ولا سيما إن كان يكثر الالتفات حال مشيه يميناً وشمالاً ، وإما أن يمشي هـــونـــــاً ،

وهي مشية عباد الرحمن كما وصفهم بها في كتابه فقال : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً ﴾[1] .

قال غير واحد من السلف : بسكينة ووقار من غير تكبر ولا تماوت ، وهي مشية رسول الله ﷺ ، فإنه مع هذه المشية كان كأنما ينحط من صبب ، وكأنما الأرض تطوي له حتى كان الماشي يجهد نفسه ، ورسول الله ﷺ غير مكترث[2] .

وإذا تأملنا صفات رسول الله ﷺ الخِلْقية ، فإننا سندرك لأول وهلة أن جسد النبي ﷺ كان جسداً رياضياً بكل المقاييس في كل العصور . .

يقول القاضي عياض في كتابه « الشفاء » : « إنه ﷺ كان واسع الصدر عظيم المنكبين [3] ، ضخم العظام ، عَبْلُ العَضُدَين ، والذراعين والأسافل ، رَحْبُ الكفين والقدمين ، سائل الأطراف [4] . . رَبْعَةُ القد [5] ، ليس بالطويل البائن ، ولا القصير المتردد ، ومع ذلك لم يكن يماشيه أحد ينسب إلى الطول إلا طاله . . » .

بل نستطيع أن نقول كذلك إنه كان الرياضي الأول في زمانه وفي كل زمان .

كان رُكانه بن عبد يزيد من أقوى المصارعين في شبه الجزيرة العربية في ذلك الوقت ، ولقد خلا به رسول الله ﷺ يوماً في بعض شعاب مكة ، فقال له رسول الله : « ياركانة ، ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك إليه » ؟ قال : إني لو أعلم

---

(١) الفرقان : ٦٣ . (٢) زاد المعاد - لابن القيم .

(٣) المنكبين : بفتح الميم وكسر الكاف هو مجمع عظام العضد والكتف . . أي قوي الساعدين.

(٤) سائل الأطراف : تام الأيدي والأرجل والأصابع طويلها .

(٥) ربعة القد : معتدل القامة .

أن الذي تقول حق لاتبعتك ، فقال له رسول الله ﷺ : « أفرأيت إن صرعتك، أتعلم أن ما أقول حق » ؟ قال : نعم . قال : « فقم حتى أصارعك » فقام رُكانة إليه فصارعه ، فلما بطش به رسول الله ﷺ أضجعه ، وهو لا يملك من نفسه شيئاً ، ثم قال : عُدْ يامحمد ، فعاد فصارعه ـ وفي رواية : أنه قال : شاة بشاة ـ فصرعه النبي ﷺ قال : عاودني في أخرى ، فصرعه النبي ، فقال : عاودني ، فصرعه النبي الثالثة . فقال الرجل : ماذا أقول لأهلي ؟ شاة أكلها الذئب ، وشاة نشزت ، فما أقول في الثالثة ؟ فقال النبي ﷺ : « ما كنا لنجمع عليك أن نصرعك ونُغرِّمك ، خُذْ غنمك »[١] .

ومن الذين صارعهم النبي ﷺ غير رُكانة : أبو الأسود الجُمحي ، وكان يتمتع بقوة جسدية بالغة ، وقد بلغ من جسامته وقوته أنه كان يقف على جلد البقرة ، ويجاذب أطرافه عشرة ينزعوه من تحت قدميه ، فيتفرى الجلد ولا يتزحزح عنه . . دعا رسول الله ﷺ إلى المصارعة ، وقال : إن صرعتني آمنت بك ، فصرعه رسول الله ﷺ فلم يؤمن !

وقد انعكست هذه الروح على تلاميذ رسول الله ﷺ من الصحابة ، فهذا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه كان مضرب المثل في قوة جسمه ومتانة بُنيانـه . يقول عنه العقاد : « وتدل أخباره كما تدل صفاته على قوة جسدية بالغة في المكانة والصلابة على العوارض والآفات . . فربما رفع الفارس بيده فجلد به الأرض غير جاهد ولا حافل ، ويمسك بذراع الرجل فكأنه أمسك بنفسه فلا يستطيع أن يتنفس .

واشتُهر عنه أنه لم يُصارع أحداً إلا صرعه ، ولم يُبارز أحداً إلا قتله ، وقد يُزحزح الحجر الضخم يعيا بقلبه الأشداء ، ويصيح الصيحة فتنخلع لها قلوب الشجعان »[٢] .

---

(١) رواه أبو داود .

(٢) عبقرية الإمام علي .

ولقد رأت « الشفاء بنت عبد اللّه » بعض الفتيان يمشون متماوتين ، فقالت في دهش : ما هؤلاء ؟ فقيل لها : نسَّاك . . فقالت : لقد كان عمر إذا مشى أسرع، وإذا تكلم أسمع ، وإذا ضرب أوجع ، وكان الناسك حقاً . .

فقوة الجسم وقوة الإيمان وجهان لعملة واحدة هي الإسلام ، والخشوع في القلوب ولبس في الرؤوس كما قال عمر رضي الله عنه .

والإسلام يدعوكم ياشباب إلى الأخذ بأسباب القوة ، قوة الجسم وقوة الروح ، فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍّ خير . . .

وإننا باسم الإسلام نناشد الحكومات المسلمة أن تجعل « التربية العسكرية الإسلامية » مادة إجبارية في مدارسها وجامعاتها حتى نستثمر طاقات الشباب، ونبث فيهم روح البطولة وأخلاق الرجولة في عالم لا يصغى إلا إلى منطق القوة . .

وكلُّ شَعْبٍ ضَائِعٌ حقُّهُ سُدًى ... إذَا لَمْ يُؤَيِّد حَقَّه المِدْفَعُ الضَخْمُ

* * *

الرياضة ومكانتها في الإسلام

ممارسة الرياضة هي توجيه من توجيهات الله عز وجل لنبيه وللمسلمين على مر العصور ، نجد ذلك جلياً في قول الله عز وجل :

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُمْ مَااسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[1] . . صدق الله العظيم . .

فالاستعداد للحرب يمنع الحرب ، والله يأمر المسلمين بإعداد القوة بجميع صنوفها ولو في حالة السلم ، لتبقى الأمة الإسلامية قوية البنيان ، متينة الأركان ، مهيبة الجانب ، لا يطمع فيها طامع ، ولا يجرؤ على إنتهاك حرماتها عدو . .

ولم تذل أمة الإسلام إلا يوم أن تَخَلَّتْ عن هذه الأوامر وَتَفَرَّغَتْ للهو والعبث .

وممارسة الرياضة في المجتمع المسلم ليست قاصرة على جماعة معينة ، ويتحول بقية الشعب إلى قطعان من المتفرجين والمصفقين والمهرجين ، فالإسلام يقيم وزناً للفرد الواحد في المجتمع المسلم تماماً كما يقيم وزناً للجماعة المسلمة ، ولعلكم تذكرون قصة الثلاثة الذين تَخَلَّفُوا عن رسول الله ﷺ في غزوة العسـرة، وكيف كان العقاب ؟ وكيف كانت الدروس والعِبَر ؟ حتى تاب الله عليهم . .

وماذا يُؤَثِّر ثلاثة أو خمسة أو مائة في جيش قوامه ثلاثون ألف مقاتل ؟ ولكنه الإسلام الذي يحترم الفرد ويؤكد ذاته ويجعله قيمة مؤثرة في المجتمع . .

ومن ثُمَّ فإننا نُدرك السر في إجازة رسول الله ﷺ للشبـاب الذيـن بلغـوا الخامسة عشرة ليقتحموا ميدان الوغى ، فكان إذا رَدَّ أحدهم قِيل له : يارسول الله . . إنه رام ، وإذا رد الآخـر قـالـوا : يارسول الله . . إنه يصـرع

---

(١) الأنفال : ٦٠ .

فلاناً ، وقد اعتمد على قيادة الشاب أسامة بن زيد - كما قد علمتم - لأنه رباهم وصنعهم صناعة إسلامية غير قابلة للمنافسة . .

وبهذه الحقيقة التي وضع أصولها الإسلام ، ينادي اليوم علماء النفس، ينادون بأن الشباب في مرحلة المراهقة يحتاج إلى أن يُثبت ذاته ، والرياضة في هذه الفترة بالذات متنفس جيد لتحقيق الشخصية وإثبات الذات ، فإذا لم تُوَجه طاقات الشباب إلى مثل هذه الميادين ، فقد يجنح الشاب إلى عصابة إجرامية تقوم بأعمال تُرضي طموحه ، ويُثبت بها وجوده ، وقد يمارس عادة التدخين ظناً منه أن هذا هو من سمات النضج ، ودلائل الرجولة ، وعلامات البطولة . . هكذا يقرر علماء النفس . .

والإسلام يكره الميوعة والتحلل . . يكره الشباب الناعم . . الشباب الذي يجرح خذه خطرات النسيم ، ويكره المجتمعات التي تشبه غثاء السيل . . المجتمعات التي يصحو الشباب فيها على صراخ الجنس ، وينام على هدهدة الشهوات . .

ولو كان شباب رسول الله ﷺ كعامة شبابنا لظل الإسلام محجوراً عليه وقابعاً بين جبال المدينة ، ولكن تربية الأرواح المؤمنة كانت تسير جنباً إلى جنب مع تربية الأجساد وإعداد القوة ، فمن معركة إلى معركة ، ومن سرية إلى غزوة إلى مهمة فدائية . . وكان إذا استقر المقام برسول الله وصحابته ، فسباق بين الخيل والإبل ، ومران على تسديد النبل ، ومعسكرات ومناورات لرفع كفاءة الجند القتالية ، حتى إذا جَدَّ الجد كانوا الفرسان البواسل الذين لا تُنكس لهم راية . . وحسبي في هذا المجال أن أعرض - على سبيل المثال لا الحصر - بعض النماذج التي تعكس مدى مكانة الرياضة والفروسية في الإسلام :

- **الرمـــــــي :**

اهتم الإسلام بالرمي رياضة وإعداداً للمعارك ، ولا يخفى علينا ما للرمي من مكانة خطيرة في الحروب على مر العصور وخاصة في العصر الحديث . . فضرب المدفعية رمي ، والقذف بالطائرات رمي ، وإنطلاق الصواريخ إلى أهدافها رمي . .

ولقد نبّه النبي ﷺ إلى خطورة هذا النوع من الرياضة ، وأثره في ميادين القتال ، فعن عُقبة بن عامر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول : « وأعِدُّوا لهم ما استطعتم من قوة . . ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي » (١) .

وقال : « إن الله ليُدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه المحتسب في عمله الخير ، والرامي به ، والممد به ، فارموا واركبوا ، وأن ترموا أحب إلى من أن تركبوا » (٢) .

وعن سلمة بن الأكوع قال : مَرَّ النبي ﷺ بنفر من أسلم ينتضلون بالسوق ، فقال : « ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً ، ارموا وأنا مع بني فلان » قال : فأمسك أحد الفريقين بأسهمهم ، فقال رسول الله ﷺ : « مالكم لا ترمون » ؟ فقالوا : كيف نرمي وأنت معهم ؟ فقال : « ارموا وأنا معكم كلكـــم » (٣) .

حتى اللهو في الإسلام ، فإنه اللهو النافع ، وليس اللهو الخليع الذي يهدم ما شيدته روح الجد . . فنجد رسول الله ﷺ يُرَغِّب في الرمي كوسيلة للترفيه فيقول : « عليكم بالرمي فإنه خير لهوكم » (٤) .

* * *

● المصـــارعة :

سبق أن ذكرنا مصارعة النبي ﷺ لرُكانة وغيره ، ولكننا هنا نلفت الأنظار إلى أن المصارعة التي يُرَغِّب فيها الإسلام ويحض الشباب عليها ليست مثل

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه أحد وأبو داود وغيرهما .

(٣) رواه البخاري .

(٤) رواه البزار والطبراني .

المصارعة الأمريكية أو الإنجليزية التي تُعرض على الشاشات فهي أشبه بعراك الحيوانات في غابة ، وهي بالقطع تعكس نفسيات هذه الشعوب . .

فهذه المصارعة ليس فيها مُسحة من فن أو خُلق رياضي . . نعم فيها القوة ، ولكنها القوة على طريقة الحيوان ، وإلا فما معنى الانتصار على الخصم بالضربة القاضية ؟ وما معنى أن تسفر بعض المباريات عن قتل أحد المصارعين أو إصابته بعاهة مستديمة ؟ أية رياضة هذه ؟ !

إننا نريد مصارعة فيها فن . . فيها خُلق رياضي . . فيها استعراض مهارات وكفاءات ، وليس مصارعة أشبه ما تكون بمصارعة الثيران . . ! !

* * *

• الفروسية :

من أجمل أنواع الرياضة ، وما زالت الفروسية - حتى الآن - تحتل مكانة بارزة بين الألعاب الرياضية على مستوى العالم ، فتُعقد لها المسابقات المحلية والعالمية ، وقد بلغ العرب فيها شأواً لا يُدرك ، واعتنوا بالخيل وأنسابها وأوصافها . .

ولقد أقسم بها الحق - تبارك وتعالى - في كتابه تنويهاً بعظيم شأنها فقال :

﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً * فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً * فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً * إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾[1] .

وقد عقد رسول الله ﷺ بين الخيل مسابقات للمسافات الطويلة والقصيرة ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « سابق رسول الله ﷺ بين الخيل التي

(١) العاديات : ١ - ٦ .

قد أضمرت فأرسلها من « الحفيـاء » وكان أمدها ثنية الوداع - ستة أميال أو سبعة - وسابق بين الخيل التي لم تضمر ، فأرسلها من « ثنية الوداع » ، وكان أمدها مسجد بني زريق - ميل أو نحوه - وكـان ابـن عمـر ممن سابـق فيهـا »[1] .

وهكذا نجد في هدى رسول الله ﷺ المنهج التربوي الصحيح لتربية أجيال تستحق عن جدارة أن تكون ذُرِّيَّةً لخير أُمَة أُخرجت للناس . .

تأمل هذا المنهج الفذ :

يقول النبي ﷺ : « كل شئ ليس فيه ذكر الله فهو لغو وسهو ولعب ، إلاَّ أربع خصال : ملاعبة الرجل امرأته ، وتأديب الرجل فرسه ، ومشيه بين الغرضين ، وتعليم الرجل السباحة »[2] .

وعلى نفس المنهج الذي سَنَّهُ رسول الله ﷺ في تربية الأجيال المؤمنة سار خلفاؤه وصحابته من بعده . . يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : عَلِّمُوا أولادكم العوم والرماية ، ومُروهم فليثبوا على الخيل وثباً ، ورووهم ما يجمل من الشعر » .

* * *

• العـــدو :

والعدو من أنواع الرياضة المفيدة للجسم ، فممارسته تُقَوِّي القلب ، وتُنَشِّط الدورة الدموية ، وتُكسب الجسم كفاءة عالية في الخفة وسرعة الحركة خاصة في ميادين اللعب . .

وكان النبي ﷺ يُشَجِّع صحابته على ممارسة هذا النوع من الرياضة ، بل كان يمارسه بنفسه . .

عن سَلمة بن الأكوع قال : بينما نحن نسير ، وكان رجل من الأنصار لا يُسبق

---

(١) من حديث رواه البخاري .
(٢) أخرجه النسائي والطبراني .

أبداً ، فجعل يقول : ألا مسابق إلى المدينة ؟ هل من مسابق ؟ قلت : أما تكرم كريماً وتهاب شريفاً ؟ قال : لا ، إلا أن يكون رسول الله ﷺ . قال : قلت : يارسول الله ، بأبي أنت وأمي ، ذَرني أسابق الرجل ، فقال : « إن شئت » فسبقته إلى المدينة [١] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سابقني رسول الله ﷺ فسبقته ، حتى إذا أرهقني اللحم سابقني فسبقني . فقال : « هذه بتلك » [٢] .

وهذا الحديث القليل في مبناه ، الضخم في معناه ، يستحق منا أن نقف عنده ملياً لنرتشف من رحيقه الصافي وأدبه العالي ، ولنصحح بعض المفاهيم الخاطئة التي تُضاف إلى رصيد المسلمين اليوم . .

أولاً : هل عَلِمْتَ في أية ظروف وقعت مسابقة رسول الله ﷺ لعائشة ؟ لقد وقعت في سفر كان الصحابة فيه مع النبي ، فقال لهم : « تقدموا » ، فتقدموا وتركوه مع زوجته . .

النبي . . خير من حملت الغبراء وأظلت السماء . . النبي . . العظيم القدر، الكبير النفس ، الواسع الصدر ، يمازح زوجته ، يريد أن يجبر خاطرها ، ويرفع من روحها ، ويكسر « روتـــين » الحياة الزوجية . . يُريد أن يضع بعض التوابل التي تجعل للحياة الزوجية طعماً ، ويشحنها بالعواطف النبيلة حتى تواصل سيرها بأمان تحت سماء الحب الكبير . . فيقول لزوجته عائشة : « سابقيني » فتسابقه ، ولعلّه تظاهر بأنه لا يقدر على اللّحاق بها كنوع من المداعبة البريئة التي تُزكي أحاسيس الحب ومشاعر المودّة والرحمة . .

بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لم تشغلك الرسالة على ضخامتها ، ولا معارك الإسلام على جسامتها ، لم يشغلك ذلك عن حقوق زوجاتك عليك ، فتنزل إلى مستوى عقولهن ، وتخاطب المرأة باللّغة التي تُحسن فهمها . .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه أحمد وأبو داود .

ولولا أنك نهيت عن إطرائك لقلت : ﴿ مَاهَٰذَا بَشَـــرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَـكٌ كَرِيـــمٌ ﴾[1] صلوات ربي وسلامه عليك ياسيدي يارسول الله . .

ثانياً : هل عَلِمْتَ أن النبي ﷺ عندما سابق عائشة كان قد تجاوز الخمسين من عمره ؟ وللأسف أن الناس اليوم يعدون الرياضة ترفاً ، ويتهمون من يمارسها بأنه لا يجد شغلاً يشغله ، ولا شك أن هذا أثر من آثار الترف والكسل الذي غرق فيه المسلمون ، وراحوا في سُبات عميق حتى سبقهم غيرهم ، وانتزع منهم قيادة ركبْ البشرية . .

ولو أن الناس اليوم رأوا رجلاً في الخمسين - بل في الأربعين - من عمره يمـــارس الرياضـــة لاتهمـــوه بالجنون والخبال ، وبأنه عجوز يتصابى ، « وبعد ما شاب وَدُّوه الكُتّاب » . من أماثيل الهدم التي خلّفتها عصور الانحطاط والبُعد عن هَدى الله وسنَّة رسوله ﷺ ، ولم يدر هؤلاء الغافلون أن النبي ﷺ كان يُسابق عائشة بعدما جاوز الخمسين من عمره ، ولم يعلموا أنه جعل بعض أنواع الرياضة واللّهو عبادة يتقرب بها المسلم إلى ربه . .

* * *

• رياضة النســـــاء :

هل للمرأة أن تمارس الرياضة ؟ . . . نعم . .

فالإسلام دين الإحساس ، ودين الجمال ، والكمال ، والرشاقة ، والأناقة ، وعامة النساء عندنا لا يمارسن الرياضة إلا بين جدران أفنية المدارس أيام التلمذة . . وهذه تضم إلى آفات النساء . . ولماذا أقول آفات النساء فقط . . بل وآفات الرجال أيضاً .

فالإسلام يحض المرأة على التحبب إلى زوجها ، وأن تبدو له دائماً

---

(١) يوسف : ٣١ .

كالزهرة المتفتحة في أكمامها ، وضاءة وجه ، ورشاقة قوام ، ونظافة هندام . . وكذلك الرجل .

والمرأة أحوج ما تكون إلى الرياضة بعد الزواج ، وبخاصة في أوائل فترة الحمل حيث إن هناك تمارين رياضية معينة تمارسها المرأة الحامل حتى تساعدها على الولادة الطبيعية . . ولننتقل ما يؤيد كلامنا من أولي الذكر . .

تقول دائرة المعارف الطبية الحديثة :

« ليس هناك دليل مقنع على أن النشاط البدني يضر النساء في أثناء الطمث، أو يؤثر في الدورة الحيضية ، أو يزيد في آلامها ، بل إنه ليساعد أحياناً في تخفيف هذه الآلام . .

وليس من الضروري أن يمنع الحمل المرأة من مزاولة جميع الألعاب . . وينصح أغلب الأطباء مرضاهن الحوامل أن يهجرن الرياضة العنيفة الأخرى ، لأنها تُعَرِّض للوقوع الذي قد يُغير وضع الجنين أو يُسبب الإجهاض . .

وعلى العكس من ذلك ، فإن تقوية عضلات البطن عند ممارسة الرياضة قد تُقَصِّر وقت الوضع ، وَتُقَلِّل ألم الولادة . وينصح كثير من الأطباء بممارسة الرياضة التي تُقَوِّي جدار البطن في أثناء الحمل [١] .

فالرياضة مطلوبة من المرأة ولا حَرَجَ عليها في ممارستها ، ولكن الإسلام يُحَرِّمْ عليها تحريماً قاطعاً أن تُظهر شيئاً من عورتها أمام الأخريات ، أو تبدو أمام أي رجل أجنبي عنها وهي تُمارس الرياضة تحت أي شعار كان . .

* * *

(١) الموسوعة الطبية الحديثة جـ ١ ص ١٤٥ .

الرياضة بين الإسلام والعلم

يطيب لنا أن نعرض - في هذا المجال - فقرات من بحث قيم لابن القيم يتحدث فيه عن هدى النبي ﷺ في تدبير الحركة والسكون ، وعن الرياضة وأنواعها في الإسلام ، ثم نعرض بعد ذلك بعض نتائج البحوث العلمية في هذا المجال ليتبين لنا مدى استجابة الإسلام وشموله لكل ما تتطلبه البشرية في رحلتها على هذه الأرض . .

بعد أن بَيّنَ ابن القيم أن هَدى النبي ﷺ في الرياضة مطابق لأكمل أنواعها وأحمدها وأصوبها ، وبعد أن أكَّدَ على أهمية الرياضة في طرد الرواسب الضارة من الجسم يقول :

« والحركة أقوى الأسباب في منع تولدها - أي الرواسب الضارة - فإنها تُسَخِّن الأعضاء ، وتُسيل فضلاتها ، فلا تجتمع على طول الزمان ، وتُعَوِّد البدن الخفة والنشاط ، وتجعله قابلاً للغذاء ، وتُصَلِّبْ المفاصل ، وتُقَوِّي الأوتار والرباطات ، وتُؤَمِّنْ جميع الأمراض المادية ، وأكثر الأمراض المزاجية - إذا استعمل القدر المعتدل منها في وقته ، وكان باقي التدابير صواباً . .

ووقت الرياضة : بعد انحدار الغذاء وكمال الهضم . والرياضة المعتدلة هي التي تحمر فيها البشرة وتربو ، ويتندى فيها البدن . . وأما التي يلزمها سيلان العرق ، فمفرطة . وأي عضو كثرت رياضته قوى وخصوصاً على نوع تلك الرياضة ، بل كل قوة فهذا شأنها : فإن من استكثر من الحفظ قويت حافظته ، ومن استكثر من الفكر قويت قوته المفكرة ، ولكل عضو رياضة تخصه : فللصدر القراءة ، فليبتدئ فيها من الخفية إلى الجهر بتدريج ، ورياضة السمع : بسمع الأصوات والكلام بالتدريج ، فينتقل من الأخف إلى الأثقل . وكذلك رياضة اللسان في الكلام . وكذلك رياضة البصر ، وكذلك رياضة المشي بالتدريج شيئاً فشيئاً .

وأما ركوب الخيل ، ورمي النُشاب ، والصراع ، والمسابقة على الأقدام - فرياضة للبدن كله ، وهي قالعة لأمراض مزمنة : كالجُذام والاستسقاء والقولنج .

ورياضة النفوس : بالتعلم والتأدب ، والفرح والسرور ، والصبر والثبات والإقدام ، والسماح وفعل الخير ، ونحو ذلك مما ترتاض به النفوس ، ومن أعظم رياضتها : الصبر والحب والشجاعة والإحسان ، فلا تزال ترتاض بذلك شيئاً فشيئاً حتى تصير لها هذه الصفات هيآت راسخة ، ومَلكات ثابتة . .

وأنت إذا تأملت هَديه ﷺ في ذلك ، وجدته أكمل هدى حافظ للصحة والقوى ونافع في المعاش والمعاد . .

ولا ريب أن الصلاة نفسها فيها من حفظ صحة البدن ، وإذابة أخلاطه وفضلاته - ماهو أنفع شئ له ، سوى ما فيها من حفظ صحة الإيمان وسعادة الدنيا والآخرة . . وكذلك قيام الليل : من أنفع أسباب حفظ الصحة ، ومن أمنع الأمور لكثير من الأمراض المزمنة ، ومن أنشط شئ للبدن والروح والقلب ، كما في الصحيحين ، عن النبي ﷺ قال : « يَعْقِد الشيطان على قافية رأس أحدكم - إذا هو نام - ثلاث عُقد ، يضرب على كل عُقدة . عليك ليل طويل فارقد . فإن هو استيقظ فذكر الله انحلت عُقدة ، فإن توضأ انحلت عُقدة ثانية ، فإن صلى انحلت عُقَدُهُ كلها ، فأصبح نشيطاً طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان » [1] .

ويستطرد ابن القيم فيقول : « وفي الصوم الشرعي : من أسباب حفظ الصحة ، ورياضة البدن والنفس - ما لا يدفعه صحيح الفطرة . .

وأما الجهاد وما فيه من الحركات الكلية التي هي من أعظم أسباب القوة ،

---

(١) حديث شريف .

وحفظ الصحة ، وصلابة القلب والبدن ودفع فضلاتهما ، وزوال الهم والغم والحزن ، فأمر إنما يعرفه من له منه نصيب . وكذلك الحج وفعل المناسك ، وكذلك المسابقة على الخيل بالنصال والمشي في الحوائج وإلى الاخوان ، وقضاء حقوقهم ، وعيادة مرضاهم وتشييع جنائزهم ، والمشي إلى المسجد للجمعات والجماعات ، وحركة الوضوء والاغتسال وغير ذلك . .

وهذا أقل ما فيه : الرياضة المعينة على حفظ الصحة ودفع الفضلات ، وأما ما شُرِعَ له من التوصل به إلى خيرات الدنيا والآخرة ، ودفع شرورهما - فأمر وراء ذلك . . . .

فعلمت أن هَديه فوق كل هَدى في طب الأبدان والقلوب ، وحفظ صحتهما ، ودفع أسقامهما . . ولا مزيد على ذلك لمن قد أحضره رشده » .

ونعرض الآن من حديث الطب عن الرياضة ما يزيدنا إيماناً ويقيناً بعظمة هذا الدين القيم الذي سبق كل ما تتمخض عنه العقول - بعد طول بحث وعناء - في جميع ما يتعلق بالإنسان ، جسماً وروحاً . ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً ﴾[1] .

يقول الدكتور أمين رويحة : « لا تقل أهمية ممارسة الرياضة أو الأعمال الجسمانية المنظمة المستمرة للاحتفاظ في سن الشيخوخة بالشباب - عن أهمية الغذاء . . وقد لا تجد بين الذين بلغوا سن الخمسين وهم في صحة جسمانية وعقلية جيدة - واحداً لم يسبق له أن مارس نوعاً من أنواع الرياضة ، وبالفحص الطبي يشاهد دائماً كيف أن حالة الرياضي الصحية والبيولوجية في سن متقدم - تعادل من هو أقل منه سناً بنحو عشر سنوات من غير الرياضيين ، وفي فحص طبي عام أجرى لمجموعة كبيرة من الرياضيين سنة ١٩٥٢ يثبت أن الحالة

---

(١) الفرقان : ٢ .

الصحية للرياضي في السبعين تفوق الحالة الصحية لابن الأربعين من غير الرياضيين . .

فالجسم الذي يمارس الرياضة يحتفظ بمرونته وشباب منظره وحركاته حتى نهاية العمر . . والجسم الذي حُرم من ممارسة الرياضة لسبب ما ، يستطيع في سن الشيخوخة أن يتدارك بعض ما فاته من فوائدها بممارسة أعمال جسمانية كالاشتغال يومياً في الحديقة ، أو المشي مسافة معقولة ،أو ممارسة البعض من أنواع الرياضة المقوية للعضلات . . على ألا تصل في كل حال من الأحوال إلى درجة التعب . .

والرياضة في جميع أنواعها ليست مَضيعة للوقت ، أو وسيلة للتسلية كما يظن البعض ، بل طريق لصحة جيدة ، فهي تطرد الرواسب الضارة في الجسم ، وَتُقَوِّي عضلاته ، وتزيد من نشاطه وقدرته على الإنتاج . . والمصانع والشركات الكبرى التي تُوَفِّر لموظفيها ومستخدميها وسائل ممارسة الرياضة البدنية لا تخسر شيئاً في دفع التكاليف المادية لذلك ، لأنها تسترده من زيادة الطاقة الجسمانية لديهم ، وبالتالي من زيادة إنتاجهم في العمل . .

والمعروف أن أفراد الشعب الأسترالي أحسن الشعوب الإنجليزية صحة وأشدهم نشاطاً ، وأن الجنود منهم معروفون بشجاعتهم ، وقدرتهم على تحمل مشاق الحروب وأعبائها ، ويعود السبب في ذلك إلى أنه قلَّما يُوجد في الشعب الأسترالي فرد واحد لا يمارس نوعاً أو أكثر من أنواع الرياضة . .

وليس المطلوب في حال الشيخوخة إحراز بطولات عالمية أو ضرب أرقام قياسية ، بل إنه لا يعدو الممارسة المبكرة واستمرارها باستمرار الحياة »[1] .

* * *

(١) شباب في الشيخوخة ، للدكتور أمين رويحة ص ٧٨ ، وما بعدها .

للإسلام كلمة في كرة القدم

رما أدراك ما هي ؟

إنها الهوس المتسلط على عقول الأجيال في العصر الحديث . .

من أجلها تُقام المعارك ، وتنشب الحروب ، يموت الضحايا ، ولجلالها تُطلّق الزوجات ، وتُقَطّع أواصر القُربات ، ويطعن الأخ بالسكين أخاه . . ولا حول ولا قوة إلا بالله . . !!

ويوم أن تقوم مباراة بين فريقين لامعين ، فكأن الحرب الضروس قد أعلنت ، ورُفعت لها الرايات ، وانبرت لها الإذاعات ، وهُيئت لها الشاشات . . وأعد المشجعون لها الأحجار والسكاكين ، والطبول والمزامير ، والأناشيد الجماعية والهتافات القوية !

وما أن تنجلي المعركة الحامية عن هزيمة أحد الفريقين حتى ينتقل ميدان المعركة من ساحة الملعب ليكون ميدانها في البيوت ، والمدارس ، والدواوين ، ومكاتب الموظفين ، والمقاهي ، وفي المجتمع الصغير ، والمجتمع الكبير ، وتسفر المعركة أخيراً عن سقوط ضحايا من الجانبين . . وما أن تهدأ حدتها ، وتنجلي غمرتها حتى تبدأ معركة أخرى بمباراة ثانية . . وَهَلُمَ جرّاً . .

وإذا رفعت صوت المنطق لتناقش أحد هؤلاء المصابين بالهوس الكروي قال لك بملء شدقيه : « إنني رياضي » .

هذه قصتنا مع كرة القدم . . اللعبة المفترى عليها . .

وهذا وجه اللعبة المزيف كما يراه شبابنا . .

وأما الوجه الحقيقي لهذه اللعبة ، فإننا - إذا فهمنا روح الإسلام ومنهجه في بناء المجتمعات - نجد أن كرة القدم من الألعاب التي يُزكيها الإسلام وتُزكيها تعاليمه . . فهي مدرسة تُعَلّمُ دروساً في التجميع لا في التشتيت ، وفي الوحدة

لا في التفرق ، وفي الود لا في التباغض والعداوة . . اللعبة التي تؤكد أن الأهداف لا يمكن أن تتحقق إلا بالروح الجماعية ، وأن الفرد قليل بنفسه كثير بإخوانه . .

وإني أسأل هذا الذي يرفع راية التعصب الأعمى . . ولا يفهم من الرياضة إلا اسمها ، أسأله هذا السؤال : هل يستطيع اللاعب الأناني أن يحقق هدفاً وحده مهما كانت كفاءته ؟ . . كلا . .

لأن الكرة ستتعثر على قدمه ، وسيستولى عليها الفريق الآخر . . والفريق الذي يحقق الأهداف النظيفة هو الفريق الذي يلتزم بروح الجماعة . .

هل وعينا الدرس من مدرسة الكرة التي نتعصب لها . . ؟

هل يعلم الحكام والجماهير المسلمون أن روح التفرقة والأثرة والاستبداد بالرأي - تقود في النهاية إلى الهزيمة المنكرة على مسرح البطولة في كل الميادين ؟

للأسف نحن لم نع الدرس . .قلبنا الغاية إلى وسيلة ، والوسيلة إلى غاية ، وآمنا بالشكل وكفرنا بالمضمون ، وهمنا بالمظهر وألقينا الجوهر وراء ظهورنا . .

ما معنى أن أعبد نادياً وأتعصب له ؟

معنى ذلك أنني ضحل التفكير ، ضيق الأفق ، أناني الطبع ، مستبد برأيي، لا أفهم شيئاً عن الروح الرياضية ، ولا أجيد من أنواع الرياضة إلا التصفيق الأرعن والهتاف المحموم . .

إننا لا نحجر عليك في أن تنتمي إلى نادٍ وتشجعه . . نحن معك . . ولكن هناك فرق كبير بين التشجيع والتعصب ، ولغة الحجارة والطوب ولغة الروح الرياضية التي تُعَلِّمنا أن نبتسم عند الهزيمة ونتواضع عند النصر ، وتُعَلِّمنا أن الأيام دول .

فيوم علينا ويـــــوم لنا ويـــــوم نُسَاءُ ويـــــوم نُسَرُّ

إن رسول الله ﷺ يضع لنا المثل الأعلى في الروح الرياضية ، فليتنا نعي الدروس والعبر . . !!

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كانت العضباء (ناقة النبي) لا تُسبق ، فجاء اعرابي على قعود له فسابقها فسبقها . . وكأن ذلك شق على أصحاب النبي ﷺ .

ولكن المُربي العظيم ينتهز الفرصة ليَعلّمهم الروح الرياضية ويعطيهم درساً في أن الجلوس على القمة في الدنيا لا يدوم لأحد ، فقال عليه الصلاة والسلام : « إن حقاً على الله - عز وجل - ألا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه . . » [١] .
هل عقلتم يارياضيون . . . ؟

أسأل الله لي وللمتعصبين العفو والعافية والشفاء من كل داء . . !!

* * *

(١) حديث شريف .

فضل العلم وشرفه

لم يحفل دين من الأديان بالدعوة إلى العلم مثلما حفل الإسلام ، ولم يكن مصادفة أن تكون أول آية ينزل بها الوحي على رسول الله ﷺ تتحدث عن المعرفة وأدواتها من قراءة وقلم وعلم . .

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[1] .

ولقد أقسم الله – عز وجل – بالقلم وشرف الكلمة التي يخطها القلم إعظاماً وإجلالاً وتشريفاً للعلم فقال : ﴿ نٓ ، وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾[2] .

بل جعل مرتبة العلماء تلي مرتبة الملائكة مباشرة ، وقصر خشيته على هؤلاء العلماء الذين يطلعون على أسرار آيات الله في الكون ، فقال تعالى :

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ ﴾[3] .

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[4] .

وأعتقد أنه ليس هناك تكريم للباحث والعالم المخلص لله علمه من أن يجعل المداد الذي يكتب به العالم أفضل من دم الشهيد في ميدان القتال ، فقد جاء في الأثر : « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع ، ولمداد جرت به أقلام العلماء خير من دماء الشهداء في سبيل الله ». . وقد علَّق

---

(١) العلق : ١ – ٥ .
(٢) القلم : ١ ، ٢ .
(٣) آل عمران : ١٨ .
(٤) فاطر : ٢٨ .

بعض العلماء على هذا الحديث بقولهم : هذا مع أن أعلى ما للشهيد دمه، وأدني ما للعالم مداده .

ولا نستطيع في هدا المجال المحدود أن نحصر ما قيل في فضل العلم ومكانة العلماء ، وهناك كتب قائمة برأسها (١) تحدثت بإسهاب في هذا المجال . . فلننتقل إلى مبحث آخر من مباحث هذا الفصل . .

* * *

(١) راجع : جامع بيان العلم وفضله للقرطبي ، وإحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي .

القراءة والبحث

« قيمة كل امرئ ما يحسنه » ولن تُحسن شيئاً إلا بالقراءة ، حتى ولو كنت محترفاً ، فجميع المعارف البشرية في شتى ميادين الحياة موضوعة في بطون الكتب .

يقول « الكسندر وبيرك » : « لو تحطمت كل الآلات الحديثة ، ومعامل الذّرة وبقيت المكتبات ، لتمكن رجال العصر من إعادة بناء هذه الحضارة الآلية والذّرية . . ولكن لو تحطمت المكتبات ، فإن عصر القوى الآلية وعصر الذّرة يصبحان شيئاً من آثار الماضي » .

تعبير أصاب كبد الحقيقة . . إن الطبيب يفشل في مهمته ويصبح رسول الموت إذا لم يُثْرِ معلوماته بالبحث والاطلاع على آخر ما توصل إليه العلماء والباحثون في مجال تخصصه . . والمدرس إذا لم يتابع القراءة فإنه لن يبقى في ذهنه إلا بقية من معلومات قابعة في زاوية من زوايا عقله (لزوم المهنة) . . وهكذا كل موظف لا يحترم ذاته ولا يخلص في عمله . . ! !

فالكتاب هو النافذة التي تطل منها على الحياة ، بل الكتاب هو الحياة « والناس موتى وأهل العلم أحياء » . . وإن أعظم من تحدث عن الكتاب هو أبوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ وننقل بعضاً مما قاله في الكتاب يقول : « والكتاب هو الذي إن نظرت فيه أطال إمتاعك ، وشحذ طباعك ، وبسط لسانك ، وجوّد بيانك ، وفخّم ألفاظك ، ونجّح نفسك ، وعمّر صدرك ، ومنحك تعظيم العوام ، وصداقة الملوك ، وعرفت به في شهر ما لا تعرفه من أفواه الرجال في دهر . . . » .

ولقد كان للكتاب عند العلماء المسلمين مكانة لا نعرفها من التاريخ لغيرهم ، ولا غرو ، فالحضارة الغربية التي تنعم بها البشرية اليوم – في جانبها المادي – ماهي إلا ثمرات ناضجة لبحوث العلماء المسلمين في شتى الميادين العلمية . .

يقول العلامة « ول ديورانت » في كتابه « قصة الحضارة » : « ولما مات الواقدي ، ترك ستمائة صندوق من الكتب يحتاج كل منها إلى رجلين لحمله ، وربما مُلكَ الصاحب بن عباد من الكتب في القرن العاشر ما يُقَدَّر حينئذ بما كان في مكتبات أوروبا مجتمعة ، وبلغ الإسلام في ذلك الوقت أوج حياته الثقافية، وكنت تجد في ألف مسجد منتشر من قرطبة إلى سمرقند علماء لا يحصيهم العدد ، كانت تُدَوِّي أركانها بفصاحتهم . . » .

ولقد قرأنا عن ابن سينا أنه لم ينم مدة اشتغاله بالعلم ليلة واحدة ، ولم يشتغل في النهار - بغير المطالعة . .

وقال التاريخ : إن ابن رشد لم يدع النظر والقراءة منذ عقل إلا في ليلتين : ليلة وفاة أبيه ، وليلة بنائه بأهله (زواجه) .

ورُوِي عن الحسن اللؤلؤي أنه قال : « لقد غبرت لي أربعون عاماً ما قمت ولانمت إلا والكتاب على صدري » .

وحكى ابن خلكان عن ابن شهاب الزهري التابعي والفقيه المُحَدِّث قال : « وكان إذا جلس في بيته وضع كتبه حوله فيشتغل بها عن كل شئ من أمور الدنيا ، فقالت له امرأته يوماً : والله لهذه الكتب أشد عليّ من ثلاث ضرائر » .

وحضر الشريف التلمساني - من أعلام الفقه المالكي - وهو صبي درس الأستاذ أبي زيد ابن الإمام ، فذكر أبو زيد نعيم الجنة ، فقال له الشريف : هل يقرأ في الجنة العلم ؟ فقال أبو زيد : نعم . . فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين . فقال الشريف : لو قلت : لا ، لقلت : لا لذة فيها . فعجب منه الشيخ ودعا له . .

وقد كان محمد بن الحسن إذا سهر الليالي ، وانحلت له المشكلات يقول : « أين أبناء الملوك من هذه اللذات . . » ؟

وقيل لأبي بكر الخوارزمي عند موته : ما تشتهي . . ؟ قال : النظر في حواشي الكتب

لقد كانت القراءة لهؤلاء العباقرة هي « ليلى » التي تُوله لها عقل « قيس » حتى أن أبا القاسم الزمخشري يشدو بها فيقول :

سهري لتنقيح العلوم ألذُّ ليْ — من وصل غانية وطيبِ عناقِ
وتمايلي طرباً لحل عَويصة — أشهى وأحلى من مُداحة ساقي
وصرير أقلامي على أوراقها — أحلى من الدوكاه والعشاق
وألذُّ من نقر الفتاة لِدُفها — نقري لألقي الرمل عن أوراقي
أأبيت سهران الدُّجى وتبيته — نوماً وتبغى بعد ذاك لحاقي

إن القارئ يعيش حياته حياتين ، بل يعيش عدة أجيال في جيل ، فحياته غنية ثرية يعيشها طولاً وعرضاً وعمقاً . . يقول الأستاذ العقاد :

« لست أهوى القراءة لأكتب ، ولا أهوى القراءة لأزداد عمراً في تقدير الحساب ، وإنما أهوى القراءة لأن عندي حياة واحدة في هذه الدنيا ، وحياة واحدة لا تكفيني ، ولا تُحرِّك كل ما في ضميري من بواعث الحركة .

والقراءة دون غيرها هي التي تعطيني أكثر من حياة واحدة في مدى عمر الإنسان الواحد ، لأنها تُزيد هذه الحياة من ناحية العمق وإن كانت لا تطيلها بمقادير الحساب » [1] .

* * *

(١) لماذا نقرأ ؟ . . للأستاذ عباس محمود العقاد .

القراءة والبحث ومسئولية المؤسسات التعليمية

القراءة عادة كسائر العادات التي تتكون في الإنسان منذ الصغر ، والبيت يشترك مع المدرسة في هذه المسئولية ، ولكن مسئولية المدرسة أعظم خطراً في هذا المجال . .

وإن المؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي لتتحمل مسئولية أمية المتعلمين المنتشرة في طول الوطن الإسلامي وعرضه في جميع التخصصات . .

فنظم التعليم عندنا وضعت أذهان التلاميذ في قوالب جامدة وأساليب آلية ، وأصبحت غاية التلميذ أن يحفظ المقررات والمناهج ، حتى إذا جاء وقت الامتحان أودع معلوماته - بأمانة - على ورقة الإجابة ، وتنسى المعلومات ، ويُلقي بالكتاب المدرسي في صناديق القمامة ، ويصبح كل منتهى أمله أن يحصل على شهادة (رخصة) لأكل العيش في مجتمعات تُنزل الناس منازلهم على قدر شهاداتهم لا على قدر علمهم . . !!

أما تحبيب القراءة إلى التلاميذ ، وتكوين عادات القراء عندهم منذ نعومة أظفارهم حتى أعلى مستوياتهم - فهذا آخر شئ يفكر فيه المسئولون عن التعليم.

أما المكتبات المدرسية فما هي إلا « ديكور » للزينة أو ترف لا قيمة له .

إننا نتساءل - في عجب - ما الذي يمنعنا من أن نجعل من المكتبة وعلومها وطرق البحث - مادة مقررة كبقية المواد . . ؟

وماذا علينا لو فرضنا على كل تلميذ بحثاً في كل مادة من المواد الدراسية بدون استثناء ليصبح هذا البحث جزءاً لا يتجزأ من المنهج المقرر ؟

ولقد قمنا في مدرستنا بتجربة نعتقد أنها رائدة في هذا المجال ، فقد كلفنا كل تلميذ بعمل بحث ديني ، وجعلنا لهذا البحث درجة كبيرة من درجات الأعمال.

وكانت دهشتنا عندما رأينا في جمهرة كبيرة من هذه البحوث جهوداً ممتازة تنم عن وجود مواهب يمكن أن يكون لها شأن إذا أحسن تعهدها وتوجيهها . .

وهذا العالم الإسلامي الذي يشكل ربع سكان الدنيا . . لم يستفد - للأسف - من توجيهات القرآن في ميدان العلم والبحث حتى لقد عُيِّرَ العرب بالجهل . .

عندما استضاف التليفزيون البريطاني « موشيه ديان » عقب هزيمة سنة ١٩٦٧ ، وجَّه المذيع إليه سؤالاً يقول فيه : ألم تكن تخشى أن يتعرف العرب على طريقتك في الهجوم من خلال مذكراتك التي نشرتها بعد معركة ١٩٥٦ ، حيث « التكتيك » هو « التكتيك » ؟

فأجابه بكل بساطة : لم أخف . . لأن العرب لا يقرأون . .

والمتهم الأول في هذا هو مؤسساتنا التعليمية . .

وهنا كلمة صدق جديرة بالتسجيل للدكتور العلامة « فؤاد سزكين » . الحاصل على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية في عام ١٣٩٩ هـ .

يقول في معرض إجابته عن سؤال حول أزمات العالم الإسلامي وكيف التغلب عليها :

« إنني أرى أن أزمات العالم الإسلامي كلها في فقدان العلماء الحقيقيين المعروفين ، لأنهم هم الذين يديرون حركة الصراع في العالم . . إننا في عصر قيادة العلماء ، لا الجهلاء ولا العساكر . .

وقد يقول قائل : إن نسبة المدارس زادت ، وإن الجامعات أصبحت كثيرة . . فما إلى هذا قصدت ، وليس هذا هو التعليم الذي أقصد ، وإن ما أقصده هو العلماء الحقيقيون الباحثون ، وليس حملة الشهادات أو المتباهون بكلمة « الدكتور » أو طلاب الوظائف الإشرافية . .

إن أسلافنا ما طلبوا العلم لذلك كله ، وللأسف الشديد فإن الحضارة

الأوروبية قد أخذت عن حضارتنا هذا المنهج بينما انحططنا نحن إلى مستوى جعل العلم مجرد وسيلة لتحقيق أغراض ومنافع شخصية . .

وأكثر الجامعات لم تحقق التقدم العلمي ولا الحضاري المنشود . . وأكثر الجامعات في العالم الإسلامي لم تلحق بالتقدم العالمي ولا الحضاري وليس لها مكانة علمية ، وليست قادرة على تكوين علماء وباحثين حقيقيين . . . » .

ونحن نردد مع الدكتور « سزكين » بأن العصر هو عصر العلم والعلماء الباحثين ، وليس عصر الجهلاء والعساكر ، وأن الله لن يعذرنا بجهلنا ، ومن العار أن يعيش العرب والمسلمون عالة على ما تنتجه العقول غير المسلمة في جميع ميادين الحياة . .

ومن ثَمَّ فإننا نطالب بانقلاب وثورة في نظم التعليم عندنا حتى نستطيع التعامل مع العالم باللُّغة التي يُحسن فهمها . . ألا وهي لغة العلم . .

* * *

ماذا تقرأ وكيف تقرأ ؟

قيل لأرسطو : كيف تعرف إنساناً ؟ قال : اسأله ماذا يقرأ ؟ وكيف يقرأ ؟.

فعلاً .. فنوع القراءة وطريقتها تحدد جانباً كبيراً من شخصية الإنسان . . ولقد عرفت كثيراً من زملائي ونحن ما زلنا بعد طلبة في الصفوف الثانوية الأزهرية . . عرفتهم يقرءون كثيراً . . ولكن للأسف لم نكن نرى ثمرة لهذه القراءة لا في أساليبهم ، ولا في مناقشاتهم العلمية . . وبالطبع فإن ذلك راجع إلى أن طريقة القراءة طريقة فاشلة خاطئة . .

نعود إلى السؤال الأول : ماذا أقرأ ؟ نحن بالطبع لن نحدد لك بالضبط ماذا تقرأ ، وإلا لكنا كمن يريد أن يصب عقول الناس في قالب واحد لتكون نسخاً متشابهة من كتاب واحد كما تفعل وسائل الإعلام . .

ولكننا سنحاول أن نضع لك معالم على الطريق ، وأنت عليك أن تُكمل الطريق بنفسك . .

إذا كنت بعد لم تتكون عندك عادة القراءة ، فلا تيأس ، وابدأ من الآن فالطريق الذي طوله ألف ميل يبدأ بخطوة واحدة . .

ابدأ أولا بقراءة الكتب المبسطة . . المبسطة في كل مجالات المعرفة سواء منها الدينية أو العلمية أو الأدبية ، وأمامنا الآن قائمة بسلاسل لهذه الكتب المبسطة ، ولكننا سنترك ذلك لذوقك واختيارك ، أو لاستشارتك لمعلمك أو أمين مكتبتك ، وذلك لأنك ربما لا تعثر على هذه الكتب حيث أنت ، وربما يكون قد برز على مسرح المعرفة دراسات أقوى مما يمكن أن نسوقه إليك ، والمهم أن تبدأ.

ولا شك أنك بقراءتك لهذه الكتب المبسطة ستشعر بأنك أضفت إلى نفسك جديداً من المعرفة ، وستلاحظ أن القراءة قد انعكست على أسلوبك في كتاباتك

وفي مناقشاتك ، وفي مقالاتك في الصحافة المدرسية أو الجامعية ، بل في شتى مجالات الحياة . . وانظر حولك إلى الأعلام من العلماء والأدباء والمفكرين . . ما المؤهلات التي وضعت كُلاً منهم في مكانته ؟

الإجابة : القراءة .. ثم القراءة .. ثم القراءة . .

وأذكر أنني منذ سنوات كنت أُصحح إجابة سؤال التعبير في إحدى الشهادات العامة . وبعد ما قرأت الموضوع ، وجدت أنه يتحدث أن صاحبه قارئ جيد ، وصممت على أن يأخذ الطالب الدرجة النهائية . . وهكذا فالكتابة الجيدة تنم عن القارئ الجيد . .

وتظل مدمناً على قراءة هذه الكتب المبسطة حتى تصير القراءة عندك ملكة ، وعندئذ ستجد أنك تلقائياً تميل إلى نوع من القراءة المتخصصة ، ولكن هذا لا يعني أن تهمل الجوانب الأخرى للمعرفة . .

وينبغي عليك قبل أن تبدأ صولاتك وجولاتك مع أنواع المعارف .. ينبغي عليك أن تتعمق بعض الشئ في القراءة الدينية وتطلع على حكم الإسلام في مختلف القضايا ، وكيف عالج مشكلات العصر ، ولا أقول لك : تعمق لتكون كأبي حنيفة والشافعي . . بل تعمقاً يُكَوِّن عندك شيئاً اسمه « الذوق الإسلامي» الذي لا بد أن يتسلح به كل شاب مسلم يريد أن يلج ميادين المعرفة من أوسع أبوابها ، لأنه ليس كل ما كتب وطبع أصبحت له القداسة المطلقة ، ولأنك ستجد في هذا العالم من الغرائب والعجائب والشطحات الفكرية ، ما لا يمكن أن يعصمك من الوقوع في براثنه سوى الذوق الإسلامي الذي اكتسبته من مطالعاتك الدينية ، وهذا الذوق بمثابة التطعيم الفكري ضد عدوى الأمراض الفكرية . .

كذلك أنصحك بالابتعاد عن كتب الجنس الرخيصة ، لأنها ستشتت فكرك ، وتُضَيِّع وقتك ، وتُبَدِّد طاقتك في غير نفع . .

ونأتي إلى إجابة السؤال الثاني : كيف أقرأ . . ؟ وهنا بيت

القصيد ، ونقول لك : اعلم - وَفَّقَك الله - أن مثل القارئ الذي لا يسجل مما يقرأ كمثل الراقم على الماء ، والنافخ في رماد ، ومن يدور في حلقة مفرغة . .

وقد ضربت لك المثل آنفاً بالزملاء المدمنين على القراءة ، ولكنهم لم يجنوا من ثمارها شيئاً يذكر ، لأن المعلومات يُنسى بعضها بعضاً ، وإذا بقي شيء منها في الذهن ، فإنها بقية باهتة لا تغني صاحبها شيئاً ، ولا تُسعفه عند الطلب . .

ولقد فطن أساطين العلماء العرب إلى هذا الأسلوب ، فقال عمر رضي الله عنه : « قَيِّدوا العلم بالكتاب » وقال الخليل بن أحمد : « ماسمعت شيئاً إلا كتبته ، ولا كتبته إلا حفظته ، ولا حفظته إلا نفعني » وسأعرض عليك طريقتين لست ملزماً بهما ، وإنما - كما قلت لك - هي معالم على الطريق :

الطريقة الأولى - هي طريقة « ثمرة القراءة » : وهي أنك إذا فرغت من قراءة أي كتاب فاستحضر سجلاً خاصاً ، وأمام الأهداف الآتية دَوِّن رأيك في صدق وصراحة .

١ - موضوع الكتاب : تاريخي ، ديني ، قصصي ، طب ، اجتماع ، فنون ..

٢ - ملخصه : في إيجاز واختصار (أو نقل أفكار أو عبارات أعجبتك) .

٣ - لغته : عربية فصيحة ، دارجة (عامية) ، للخاصة ، للعامة ، لهما معاً . . .

٤ - اسلوبه : سليم ، ركيك ، قوي ، عاطفي ، علمي ، قصصي ،. حواره : شعر ، نثر ، مزيج من الشعر والنثر . . .

٥ - ألفاظه : منتقاة ، صعبة ، سلسة ، سهلة . .

٦ - الحكم عليه : جيد ، رديء . . .

٧ - فكرته : عالية ، هزيلة ، واضحة ، غامضة . .

٨ - قدرة الكاتب على التحليل . . .

٩ - طريقة عرضه : جذابة ، شائقة ، مملة . . .

١٠ - الأثر الذي تركه في نفسك . . .

١١ - أحسن فقرة فيه : دَوِّن الفقرات التي استهوتك في أثناء القراءة ، وأحسست بمتعة في تكرارها . . .

الطريقة الثانية - طريقة السجلات المتخصصة :

يقوم القارئ بإعداد سجل خاص لكل فرع من فروع المعرفة ، فعلى سبيل المثال : يُعد سجلا للمعارف الدينية ، وثانياً للمعارف الطبية ، وثالثاً للشعر ، ورابعاً للحكم ، وخامساً للتعبيرات الرائعة . . . وهكذا .

نفرض أنك قرأت كتاباً يضم هذه المعارف كلها ، ورغبت في تدوين بعض المعلومات للاحتفاظ بها . . قم بتدوين كل فرع من هذه الفروع في سجله الخاص به ، ولا تنسى أن تسجل في آخر المعلومات أو في أولها اسم الكتاب ومؤلفه والعام الذي طُبع فيه ودار النشر التي قامت بنشره ، ويمكن أن تضيف من معلومات الطريقة الأولى إلى هذه الطريقة ما تجده مناسباً لك . .

وهنا سؤال يطرح نفسه : كيف يُحدد القارئ المواضع التي يُريد تسجيلها بعد انتهائه من قراءة الكتاب . . ؟

أفضل طريقة - فيما نرى - هي الاستعانة بمحتويات الكتاب (الفهرس) فيضع القارئ علامة خفيفة (بالقلم الرصاص) أمام الموضوع الذي يريد التسجيل منه ، وإن تقاربت المواضع أو كثرت فلا مناص من وضع هذه العلامة في هامش الصفحة أمام السطر أو الفكرة ، وبذلك يسهل على القارئ الرجوع إلى ما يريد تسجيله بدون عناء . .

وهذه المعلومات التي سجلتها تعتبر كَمًّا مُهملاً إذا لم تُراجعها بين الحين والحين حتى تستوعبها أو تحفظ منها ما يستحق الحفظ ، وهنا فقط تكون قد وصلت إلى ثمرة القراءة ، ولو استطعت تسجيل هذه المعلومات على أشرطة تسجيل متخصصة أيضاً بعد تدوينها لكان ذلك أمتع وأوفر جهداً ، لأن هذه الطريقة سَتُسَهِّل عليك المراجعة عن طريق السمع فقط دون أن تجهد بصرك . .

وإلى هذا الأسلوب الذي وضحناه لك آنفاً يشير الكاتب الإنجليزي « رسكن » فيقول : « قد تقرأ كل ما في دار الكتب الإنجليزية ، وتصبح بعد - كما كنت - إنساناً غير متعلم ، ولكن إذا أنت قرأت عشر صفحات بإمعان في كتاب طيب كنت إلى درجة ما إنساناً متعلماً » .

وقال ابن المقفع : « اكتبوا أحسن ما تسمعون ، واحفظوا أحسن ما تكتبون ، وتحدثوا بأحسن ما تحفظون » .

وهذا الشاعر يصف من يجمع العلم الكثير ، ولكنه لا يعي منه شيئاً في ذاكرته بأنه بهذا الأسلوب يرجع القهقري ، فيقول :

أما لـو أعـي مـا أسمـع ... وأحـفظ من ذاك مـا أجمـع
ولـم استـفد غـير ما قد جمعت ... لقيل هو العـالـم المقـنـع
ولـكن نفسـي إلى كل فـن ... من العلم تسـمعه تنـزع
فلا أنا أحفـظ ما قد جمعـت ... ولا أنـا من جمـعه أشـبع
ومن يك في علمـه هكـذا ... يكن دهره القهـقري يرجـع
إذا لم تكن حافـظاً واعيـاً ... فجـمعك للكتـب لا ينفـع
أأحضر بالجهـل في مجلـس ... وعـلمي في الـكتب مستودع

وقال آخر

علمي معي حيثما يممتُ أحمله ... بطني وعـاء له ، لا بطن صندوق
إن كنت في البيت كان العلم فيه معي ... أو كنت في السوق كان العلم في السوق

وبعد . .

ينبغي أن يكون رحيق القراءة هو الانفعال بها والتفاعل معها سلوكاً في الحياة إن كانت داعية إلى خير ، وإن كانت الأخرى ، فكما قال الشاعر :

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ... ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

* * *

القراءة والطب

يتحدث الدكتور صبري القباني تحت عنوان : « مرن عقلك كما تمرن ساعدك » ، فيقول : ومن القواعد الطبية المعروفة ، أن العضو العامل يأخذ حقه من الغذاء بالنسبة إلى كثرة مجهوده ونلته ، فتحريك عضو من الأعضاء يستدعي هجوم الدم إليه بكثرة ، وتغذيته بوفرة ، وبالتالي يستدعي نموه ، وازدياد فعاليته وكبر حجمه . . . وكذلك الدماغ إذا أهمل ولم تُقَدَّم له التمارين الفكرية ، بالأبحاث الدماغية التي من شأنها تشغيله ، واستدعاء الدماء إليه بغزارة - فإن مراكزه الحساسة تبقى هاجعه ضعيفة واهية . . والمثابرة على الاطلاع في شتى العلوم والفنون تستدعى توسيع العروق ووفود الغذاء ، فتنمو حجيرات الدماغ ، ويتسع سطحه ، ويزداد نشاطه ، فيتصف صاحبه بالذكاء ، ولنضرب على ذلك مثلاً : الطبيب - إنه يتخرج في الجامعة ، وقد امتلأ دماغه بشتى فروع العلم ، فإذا اعتمد على معلوماته وذكائه ولم يوالِ البحث ، وتنمية عقله ، تقلصت معلوماته سنة بعد أخرى ، وعفى الزمن على علمه وفنه . . وقد تبين أخيراً من فتح أدمغة النوابغ والأذكياء ، أنها لا تختلف عن أدمغة الأغبياء حجماً ، أو شكلاً ، أو تكويناً ، إلا باتساع العروق الدموية ، وغِناها بهذه الأوعية التي تنقل إليها الغذاء فَتُذَكِّيها » [1] .

وما قاله الدكتور هو عين المعنى الذي نقله ابن القيم عن الأطباء المسلمين .

يقول ابن القيم : « وأي عضو كثرت رياضته قوى ، وخصوصاً على نوع تلك الرياضة ، بل كل قوة فهذا شأنها ، فمن استكثر من الحفظ قويت حافظته ، ومن استكثر من الفكر قويت قوته المُفَكِّرة » [2] .

* * *

(١) طبيبك معك .

(٢) زاد المعاد .

الفراغ ومنهج الإسلام في استثماره

الفراغ . . هو ذلك الغول المخيف الذي يفترس الإنسان العاطل . . وهو من أقوى أسلحة الشيطان ضد الشباب . . والمجتمعات التي لا تستثمر طاقات شبابها إنما هي مجتمعات تنتحر انتحاراً بطيئاً . .

وإننا لنعجب كل العجب من تلك الدول المسلمة المتخلفة والتي تعيش عالة على ما تنتجه العقول الشرقية والغربية في شتى مجالات الحياة - نعجب إذ تترك شبابها نهباً للفراغ والضياع . .

لماذا لا نُقيم معسكرات عمل للشباب على جميع الجبهات ، وعلى كل المستويات ، وكأنه استنفار عام ، وتعبئة شاملة . . ؟ !

لماذا لا نُقيم للشباب معسكرات للتدريب العسكري في فترات إجازاتهم لتنمي فيهم روح البطولة ، ولتكون بمثابة متنفس نظيف لطاقاتهم المذخورة في كيانهم ؟

لماذا لا تقوم الأجهزة المسئولة عن الشباب في كل بلد مسلم بإقامة المعسكرات الإسلامية ، وإقامة النوادي (النظيفة) التي تستمد لوائحها ونظمها من خُلُق الإسلام وسلوكه . . ؟

والإجابة . . لا أدري الا أن ذلك ضرب من ضروب الكسل والإهمال وسوء التخطيط الذي أصبح سِمة مميزة لعامة المجتمعات الإسلامية في هذا العصر . .

ولقد مَرَّ بنا كيف كان موقع الشباب في صدر الإسلام ، وكيف أن رسول الله ﷺ لم يترك شبابه وَقوداً هشاً لنار الفراغ المحرقة . . فلا عجب إذا رأينا رجلاً كـ « مونتجمري وات » يقول في كتابه « محمد في مكة » : « إن الإسلام كان في الأساس حركة شباب » .

نعم . . كان حركة شباب ، وبسوعداهم ارتفع البناء شامخاً يناطح الجَوْزاء .

وعلى هذا النهج السامي في تربية الشباب سار خلفاء رسول الله ﷺ ، فنجد عمر رضي الله عنه يخاف على الشباب غوائل الفراغ فيُنَبِّه وُلاته إلى ذلك قائلاً لأحدهم : « ياهذا ، إن الله قد خلق الأيدي لتعمل ، فإذا لم تجد في الطاعة عملاً التمست في المعصية أعمالا ، فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية » .

ويُوجِّه رسول الله ﷺ النظر إلى أن الوقت من النعم التي لا يشعر بها الإنسان فيقول :« نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ » [1].

ويصوِّر الحق - تبارك وتعالي - مشاهد الحسرة التي تقطع نياط قلوب الغافلين عند الموت فيقول : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ ، كَلا ، إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ، وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[2] .

﴿ رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ، وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[3]

ولأن هذه الأعمار كانت خراباً وصفراً من كل عمل نافع من الأعمال الصالحة . . فإن أصحابها يتوهمون أن عشرات السنين التي مكثوا فيها على الأرض ماهي إلا ساعة ، أو عشية وضُحاها ، أو يوم أو بعض يوم . . .

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾[4] .

---

(١) رواه البخاري .

(٢) المؤمنون : ٩٩ ، ١٠٠ .

(٣) المنافقون : ١٠ ، ١١ .

(٤) الروم : ٥٥ .

﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾[1] .

﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴾[2] .

ثروة الإنسان هو عمره ، وهو أغلى من الذهب ، لأن الذهب يذهب ويعود والعمر إذا ذهب . . فإنه لا يعود :

حياتك أنفـاس تُعَـدُّ فـكلما مضى نَفَسٌ منك انتقصت به جزءا

فتُصبح في نقـص وتُمسي بمثله ومالك معمـول تحس بـه رزءا

وليته إذا مضى لا يُخَلِّف آثاراً ولا تَبِعات ، ولكن يُسئل عنه كل إنسان في ساحات القيامة قال ﷺ : « ما تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه »[3] .

إن مرحلة الشباب - ياشباب - هي مرحلة الطاقة المتوقدة ، والحيوية المتدفقة ، والعطاء بغير حدود . . الفترة التي تستطيع فيها أن تصنع العجائب . . وآمالك وأحلامك ومستقبلك إذا لم تتحقق في هذه المرحلة فعليك العفاء . .

إذا المرء أعيته المروءة ناشئـاً فمطلبها كهـلا عليه عسـير

يقول عالم النفس وليم جيمس : « إذا قسنا أنفسنا إلى ما يجب أن نكون عليه لاتضح لنا أننا أنصاف أحياء . فإننا لا نستخدم إلا جانباً يسيرا من مواردنا الجسمانية والذهنية ، أو بمعني آخر ، إن الفرد منا يعيش في حدود ضيقة يصنعها داخل حدوده الحقيقية . . إنه يمتلك قوى كثيرة مختلفة . . ولكنه عادة لا يفطن لها ، أو يخفق في استخدامها » .

---

(١) النازعات : ٤٦ . (٢) المؤمنون : ١١٢ ، ١١٣ .

(٣) رواه البيهقي والترمذي .

أتعرف ياصديقي الشاب أن الفراغ الذي تعاني منه قد حدا بعمالقة البشر إلى أن يستثمروه في الحصول على بطولات رياضية ، أو انتصارات علمية تنعم البشرية في ظلها اليوم ، ففرضوا أنفسهم على الناس أحياء وأمواتا ، ولم يذهبوا كغثاء السيل ، ولم يرضوا لأنفسهم أن يكونوا نسخاً مكررة من ملايين النسخ التي تشاهدها في النماذج البشرية كل يوم ، وإنما رحلوا عن الدنيا وقد تركوا بصماتهم عليها . . .

والفتاة المسلمة أيضاً ينبغي علينا أن نُقيم لها النوادي المغلقة الخاصة بها لتمارس فيها نشاطها الاجتماعي والرياضي ، وعليها أن تُشغل أوقات فراغها بالتفصيل والتطريز والقراءة ، وتمريض النساء . . وأن تُعِد نفسها لتكون زوجة مثالية ، وأماً مثقفة ينعكس ظل ثقافتها على تربية أولادها بل وعلى مجتمعها المسلم أيضاً . .

تقول « دروثي كارنيجي » : « وكثيرون هم الناجحون الذين بلغوا ذروة النجاح معتمدين على ما جنوه من علم ومعرفة خلال أوقات فراغهم . .

كان « تشارلس فروست » إسكافياً ولكنه استطاع أن يصبح من المبرزين في الرياضيات بتخصيص ساعة واحدة من يومه للدراسة . .

وكان « چون هنتر » نجاراً . . ثم شرع يدرس « التشريح المقارن » في أوقات فراغه ، مخصصاً لنومه أربع ساعات وحسب من الليل ، حتى أصبح حُجة في هذا الميدان . .

واستطاع « سير چون لايوك » أن يقتطع من يومه المزدحم بالعمل - بوصفه مديراً لأحد المصارف - ساعات يقضيها في دراسة التاريخ حتى أصبح علماً بين المؤرخين .

وتعلّم « جورج ستيفنسون » الحساب في أوقات نوباته الليلية بصفته مهندساً، ووسعه مستعيناً بهذا العلم أن يخترع القاطرة . .

ودرس « چيمس واط » الكيمياء والرياضة في أثناء اشتغاله بالتجارة فأمكنه أن يخترع المحرك البخاري . .

ولله كم كان يخسر المجتمع الإنساني لو أن هؤلاء الرجال قنعوا بأعمالهم المتواضعة ، ولم يجدوا في أنفسهم دافعاً للاستزادة من العلم والمعرفة . .

ولا يلومَنَّ أحد إلا نفسه إذا لبث مغموراً مجهولاً لأنه تخلى عن متابعة العلم منذ اللحظة التي أُدرج اسمه فيها في كشف المرتبات »[1] .

صديقي الشاب : إذا لم تُشْغِل نفسك بالحق شَغَلَتْكَ بالباطل ، وقد يهجس لك الشيطان فيغريك ويعد لك في حبال الأماني الكاذبة فيقول لك : إنك ما زلت ترفل في حميا الشباب وما زال العمر ممتداً لتحقيق الآمال ، ولكنها وساوس خبيثة تجعل الشاب بعد أن يصبح في عِداد الشيوخ ينظر إلى عمره الذي ولّى وكأنه حلم نائم . .

يقول « ستيفن ليكوك » : « ماأعجب الحياة ، يقول الطفل : عندما أشب فأصبح غلاماً . ريقول الغلام : عندما أترعرع فأصبح شاباً . .ويقول الشاب : عندما أتزوج . .فإذا تزوج قال : عندما أصبح شيخاً متفرغاً . . فإذا واتته الشيخوخة ، تطلع إلى المرحلة التي قطعها من عمره ، فإذا هي تلوح كأن ريحاً اكتسحتها اكتساحاً . . إننا لا نتعلم إلا بعد فوات الأوان ، أن قيمة الحياة في أن نحياها ، وفي أن نحيا كل يوم منها وكل ساعة » .

إننا في حاجة إلى الطبيب المسلم ، والصيدلي المسلم ، والمهندس المسلم ، والمعلم المسلم ، والمحاسب المسلم ، والمحامي المسلم ، والموظف المسلم ، والمحترف المسلم . . في كل ميدان نحتاج إلى علماء مسـلمين ، حتى يقدموا

---

(١) ادفعي زوجك إلى النجاح – لدررثي كارنيجي ص ٧٣ ، ٧٤ .

العطاء الكبير لهذا الدين ، ولن يتمكنوا من العمل لهذه الغاية النبيلة من خلال هذه المجالات إلا إذا كانوا علماء فيها ، ولن يكونوا علماء فيها إلا إذا سَخَّرُوا أوقات فراغهم لبلوغ هذا الهدف العظيم . .

وأخيراً تأمل معي قول الشاعر :

اثنان لو بكت الدماء عليهما ... عيناي حتى يؤذنا بذهـــاب

لم يبلغا المعشار من حقيهـما ... فقد الشباب ، وفرقة الأحباب

* * *

الإسلام وتربية الإرادة

لو تأملنا ملياً أسرار العبادات التي فرضها الله على المسلم ، لعلمنا أنها تُربي في النفوس روح القوة . . قوة العقيدة . . قوة الإرادة . . قوة السيطرة على جوامح النفس ونوازعها ، ولذلك نجد أن صحابة رسول الله ﷺ بعد ما انتصروا على أنفسهم دانت لهم الدنيا بعد ذلك ، وأسلست لهم قيادها . .

لم يستجيبوا للإحباط ، ولم يقعوا فريسة لليأس والقنوط ، لأن العقيدة قد أكسبتهم قوة شكيمة وصعوبة مراس ، وروحاً قوية تؤثر في الأحداث ولا تتأثر بها . . . وما لهم لا يكونون كذلك ورسول الله ﷺ مثلهم الأعلى عندما ساومه كفار مكة على دعوته ، وعرضوا عليه كل ما يحلم به سيد وزعيم ، يُرسلها مُدوِّية في أسماع الدنيا : يا عم . . والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يُظهره الله ، أو أهلك فيه ما تركته »[1] .

ولو أن رسول الله ﷺ استجاب للإغراء أو للإحباط ، لصار الإسلام في عداد الحركات الفاشلة التي تفور ثم تغور . .

فإذا كان الإسلام يُنَمِّي في أتباعه هذه الروح الوثّابة ، فينبغي إذن على كل شاب مسلم أن يرسم لنفسه طريقاً في الحياة ، وأن يتخذ لنفسه مَثلاً أعلى يعمل على تحقيقه ، وليعلم علم اليقين أن الله عز وجل دفع بالإنسان إلى هذه الحياة وهو مزود بمواهب معينة . . هذه المواهب تذبل وتموت عند الإنسان الخانع الكسول المحب للراحة والدعة . .

حب السلامة يثني هم صاحبه	عن المعالي ويغري المـــــرء بالكسل
فإن جنحت إليه فاتخذ نفقــاً	في الأرض أو سلماً في الجو فاعتزل

(١) حديث شريف .

هذا الشاعر يقول : إنه لا مكان لمن يريدون السلامة في عالم المغامرة . . يقول لهؤلاء الذين يريدون الإخلاد إلى الراحة : أفسحوا الطريق لأصحاب الرجولة والبطولة . . فلا مكان في هذا الميدان ، لأنه لا يصلح للنفوس المنهزمة والعزائم الراكدة .

ويقول « ديل كارنيجي » : « إنك شئ فريد في هذا العالم . . إنك نسيج وحدك ، فلا الأرض منذ خلقت رأت شخصا يشبهك تمام الشبه ، ولا هي في العصور المقبلة سوف ترى شخصاً يُشبهك تمام الشبه » .

ويقول : « أنت نسيج وحدك في هذه الدنيا ، فاغبط نفسك على هذا واعمل على الاستزادة مما ركَّبْتهُ فيك الطبيعة من مواهب وصفات . . » .

ويقول « چون كيندي » : « إننا يجب أن نبحث بكل قدرتنا عن شئ يستحق أن نعيش من أجله ، فالهدف العظيم يصنع الرجل العظيم ، والهدف السامي ينظم وينسق جميع نشاط صاحبه ، وكلما زاد سمو الهدف زاد سمو الشخص ، والرجال الأقوياء يصنعهم وضوح رؤيتهم لأهدافهم » .

نعم . . لا بد أن تكون رؤيتك لأهدافك واضحة ، ولتكن خططك في حدود إمكاناتك وظروفك ، واحذر أن تبني قصوراً على الرمال ، فتضع نصب عينيك هدفاً يفوق ما تملك من قدرات وخبرات واستعدادات . . فهذا نوع من أحلام اليقظة التي تصيبك في نهاية الطريق بالإحباط وخيبة الأمل . .

ولكن ، ألا يتعرض الشاب لعثرات في الطريق ؟ . . نعم ، وما دمت تعمل فإنك ستجد العقبات ، ولكن علينا أن نأخذ من الفشل الدروس والعبر لنقتحم من جديد ، ولنجعل من الإخفاق حجراً نقف عليه لنرفع البناء شامخاً في جو السماء . يقول « شكسبير » : « معاودة الكفاح بعد الفشل يثبت من أي معدن صُنع الرجال » .

ولو أن كل مخترع أو مبتكر استجاب للإحباط من أول مرة – ربما

لم تَرَ هذه السيارات وهذه النفاثات وربما تأخر ظهورها عشرات السنين . .

لقد قضى « چيمس واط » في عمل آلته البخارية ثلاثين عاماً حتى انتهى من عملها وذلك مع فقره واستدانته ليحقق حلمه الكبير . .

وقضى « جورج ستيفنسون » خمسة عشر عاماً يعمل في تحسين مركبه البخاري رغم أنه بدأ أمياً وتعلّم القراءة والكتابة بعد أن وصل إلى الثامنة عشرة .

إن المبرزين من العلماء تَغَلّبوا على بيئاتهم وظروفهم . . تَحَدُّوا الواقع ، وقهروا الظروف ، وارتفعوا فوق مستوى البيئة ، وتربعوا فوق عروش المجد ، وكل منهم وراء نجاحه قصة نسجت خيوطها من الألم والعرق والجهد والكفاح المرير . .

وأغلب الصفات المميزة لهؤلاء العلماء والعباقرة الذين كان لهم أعظم الأثر في حياة البشر - هي الصبر والمثابرة وطول النفس حتى حققوا أهدافهم التي غيرت وجه الحياة على الأرض . .

ولو أننا ذهبنا نستقصي هذه النماذج لأعيانا الحصر :

فهذا الإمام أبو حنيفة كان خَزّازاً . .

وهذا أبوالعلاء المعري كان رهين المحبسين . .

وهذا أبو الطيب المتنبي كان ابن سقاء . .

وهذا أبو عثمان الجاحظ كان بائع سمك . .

وهذا العقاد - صاحب العبقريات - وصل إلى القمة بقراءته ولم يحصل على شهادات .

وهذا أديب العربية الفذ مصطفى صادق الرافعي كان أصم لا يسمع..

وشكسبير شاعر إنجلترا الشهير كان أبوه خَشّاباً . .

وڤولتير شاعر فرنسا كان ابن عامل فقير . .

وكولومبس مكتشف أمريكا كان أبوه خيّاطاً . .

وإديسون أول مخترع للآلات الكهربائية كان بائع صحف . .

فهؤلاء وغيرهم ، لم تقعد بهم الظروف أو الفقر أو العاهات عن الوصول إلى أهدافهم ، بل إنهم وصلوا إليها بكل قوة ودخلوا التاريخ من أوسع أبوابه . .

ولكن ينبغي علينا أن نعلم أنه إذا كان الإيمان بالله عز وجل يُكمِّل عدد الجيوش المقاتلة في سبيله ، فإنه أيضاً يضيف إلى طاقة النفس البشرية - التى أخلصت وجهها لله - قوة لا تنفد ، لأنها بذلك تستمد شحناتها من الله الذي يمد هذا الوجود بروح الحياة . .

وقبل أن نغادر هذا المبحث ، أدعوك إلى أن تتأمل روح هذين البيتين :

لا تنال العلا بـ «ليت» ، و« لكن » وعكوف الفتى على مرآته

آلة الفوز همة تطحن الصخر وتسمو للنجم في سبحاته

* * *

الفصل السادس

العوامل المؤثرة في الشباب هدماً وبناءً

- وسائل الإعلام .
- الازدواج والتناقض في أساليب التربية والتعليم .
- المسجد ودوره في إعداد الشباب .
- دور الأسرة في تربية الأجيال .
- التقليد ومركب النقص .
- تربية الضمير .
- تعليم الجنس .
- على من تقع المسئولية ؟
- الشباب المسلم بين تيارات الفتن .
- من فتاوى الشباب .

وسائل الإعلام

إلى عهد قريب كان كثير من الناس يعتقدون أن مسئولية التربية والتعليم تنحصر في البيت والمدرسة ، وهذا الاعتقاد كان صواباً إلى حد ما ، قبل أن يستفحل الخطر الإعلامي وتتعدد وسائله ، وتتنوع أساليبه ، أما بعد أن تربعت وسائل الإعلام على عرش القلوب والعقول، فقد انقلبت المفاهيم ، وتغيرت كل الموازين ، وأصبحت التربية والتعليم عملية مشتركة بين وسائل الاعلام ، والبيت والمدرسة ، بل أصبحت وسائل الإعلام هي المدرسة الأولى التيّ تتخرج فيها الأجيال ، وكلمتها الكلمة ، وقولها القول ..

ولو وقف مدرس الدين يخطب عاماً في التلاميذ ثم عرضت شاشات الاعلام فيلماً ساقطاً يتملق غرائز الجنس في الشباب ، لنسفت مفاهيم الفيلم من أعماق الشباب كل معنى نبيل غرسته المدرسة في نفوسهم ..

ومن هنا كان الخطر المروّع لوسائل الإعلام ، ودورها الخطير في صياغة شخصية الشباب ، بل في صياغة عقلية المجتمع بأسره ..

وإلى هذا الدور التعليمي الخطير يشير « محمد إقبال » فيقول : « يا لبلادة فرعون الذي لم يصل تفكيره إلى تأسيس الكليات ، وقد كان ذلك أسهل طريق لقتل الأولاد ،ولو فعل دلك لم يلحقه العار وسوء الأحدوثه في التاريخ » .

حقاً ما قاله الشاعر المسلم ، فإن التعليم يمكن أن يقتل الفطرة في الإنسان السوى ، وخاصة إذا كان من خلال وسائل الإعلام التي تستطيع بأساليبها الجذابـة ، ومداخلها الساحرة ، وإلحاحها على الآذان - تستطيع أن تخلق أمة تفكر بعقلية القطيع ، وبذلك يستطيع أي طاغية أن يصب عقول عامة الشـعب - من خلال الإعلام - في قالب واحد ، وبين عشية وضُحاها ، تُسَبِّح الجماهير بحمده ، ويتعبدون في محرابه ، ويسجدون له من دون الله ، وتصبح الهزائم

المنكرة على يده نصراً مُؤزراً .. فهو النبي الذي لا ينطق عن الهوى ، وكلماته تنزيل من حكيم حميد !!

ويستطرد الفيلسوف المسلم فيقول : « إن التعليم هو الحامض الذي يُذيب شخصية الكائن الحي ، ثم يُكَوِّنها كما يشاء ، وإن هذا الحامض هو أشد قوة وتأثيراً من أية مادة كيميائية .. هو الذي يستطيع أن يُحَوِّل جبلاً شامخاً إلى كومة تراب ».

وعن هذا الدور المؤثر يقول الكاتب الاجتماعي « ج.س.يولاك »في مقال له عن السلوك الشاذ للشباب في الغرب : « إنه من طبيعة الفتيـــان الذين لم يبلغوا بعد إمكانية الحكم على الأشياء حكماً صحيحاً ، أن ينقلوا صور هذا العالم الثنائي البعد ، عالم الكلمة المطبوعة ، وعالم الصور المتحركة على الشاشة البيضاء ، إلى التنفيذ العملي ، وتحت هذا الفيض الزاخر من عمل العنف وارتكاب الجنايات تنطفىء كل دوافع المسئولية واحترام الإنسان ، وبهذا ينحني سلوك الفرد ، وتصبح عوامل العنف عنده أمراً طبيعياً ، و بقدر ما يوجد من آباء واعين مسئولين ، يمكن أن تدرك هذه الحقائق كما يدركها آلاف من المربين والقساوسة وأطباء النفس » .

ولكن ، لماذا لا نبحث عن مخططات لمعالجة الموقف ؟ أما يشغل الوزارات غير رؤوس نائمة لا تدرك خطر الأقلام والكتيبات » ؟ [1] .

وعن نفس الأثر الذي تُخَلِّفه وسائل الاعلام فى نفـوس النشء يقول الدكتـــور « الكسيس كاريل » : « إن أطفال وطلبة المدارس يُكَوِّنون عقولهم من البرامج السخيفة التى تُـوضع لوسائل التسلية العامة ، ومن ثَمَّ فإن البيئة الاجتماعية تناهض نمو العقل بكل قوتها بدلاً من أن تعمل على هذا النمو » .

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون ص ٣١٢ .

نعم .. فالطفل الصغير الآن أصبح يسأل عن المسلسل ، وعن الفيلم ، وعن مباراة الكرة ، والكبير يُعدّ مرجعاً علمياً منظماً في هذه الشئون .. في أسماء لاعبي الكرة والفنانين والفنانات ، والراقصين والراقصات ..يعرف عنهم ما لا يعرف عن أقاربه ، فالفنان الفلانى متزوج ، وعدد مرات زواجه كذا ، وعدد مرات طلاقه كذا ، ويعرف - أيضاً - عدد أحذيته ومناديله وجواربه ، ورحلاته، وحركاته ، وسكناته ، وغرامياته ، وعشيقاته .. مرجع مُنَظَّم .. وَلِمَ لا وقد أكدت الإحصائيات العلمية أن ٧٥٪ من جمهور السينما فى مصـــر من الشبـــاب ؟ [١] .

يقول الأستاذ السمان مشيراً إلى حلقة « تليفزيونية » استضيف فيها بعض طلبة مدرسة معروفه للمتفوقين ..يقول :

« وكان المتوقع أن تكون الحلقة - إلى آخر دقيقة فيها - من الحلقات الجادة التى يتلقى منها سائر الطلبه دروسا فى التفوق ، ولكن مُقدم البرنامج سأل الطلبة واحداً واحداً عن مثله الأعلى فى الحياة .. وكانت الأجابات مذهلة .. فالمثل الأعلى لدى الطلبة المتفوقين هم على الترتيب - ولست أدرى أهو ترتيب تصاعدي أم تنازلي ؟! - : عبد الحليم حافظ ، بليغ حمدى ، نَزّار قبانى ، محمد عبد الوهاب ، أنيس منصور .. وقلت تعقيباً على هذه الإجابات : لم أكن أنتظر من هؤلاء الطلبة المتفوقين أن يقولوا : إن مثلنـــا الأعلى : أبو بكر ، أو عمر ، أو عليّ ، أو خالد بن الوليد ، بل كنت أتوقع أن يقول واحد منهم : إن مثلي الأعلى هو أبي »[٢] .

إن نظرة على وسائل الإعلام - المسموعة والمرئية - في مصر تجعلنا نستطيع أن نضعها تحت عنوان واحد ألا وهو « إعلام الجنس »..وإلا فإننا نريد أن نرى فيلماً واحداً ، أو مسلسلاً واحداً ، أو أغنية واحدة خاليـــة من الحديث عن الحب الجنسي .. لن نجد ، لأن عامة القائمين على وسائل الاعلام صُنعت عقولهم العبقرية خارج ديار الإسلام .. فهم يزرعون فى أرض الغرب ويحطبون فى حبال اليهود ..

---

(١) الأخبار فى ٢٠ من مارس ١٩٧٩ .

(٢) العقيدة والقوة معا ص ٢٦٧.

ونظرة ثانية على الملصقات الدائمة على جدران شوارع قاهرة المعز تجعلك تصاب بالاشمئزاز والغثيان ، دليل على الوحل الخالص الذى غرقت فيه مصر الاسلام ومصر الأزهر « الشريف »!!

إن وسائل الإعلام عندنا تقوم بعملية غسل مخ للصغار والكبار ، واستعملوا هذا « الحامض » فى تخدير المشاعر ، وتنويم الأحاسيس ، واستنزاف الطاقة ، والتهييج المستمر للغرائز ، وهذا مقصود ومخطط له ..

هذه الجماهير الغفيرة التي تنتظر فيلم يوم معين يُعرض على شاشة الإعلام ، أو تنتظر بلهفة مسلسلاً رخيصاً يوماً بعد يوم .. هذه الجماهير تراها وهي تنتظم أمام الشاشات كأنها تُؤدي شعائر صلاة الجمعة ..

هذه العقلية التي صيغت في هذا القالب الطفولي ، هل ستنطلق يوماً لتعلن في صراحة وشـــجاعة رأيها في قضية قد تجعل الأرض تميد من تحت أقدام الأُمة ..؟

كلا .. إنها ستفضل النوم على هدهدة الجنس ، والقيام على صراخه في أعماقها ...

لقد زرعت وسائل الإعلام في شبابنا روح الميوعة ، وقتلت فيهم روح البطولة والرجولة ..سممت أفكارهم ، وقدُمت لهم النماذج المنحرفة ، حتى سرت في عقولهم الغضة سريان السم فى الجسم السليم ..

ورغم ذلك فإننا لا نكف عن دعم الخلاعة والمجون – وبالأمس القريب حققت مؤسسة السينما فى مصر خسارة بلغت سبعة ملايين من الجنيهات ، وحقق المسرح خسارة قدرها مليون جنيه . . . ولله في خلقه شئون ! ! .

حتى أصبح شبابنا لا يتنفس إلا جنساً ، ولا يفكر إلا في الجنس ، ولا يخفق قلبه إلا بالجنس ..

إن رائحة الطعام الشهي النّفاذ تُثير الغُدَد اللّعابية ، فتنسال إفرازاتها طالبة الإشباع ليسكن داعي الجوع في الجسم البشري ..

وبنفس هذه الطريقة التي تُثار بها هذه الغُدَد اللّعابية تُثار الغُدَد الجنسية عندما تتحرك بمنظر عار ، أو فليم عار ، أو صورة عارية ، عند ذلك يندفع الشباب لا يلوى على شئ ليلقى بهذا الحمل الرهيب الذى نأى به كاهله .. ثم نشكو من انحراف الشباب !!

* * *

بيت المهمل يخرب قبل بيت الظالم

في تحقيق من الصين الشيوعية جاء مايلي :

« الرقابة على الأفلام مشَدَّدة في الصين ، فلن تستطيع هوليود غزوها ، واعتبرت الأفلام التي تحتوي على القبلات ممنوعة ومفسدة للأخلاق ، والرقص ممنوع لأنه نوع من الغَزل ، والغَزل ممنوع .. ولكن للأجانب مطلق الحرية في إقامة حفلات راقصة فيما بينهم بشرط ألا يحضرها أي صيني ، وفي جامعة« قودان» بشنغهاي طُرد طالب أجنبي كان يريد دعوة أحد المشرفين إلى حفلة راقصة ، واعتبر مغضوباً عليه ، لأنه حاول إفساد مواطن شريف بمغريات الرأسمالية ..

كذلك المقدمات العادية للغزل غير معروفة في الصين ، فالابتسامة الواسعة نوع من الأدب ، ودليل على شدة الحياء ، بعكس كل الشعوب ، فالوجه الذى لا يبتسم في الصين دليل على الحزن والتعاسة ، ويستوجب استدعاء رجال «الكادر» بواسطة الجيران لمعرفة أسباب العبوس ، فالأجنبي الذي لا يعرف هذا قد يجد نفسه أمام المرأة الصينية مندفعاً لمغازلتها ، ولكنها تضعه عند حده فوراً ، لأن الفتاة الصينية تقف كالحائط المنيع أمام أية محاولة للغزل .. فإذا تجاوزت الزمالة حدودها ، وتعدَّدت لقاءات أي شاب وفتاة بمفردهما ، واجها النقد وطولبا من الآخرين بالعودة إلى العقل ...

وإذا سرْتَ في الشوارع فلن تجد حبيبين يتنزهان ..فإذا تصادف أن جلسا على دكةَ خشبية عامة في الطريق ، فذلك يكون في غياب البوليس ، ولا يجرؤان على الاقتراب من بعضهما »[١] .

ألستم معى أن بيت المهمل يخرب فعلا قبل بيت الظالم ..؟؟

* * *

(١) مجلة أكتوبر .. العدد ٦٨ . في الخامس من ربيع الأول سنة ١٣٩٨هـ .

احـــذروهم ياشباب

ولا بد أن يعلم شبابنا حقيقة هؤلاء من خلال نظرة الاسلام ، لا من خلال وسائل الترويج والتضليل . .

هؤلاء ياشباب مهمتهم الإفساد فى الأرض ، وهم يعيشون فى كل المجتمعات على حساب الفضيلة ، ولا تحلو لهم الحياة الا فى مستنقعات الجنس .

وإلا... فمن أين تعظم أرصدة البنوك ؟ [1]

ومن أين يكون بناء العمارات الشاهقة ؟

ومن أين تُركب السيارات الفارهة ؟

ومن أين يكون التصييف فى أوروبا ؟

فكيف تتخذون منهم أسوة وقدوة ، وهم فى كل واد يهيمون ، ولكل طاغية يهتفون وينشدون ويغنون ؟ !

ولذلك فلا تعجبوا إذا جعلوهم أعلى مرتبة من العباقرة والمفكرين ، والعلماء العاملين ، وصُوِّروهم بالقُوَّاد والفاتحين ، وجعلوا من الهلكى منهم شهداء صالحين...

إن الاسلام لا يمنع الترفيه .. فهو دين الفطرة السمحة ، ودين يمنع الرهبانية ويمقتها ، ودين يلفظ التَشَدُّد ويكره التعسير على الناس ..

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قالوا : يارسول الله ، إنك لتداعبنا . قـــال : « إني لا أقول إلا حقاً »[2] .

ويقول حُجة الاسلام أبو حامد الغزالي في معرض الحديث عن اللهو المباح : « اللهو مُرَوِّحٌ للقلب ، ومُخَفِّفٌ عنه أعباء الفكر ، والقلوب اذا أكرهت عميت ».

---

(١) من الألفاظ التى أقر المجمع اللغوى المصرى استعمالها .

(٢) أخرجه الترمذي .

وترويحها إعانة لها على الجد ، فالمواظب على التفقه مثلاً ، ينبغي أن يتعطل يوم الجمعة ، لأن عطلة يوم تبعث على النشاط فى سائر الأيام ... فالعطلة معينة على العمل ، واللهو معين على الجِد ، ولا يصبر على الجِد المحض ، والحق المُرّ إلا نفوس الأنبياء عليهم السلام ، فاللّهو دواء القلب من داء الإعياء والملال ، فينبغى أن يكون مباحاً ، ولكن لا ينبغى أن يُستكثر منه كما لا يستكثر من الدواء ، فإذن اللهو على هذه النية يصير قُربة »[1] .

فهناك ألف موضوع وموضوع صالح لأن يكون فيلماً جاداً أو مسلسلاً هادفاً .. ولكننا - دائماً - نعشق السقوط !!

فاللّهو البرئ لا شئ فيه ، والاستجمام والمزاح مطلوبان للترويح عن النفس وتجديد نشاطها .. ولكن أن يصير الهزل قاعدة والعمل شذوذاً ، وأن يصير المغنون والممثلون في مكانة العباقرة والمفكرين . . تُرصد لهم الجوائز ، وتُقام من أجلهم الأعياد والمهرجانات ، وتُخفف عنهم الضرائب رغم أن أجر الراقصة أو الممثلة فى فيلم ساقط قد يعدل مرتب خريج جامعة مكافح أطفأ نور عينيه فى البحث والدرس - يعدل أجره طول حياته .. فأي إحباط هذا ؟ وأي تناقض يعيش الشباب فيه ؟ .

ياشباب ..

هؤلاء يمثلون لكم قصص الحب والغرام والوجد والهيام ، وهم لم يعرفوه إلا من زاوية الجنس .. يمثلون لكم قصص السعادة فى الحياة ، وهم لم يشعروا بهذا الإحساس قط ..

«منذ بضع سنين أُصيبت الممثلة « ڤيڤيان لى » بالانهيار العصبى ، ومنذ أمد غير بعيد دخل المستشفى حشد من الفنانين مثل « چاك شاريه »

---

(١) احياء علوم الدين : كتاب « آداب السماع ».

و« مارلين مونرو » و« بريجيت باردو » و« إيف ماتيو» و « سان لوران » .. مكثوا بضعة أسابيع يُعَالَجون من المرض نفسه »[١] .

وإلى الشباب المعجب والشابات المعجبات بالفنانين والفنانات أهدي إليهم نص الوصية التى تركتها ممثلة الإغراء العالمية « مارلين مونرو » بعد أن وَدَّعت الحياة بأسوأ ما تودع به الحياة ...

تقول فى وصيتها المحفوظة في « مانهاتن بنك » في نيويورك :

« احذرى المجد .. احذرى كل ما يخدعك بالأضواء .. إنى أتعس امرأة على هذه الأرض .. لم أستطع أن أكون أمًا . . إنى امرأة أُفَضِّل البيت .. الحياة العائلية الشريفة على كل شئ .. إن سعادة المرأة الحقيقية فى الحياة العائلية الشريفة الطاهرة ، بل إن هذه الحياة العائلية لهي رمز لسعادة المرأة بل الإنسانية..

لقد ظلمنى كل الناس .. وإن العمل في السينما يجعل من المرأة سلعة رخيصة تافهة مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة . . إني أنصح الفتيات بعدم العمل في السينما والتمثيل - إن نهايتهن إذا كُنَّ عاقلات كنهايتى »[٢] .

هؤلاء هم وهُنَّ الذين يعرضون أفلام الحب وقصص السعادة : هؤلاء هُنَّ :

البائسات المائسات كآلة من غير روح
الناشرات شذى ، ومن أعماقهن أذى يفوح
الضاحكات وقد طوين قلوبهن على جروح
آلامها الحرى ، مع الزفرات ، فى لهف تفوح !![٣]

* * *

(١) طبيبك معك - للدكتور صبري القباني ص ٢٥ (٢) المرأة بين الفقه والقانون ص ٣١٦
(٣) من شعر الأستاذ عمر بهاء الدين الأميرى .

الصحافة

وعن الصحافة ، فَحَدِّث ولا حرج ، فقد انضمت هي الأخرى إلى الركْب .. إلى الزفة .. زفة المهرجين والهتافين والمصفقين ، واشتركت مع الوسائل الأخرى فى بَثّ السموم ، والأفكار الهدامة في نفوس الشباب ، فأفسدت أخلاقهم وضمائرهم ، وأثرّت على أسلوب تفكيرهم تجاه كل الأمور ، بل كوّنت لهم فلسفة حياتهم ، ووضعت لهم المُثل العُليا راقصين وراقصات ، وممثلين وممثلات ، ونجومًا لامعة في سماء الفن والكرة ..

وما أن يهوى نجم من هذه النجوم اللامعة ليستقر في باطن الأرض إلا وتقوم قيامة الصحافة ، فترى النبأ العظيم لوفاته يحتل صدر الصفحات الأولى مكتوباً بالخط العريض ، وتُجند الصحف جميع صفحاتها للحديث عن « شهيد الفن » وتقوم بعرض تاريخ حياة الشهيد الحافلة بالأمجاد والبطولات والفتوحات العظيمة فى عالم الفن ، وتتساءل الصحف – في أسف وحسرة – عمن سيملأ هذا الفراغ الكبير الذي تركه الراحل الخطير .. ؟ !

وإظهاراً لمشاعر الحسرة والألم على الفقيد « الشهيد » تَغُصّ الصفحات الداخلية بلقطات للموكب المهيب الذى اشتركت فيه الملايين من محبي فنه الرفيـــع ، وبحور الدموع التي ذُرفت – في تهطال – من المحبين والعاشقين ، ولا تنسى الصحافة أن تُـــدَبِج عدداً من قصص الذين واللائي انتحرن من أجل هذا النجم الذي هَوى والغصن الذي ذوى !!

هذا الغُثاء كله في الوقت الذي يكون نصيب الدين في صحفنا يتذبذب عند درجة الصفر ، وإذا كان ، فزاوية في مكان قصي ، وحديث باهت لا يشحذ همة ولا يُرَسِّخ عقيدة ولا يُقَوّى إيماناً ..

ولقد رأينا عشرات من علمائنا الأفذاذ يوافيهم الأجل المحتوم ، فلا يشغل ذلك من صحافتنا المبجلة إلا بضعة أسطر فى صحفات الوفيات مدفوعة الثمن...

وعندما نرى هذا الوضع المعكوس المنكوس ، فإننا لا نملك إلا أن نقول لكل عظيمة : « لاحول ولا قوة إلا بالله ، وإنا لله وإنا إليه راجعون » .

ولما رأيتُ الجهلَ فى الناس فاشياً ... تجاهلت حتى ُظنَّ أنى جاهلُ
إذا وَصَفَ الطائي بالبخل مادر ... وَعيَّرَ قَسّاً بالفهاهة باقلُ [1]
وقال السُها للشمس أنت خفية ... وقال الدُجى ياصبح لونك حائلُ [2]
وطاولت الأرضُ السماءَ سفاهة ... وفاخرت الشُهُبُ الحصى والجنادلُ [3]
فياموتُ زُر إنَّ الحياةَ ذميمة ... ويا نفسُ جدِّى إنَّ دهرك هازلُ

وأترك المجال لأستاذنا الشيخ محمد الغزالى ليتحدث عن الدور الخطير الذى تمارسه الصحافة فى أخلاق الشباب .. يقول :

« إن المجتمع البرئ تشب فتياته زهرات ناصعة لا يعرفن الإثم إلا كما تعرف البساتين النضرة غيوم المداخن الكدرة .. ولبُعْد أذهانهن عنه ونزاهة ساحتهن منه صَحَّ أن يُوصفن بالغفلة فى مثل قول الله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾[4] .

إنها غفلة القلب الملائكي عن لوثات الطباع السافلة ، فانظر أية بيئة تتعاون الأقلام الساقطة على خلقها حين تتسابق فى شرح وفضح أسرارها ، وفتح عيون الصغار والكبار عليها ..

---

(١) الطائى: حاتم بن عبد الله من سادة طئ ، شاعر اشتهر بالكرم حتى ضرب به المثل ، توفى قبل الاسلام بنحو عشرسنوات .. ومادر : هو مخارق بن هلال ، ضُرب به المثل فى البخل .. وقَس ابن ساعدة : أشهر الخطباء والحكماء فى العصر الجاهلى عاش مائة وثمانين سنة .. وباقل : هو باقل الربعى بن عمرو بن ربيعة الإيادى ، ضُرب به المثل فى العى والبلاهة .

(٢) السَها: كوكب صغير خفى الضوء .

(٣) الشهب : الدرارى من الكواكب لشدة لمعانها . والجنادل : الصخور الكبيرة .

(٤) النور : ٢٣.

في مصر وحدها تصدر عدة صحف يمكن أن يُؤلف من أوراقها كتاب متوسط الحجم يُنشر بين الناس مطلع كل صباح ..

تصورأنك قرأت في عام واحد نيفا وستين وثلثمائة كتاب..

لو كانت في الدين لكنت إمامًا . لو كانت في الأدب لكنت بَحَّاثة حُجـــة . لو كانت في العلم لحطمت الذُّرَة ..لو ..لو ..لكنها في اللغو والهزل ، فهي شر ذو حدين ، حد يقطعك عن الجد وعن القراءة النافعة .. وآخر يشتت قواك في عالم الفراغ ويفسد ذوقك ، وينقل اليك حركات الغرائز الدُّنيا ومجاري الشهوات في أعماء الظلام ..

إن بث الإثم في المجتمع ثم محاولة تنميته بالمقالات والروايات والاذاعات وضروب الغناء الأخرى أمر لا يبقى معه دين ولا تستقر معه فضيلة »[1] .

وقد أشار الشيخ بعد ذلك إلى ضرورة التصدى لهذه الأساليب وعدم الفرار أمام قلة من الصحافين الماجنين ، والعمل على بناء محاضن للجيل المسلم ، وأن تكون المساجد مثابات يلتقى الأخيار فيها ليأنس بعضهم بالبعض ، ويتواصوا بالحق ، ويتواصوا بالصبر ...

* * *

---

(١) ظلام من الغرب ص ٢٣٧ .

من بركات الإعلام فى مصر

أنقل هذه الفقرات من كتاب « المرأة والصراع النفسي » والذى يعرض - فيما نرى - الحصاد المر للأعاجيب التى يصنعها إعلام الإثارة والجنس فى تحطيم المناعة فى نفوس شبابنا ، لينسف ما بقي لهذه الأمة من كرامة إن كانت لا تزال تتمتع بشئ منها !!

تقول الدكتورة « نوال السعداوى » - وهي شاهد من أهلها :

« والكبت الجنسي في مجتمعنا كان يمكن أن يكون أقل خطراً على صحة البنات والنساء النفسية ، لو أن الثقافة والإعلام والفنون في مجتمعنا تخضع للقيم الأخلاقية نفسها التى تتحكم فى تربية البنات ، ولكن هذا لا يحدث لأن الذى يتحكم فى وسائل الثقافة والفنون والإعلام عامة ليست هى القيم الأخلاقية القائمة على الكبت الجنسى ، وإنما هى القيم التجارية القائمة على الربح من وراء عرض أفلام الجنس والرقصات العارية وأجساد النساء ، وتأوهات المطربين والمطبات ليل نهار فى الراديو والتليفزيون ، وعرض الأفخاذ والنهود العارية فى صفحات المجلات .

ويصبح على البنت المصرية أن تحل وحدها المعادلة الصعبة .. عليها أن تشبع بهذه الأفلام والصور والأصوات الصارخة بالجنس والشبق ، وعليها في الوقت نفسه ألا تتأثر بها ، وإن تأثرت - وهذا مايحدث - فعليها أن تخفي هذا التأثر وأن تتظاهر بشئ آخر ، أما أن يتحول هذا التأثر إلى فعل - وهذا أمر طبيعى عند الإنسان السليم نفسياً وجسدياً فهذه الطامة الكبرى التى تقع فى حياة البنت ، سواء انكشفت أم لم تنكشف .. إن انكشافها يقودها إلى إحساس طاغ بالخوف أو الذنب يلازمها طوال حياتها ويسبب لها البرود الجنسي أو العصاب أو ما شابهه .

وفى جميع الأحوال .. لا يؤدي الكبت والتناقضات التي يفرضها المجتمع على البنت إلا إلى التعاسة العامة التي تشعر بها النساء والفتيات من جميع الأعمار.. المتزوجات منهن وغير المتزوجات ، وقد تنكر بعض النساء هذه

التعاسة ويتوهمن أنهن سعيدات ، لكن المرأة منهن لا تصمد طويلاً أمام الأسئلة التي تجعلها تعيد التفكير في حياتها وفي سعادتها السطحية .. » [١] .

وفي نهاية حديثنا عن وسائل الإعلام يهمنا أن نتعرف على رأي الطب النفسي في وسائلنا الإعلامية ..

يقول الدكتور « عادل صادق » أستاذ الطب النفسي فى جامعة عين شمس في معرض حديثه عن إحساس الشباب بالغربة والصراع والقلق : « وقد يبدو غريباً أن يكون من بين أسباب حيرة الشباب ومحنته هو أن روح الايمان موجودة ومتأصلة لديه تهز قلبه وتحاول الاقتراب من عقله .. وتلك مسألة بديهية .. فالمشكلة أساسها صراع يعيشة الشباب .. صراع بين ما يتفاعل فى نفسه وإحساسه ، بين تناقضات تنهال على عقله .. وحياته اليومية لا تساعده فى تأكيد إحساسه الدينى بل تناقضه ، وتشده إلى صراعات ومتاهات ، وما ينجم عن ذلك من حيرة أو تخبط ، فبعض شبابنا حائر ، وبعضه متخبط ، ولب المشكلة أننا نتجاهل عقل الشباب ، ولعل هذا أصبح سمة من سمات حياتنا اليومية »..

وبعد أن يسوق الدكتور الأمثلة الصارخة لهذا الصراع الذى يعيشه الشباب وعدم اضطلاع المسئولين بدورهم فى تعميق الإيمان فى نفوسهم يقول : « يقف الشاب فى وسط التيار وحيداً ممزقاً ، وربما يتعلق بقشة واهية لا تنقذه بالقطع وانما تأخذه إلى القاع المظلم .. ثم يأتي المجتمع ليُجهز على الشباب .. يفتح «الراديو » أو يشاهد « التليفزيون » أو يذهب إلى « السينما » فلا يجد إلا موضوعاً واحداً متكرراً يُلح على كل غرائزه « الحب والجنس » ويذهب إلى جده[٢] فيقول له : كل شئ حرام .. وأى ممارسة خارج نطاق العلاقة الزوجية حرام ، وإذا التزم رغم كل الضغوط الهائلة حوله من وســـــائل الإعلام فإنه يقرر الزواج .. ويرتطم رأسه تماماً في الحائط إلى حد حدوث ارتجاج فى المخ حين يعجز كُلِيَّةً عن توفير سكن له .. ان ذلك يستدعى أن يَدَّخِر كل مرتبه لمدة عشرين عاما أو أكثر . يواجه كل هذا وهو ضعيف لم يُسلح منذَ نشأته بالعقيدة يعجز كُلِيَّةً عن توفير سكن له .. إن ذلك يستدعى أن يَدَّخِر كل مرتبه لمدة

---

(١) المرأة والصراع النفسي ص ٦٩ . (٢) يرمز الى الموجه « بالجد » باعتباره رمزا للحكمة

عشرين عاماً أو أكثر . يواجه كل هذا وهو ضعيف لم يُسلح منذ نشأته بالعقيدة السليمة والمفاهيم الصحيحة .. يواجه كل هذا و الضغوط من حوله ..«الراديو» يقول كلاماً مختلفاً تماماً عن كلام جده . « التليفزيون » يعرض صوراً مختلفة تماما عن الصورة التى يريدها جده ..تأثير الراديو والتليفزيون قوى لأن هناك الحاحا واستمرارا تساندهما أجهزة الإعلام كلها ، وليس هناك الا موضوع واحد هو الحب .. الحب الجنسى .. لقد آمنت أخيرا كطبيب نفسى أن «الشيروفرانيا» أى انفصام الشخصية- لا تصيب الأفراد فقط ، ولكنها من الممكن أن تصيب المجتمعات أيضاً » ..

وعلي طريق الخلاص يقول الدكتور في نهاية حديثة : « وأما بالنسبة لأجهزة الإعلام والصحافة فجميعها لا تؤدى الا دورا ضئيلاً محدوداً فى مجال التعليم والتوعية والتوجيه من أجل الشباب .. لا بد من ثورة إعلامية للقضاء على الإسفاف والاستخفاف بالقيم والتعاليم السماوية ، ولا بد من دور إيجابى كبير الحجم لتنشئة الشباب النشأة الدينية السليمة ، وتعميق روح الإيمان فى قلوبهم وعقولهم ..

والمؤسسات السياسية بما لها من هيمنة على حياتنا تنظيما واشرافا ومتابعة، فان لها دورا هاما وبارزا فى تعميق الإحساس الدينى لدى الناس وبخاصة الشباب .. وأخيراً ، لقد عرضت بأمانة ووضوح معالم الأزمة والمحنة التى يعيشها شبابنا اليوم .. وتصورى لمعالم الطريق الذى يمكن أن يسلكه من أجل خروجه من التوتر والقلق الذى يعيشه ..

بقي شيء أضيفه من خبرتي الشخصية في مجال عملي كطبيب نفسي ، وهو أن قدراً كبيراً من اضطراب الشباب على المستوى الشخصي واصابتهم بلقلق والاكتئاب والشعور بالاغتراب - يحدث بسبب ضعف الوازع الديني ، وحين يخبو نور الإيمان في العقول والقلوب .. لك أن تتخيل أي اضطراب يصيب حياة أي إنسان ويحرمه من الإحساس بالإطمئنان والاستقرار النفسي »[١] .

ونعتقد أن ما ذكره الطب النفسي حول وسائل الإعلام . وأسلوب تربيتنا للشباب - غنى عن كل تعليق ..

* * *

(١) يوميات الأخبار فى ٦ من يناير ١٩٧٩ ، ١٣ من يناير ١٩٧٩ .

الازدواج والتناقض فى أساليب التربية والتعليم

« كان خُلُقه القرآن ».....

عبارة وصفت بها السيدة عائشة رضى الله عنها خُلُق رسول الله ﷺ وبهذا المعلم .. يبين لنا رسول الله ﷺ أن الإسلام ليس نصوصاً نظرية تُشحن بها العقول ، أو تُحفظ عن ظهر قلب فى قاعات الدراسة ، أو قرآناً تفتتح به برامج الإعلام إرسالها ، أو أحاديث باهتة عن الدين ثبت عبر موجات الأثير .. وإنما هو منهج حياة ، وسلوك مجتمعات ، وروح تسرى في شرايين الأمة ..

هذا هو الإسلام .. الذي لا ينفصل فيه الإيمان بالقلب عن العمل بالجوارح :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴾[1].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[2].

﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ ﴾[3].

وان القرآن قد نعى على قوم تخالف أقوالهم أفعالهم :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾[4].

ولقد كان صحابة رسول الله ﷺ -رضوان الله عليهم -يحفظون الآيات من كتاب الله تعالى، فلا ينتقلون إلى غيرها إلا إذا تُرجمت واقعاً حياً يعيش في سلوكهم.

---

(١) الكهف : ١٠٧
(٢) البقرة ٢٧٧.
(٣) العنكبوت ٤٥
(٤) الصف :٢-٣.

وإذا انتقلنا من هذا المفهوم البديهي في الإسلام إلى واقع أساليب التعليم عندنا فلن نجد ظلاً لهذه التوجيهات الربانية تنعكس على مناهج التعليم ، بل سنرى تناقضاً وازدواجية تصيب طلبة العلم بالتمزق والصراع النفسي ..

فمناهج التعليم في مصر ما زالت بها بصمات واضحة من أيام أسيادنا المستعمرين .. ساهم فى المحافظة عليها جماعة من المستغربين فى ديارنا ..

عندما يدرس الطالب فى مادة « الأحياء » نظرية « تشارلس دارون » في أصل الأنواع وهي النظرية التي مُنعت دراستها في كثير من دول أوروبا .. النظرية المهترئة التي قامت على فروض وهمية باعتراف صاحبها الذي قال عن كتابه « أصل الأنو اع » : « إننى واثق تماماً أن كثيراً مما جاء فيه سوف يثبت أنه هراء ، ولكنني أتوقع كما أرجو أن يظل الهيكل ثابتاً ».

النظرية التي قام العلماء الباحثون بدحضها حتى وصفها بعضهم بأنها أدخل رأى في الجنون قاله رجل في تاريخ الإنسان ، حتى المحايدون قالوا بأنها أفكار للتأمل ..

يقول العلامة « فون باير » مؤسس علم الامبريولوجيا (الأجنة)- وهو من أقطاب الفزيولجيين والحفريين والبيولوجيين - يقول فى كتابه : « دحض المذهب الداروينى »: « إن الرأى القائل بأن النوع الإنسانى متولد من القردة السيمائية (الغوريلا والشمبانزى والقردة العليا) هو أدخل رأي في الجنون قاله رجل في تاريخ الإنسان ».

شئ عجيب حقاً أن نُبقى على مثل هذه النظرية الوهمية التي تصادم حقائق الإسلام مصادمة تامة ،في الوقت الذي يقول فيه « هـ . ج. ويلز »: « إن موضوع تسلسل الإنسان الحيواني لا يزال ينكره بغاية من الشدة الكثير من الرجال المقتدرين ، بل كثير من رجال العلم ، فحكومة ولاية « تينسى » مثلا بلغ

من اقتناعها بنقيض هذه النظرية أن منعت تدريسها فى جميع مدارسها وكلياتها »[1] .

وبعد حصة « الأحياء » يدخل مدرس الدين ليتلو ويفسر قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾[2].

﴿ وَبَدأَ خَلْقَ الإنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾[3].

من يُصَدِّق ؟

أيُصَدِّق مَعَلِّم الأحياء أم يصدق مُعَلِّم الدين ؟

أيُصَدِّق « تشارلس دارون » أم يصدق خالق دارون والخلق أجمعين ؟

أيُصَدِّق العلم أم يُصَدِّق الدين ، أم يكفر بأحدهما ليسلم له عقله؟ سؤال كبير .. لا أجد له جواباً !!

وهذا الطالب الذى لَقَّنَهُ مدرس الدين قوله تعالى :

﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَاظَهَرَ مِنْهَا ، وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ، وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾[4].

ويخرج من المدرسة الى الشارع ليجد ثلة من زملائه يقفون على النواصى ليلتهموا بأعينهم الزائغة أجساد الرائحات الغاديات ، وليجد الفتنة ذات أنياب وأظافر ..

وذلك الشاب الذي يستمع فى المسجد إلى موعظة تُوْجَلُ منها القلوب وتُذرف

(١) راجع نظرية دارون بين المؤيدين والمعارضين للأستاذ قيس القرطاس .

(٢) المؤمنون :١٢، ١٣ . (٣) السجدة : ٧. (٤) النور : ٣١ .

منها العيون، ولدى خروجه من المسجد تصطك مسامعه بمذياع يرسل على موجاته صوت أنثى رقيقة أضناها الهجر فهى تشكولذعة الأسى وحُرقة الجوى...

وهذه المعَلِّمة المربية الفاضلة التى تذهب الى المدرسة (معهد التربية والتعليم) وقد تزينت كالراقصة ، وارتدت ملابس أشبه ماتكون بملابس الممثلات على الشاشات .. هل يرجى منها نشر الفضيلة بين شبابنا .. مستقبل الأمة ولسانها الناطق وعقلها المفكر ويدها البانية ؟ ..

إنها إن كانت تدرس فى مدارس البنين فانها معْوَل هدم فى بناء شامخ ، لأنها تثير الشهوات فى نفوسهم ، وتجعل التلاميذ وكلهم فى سن المراهقة ينفقون وقتهم فى الاستمتاع بالنظر الى السيقان العارية ، والفتنة الطاغية ، ليطفئوا بعضاً من نار الشهوة التى سَعَّرتها فى نفوسهم ..

وقد سألنى تلميذ : إذا كانت النظرة الأولى لى والثانية علىّ ، فماذا أصنع بالفتنة المتحدية داخل الفصل ؟ أو كيف أغض من بصرى كما أمر الله ؟ فقلت له : ألق اليها سمعك ، وغُضَّ عنها بصرك ، وركز انتباهك على المكتوب دون الكاتبة !!

وان كانت تُدَرِّسْ فى مدرسة خاصة بالبنات .. فالمصيبة لا تقل خطراً ، إذ كيف تُكَلَّف امرأة عارية من الفضيلة بتدريس الفضيلة ؟ بل كيف تُكَلُّف التليمذات بارتداء الملابس المحتشمة وتترك المدرسات الفاضلات على حل شعورهن ؟ وكيف تكون التلميذة مثلا أعلى وأسوة حسنة لمعلمتها ، بل كيف يستقيم الظل والعود أعوج ؟

أعمى يقود بصيراً لا أباً لكم   قد ضل من كانت العميان تُرديه

إن التلميذة عندما تري هذا التناقض الصارخ بين ما يُفرض عليها وبين ما تراه يُلحُ على أنظارها ومسامعها تكفر بكل قيمة فاضلة ومثل رفيع ، وحالما تخرج من المدرسة فإنها ستسارع إلى خلع ثياب الحشمة لترتدى زى الشيطان ..

وتعظم المصيبة عندما يُسند تدريس مادة « التربية الإسلامية » الى أستاذة ترتدى المينى جيب ، وكتب الدين تحوى بين موادها موضعات كاملة عن التبرج وآياته ..فانا لله وإنا إليه راجعون ..

ان هذا التناقض وهذه الازدواجية فى أساليب التربية والتعليم تسببت فى توزيع فكر الشباب ، واهتزاز القيم فى نفسه وإصابته بالصراع النفسى ..

فى هذا الجو يعيش شبابنا المفترى عليه ، ممزق النفس ، حائر اللُّب ، مشتت الفكر ، موزع المشاعر بين نداء الدين والفطرة من جهة ، وبين إلحاح الغريزة والطرق الرهيب عليها من جهة أُخرى ..

ويتحير الشاب ..

من يُصَدِّق ؟ أيُصَدِّق ما سمع فى المدرسة والمسجد من قيم عُليا ومُثل رفيعة؟ أم يُصَدِّق ما يضغط به المجتمع على أعصابه ليلا ونهاراً محطماً كل ما سمع وقرأ عن العفة والسمو بالذات ؟

وفى هذا الخضم من الصراع يسأل الشاب نفسه : هل أحيا مع المجتمع وأتكيف معه ،أَم أقف ضد المجتمع ورغباته التى تخالف وتصادم ما تلقنته من مُثل عُليا وأتمسك بالدين ولتكن النتيجة ما تكون ، أم أنشد مع الشاعر :

لقد صارقلبي قابلا كل صـــورة فمرعى لـــغزلان ودير لرهبان
وبـــــيت لأصنام وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن ؟؟

وبعد ذلك نشكو مر الشكوى من وجود تنظمات سرية للشباب تعمل تحت الأرض وفوقها ، ونقيم الدنيا ولا نقعدها ، ويجد رجال الشرطة فى البحث والتحرى ، وتُعقد المحاكمات العسكرية ، لشباب جنى عليه ازدواج التعليم وتناقض المجتمع ..

بعد كل هذا من يستطيع أن يقول لى : إن الشباب فى ظل هذه الأوضاع المعكوسة المنكوسة يستطيع أن يحيا فى سلام نفسى ، وفى تكيف مع نفسه ومع المجتمع ؟؟

* * *

مُدَرِّس الدين

داعية الإسلام بين صفوف التلاميذ .. ماذا يفعل فى هذا الجو المشبع بالفساد..؟

ينبغى عليه ألا يفر من الميدان ، وألا تكون تناقضات المجتمع والأساليب الفاشلة فى التعليم مسوغا لكى يُصاب بالإحباط ويؤدى حصة باهتة خالية من روح الإسلام الحية المتوقدة ..

وهنا لن نضع لاخواننا قوائم بأسماء الجماعات الدينية وكيفية تنظيمها ، فكثيراً ما يكون هذا الهيكل التنظيمى عملاً روتينياً مظهرياً لا يمت إلى روح العقيدة بصلة .

والداعية المخلص يمكنه بحيوية مشاعر الإيمان فى قلبه أن يفتح مجالات متعددة لدعوته بين صفوف التلاميذ .. يمكنه أن يجد مجالاً في إذاعة المدرسة ، بتخصيص يوم يجيب فيه عن أسئلة التلاميذ ، ومن خلال الندوات والمحاضرات ، وصلاة الجماعة في مسجد المدرسة ، وحديث مركز بعد الصلاة لدقائق يصلح فيه فساد عبادة أو يُعَلِّق فيه علي حديث عارض يوضح فيه حيوية الإسلام الذى هو كفيل بحل جميع معضلات الحياة ..

ولست أقصد بذلك أن يكون مدرس الدين هو العنصر الإيجابى الوحيد .. كلا .. فهذه طريقة تربوية فاشلة ، وانما عليه أن يحول جموع الطلبة إلى دُعاة إلى هذا الدين ، فان الطالب عندما يرى نفسه فى موقع القدوة ، يستُحى أن يرتكب مخالفة لما يدعو إليه ..

إن مُعَلّم الدين فى استطاعته الكثير ، وبحسن توجيهه وثقة تلاميذه فيه ربما استطاع أن يُنقذ فتى أو فتاة من أزمة نفسية أو عاطفية يمكن أن تُحَطّم مستقبل هذا الفتى أو هذه الفتاة ..

ودور الُمعلّم هنا لا نفصله عن دور المسجد ، لأن كلاً منهما مُكَمِّلٌ للآخر ، وللحديث بقية في دور المسجد فى بناء الشباب ..

*   *   *

المسجد ودوره في إعداد الشباب

مرحلة الشباب هي المرحلة الحرجة التى يمر فيها الشباب بتغيرات جسمية ونفسية وعاطفية ، ويتعرض فيها للصراع بين المثل العليا والسقوط في حمأة الرذيلة ، وللتناقض والازدواجية بين ما يلقنه وما يعيشه ، وبين ما يسمعه ومايراه .

والمسجد بالنسبة للشباب فى هذه المرحلة هو طوق النجاة ، والداعية الناجح هو السباح الماهر الذى يستطيع أن ينتشل هذا الغريق من بين أمواج الفتن والظلمات التي تكتنفه من كل جانب ..

ونحن نُوَجِّه الحديث هنا إلى الدعاة فقط ، ولا نخاطب الموظفين من أجل «لقمة العيش » فهؤلاء نسقطهم تماماً من الحساب .. نتحدث مع الدعاة الذين حملوها أمانة ملكت عليهم أنفسهم ، وسرت فى شرايين أجسامهم ، فأصبحت هى شغلهم الشاغل وهمهم المقعد المقيم ..

نتكلم مع ورثة الأنبياء ، لا مع ماسحى « الجوخ » ومُصدرى الفتاوى وهواة الكراسى الذين انسلخوا من آيات الله ، فان مثل هؤلاء كما قال سيدنا المسيح:

« مثل علماء السوء : كمثل صخرة وقعت على فم نهر لا هى تشرب الماء ، ولا هي تترك الماء يخلص إلى الزرع »

وهؤلاء هم الذين عناهم الشاعر بقوله :

فأما القتال لا قتال لديكم ولكن سيراً في عِراض المواكبِ

إن الداعية الذى أخلص لله نفسه هو الذى يجعل من رسول الله ﷺ قدوته ومثله الأعلى ، فقد كان رسول الله ﷺ هو المحور الذى تدور عليه الحياة من حوله ، فقد كان أبا لكل صغير ، وأخاً لكل كبير ، وملاذاً يلجأ اليه الناس لحل ما استعصى عليهم من مشاكلهم ، وقد كان المُعَلِّم والمشرف الاجتماعى والطبيب

النفسي ، ولن يستطيع الداعية إلى الله تمثل هذه القدوة إلا بثقافته العالية التى تنمو يوماً بعد يوم ، فرسالته وعلمه هما اللذان يفرضانه على الناس ، والعمل الجيد يفرض نفسه ..

وبالطبع لن نستطيع استيعاب دور المسجد في هذا المجال الضيق ، ولكننا سَنُرَكِّز علي ما يمكن أن يُقَدِّمه المسجد للشباب ، فالمسجد وحده هو الذى يستطيع أن يُقَدِّم للشباب ما عجزت أن تقدمه لهم المدرسة والبيت والشارع ووسائل الإعلام .

يقول علماء النفس فى هذا المجال :

إن مرحلة المراهقة هي الفترة التي يكون الدين فيها بالنسبة للشاب ، هو المخرج والمتنفس الوحيد ، الذي يحقق له الأمان من الضغوط النفسية ، والمشاكل الانفعالية ، التي تقع عليه من داخل نفسه وخارجها ..

فليتذكر إخواننا الدُعاة أن المعركة ميدانها عقول الشباب ، والشباب الذي يعانى من الفراغ الدينى يقع فريسة سهلة لا تكلف شيئا للشيوعية والمذاهب التى تدعو إلى التحلل من ضوابط الدين .

وان الشيوعيين على ما عندهم من البضاعة المزجاة ، فانهم عرضوها على الشباب عرضا أنيقا منمقا ، جعل بعضهم يفتتن بهذا المسخ المنحرف للفطرة البشرية .. فكيف بنا ونحن أصحاب الدين الحق نفشل في عرض ديننا عرضا قوياً مغرياً ينبئ عن حقيقته الرائعة ..؟

وان نصيباً كبيراً من هذا التحلل الذى ينتاب الشباب يقع العبء فيه والمسئولية عنه أمام الله في ساحات القيامة على عاتق السادة الذين تَخَرَّجوا في جامعة الأزهر ، ورضوا من الغنيمة بالشهادات وأكل العيش ، وجلهم يعملون في مجالات التدريس كمعلمين ، ويوهمون أنفسهم أن وظيفتهم الرسمية ليست الدعوة ، وليست الوعظ والإرشاد ، وليست القيادة والتوجيه ..

وهذه المساجد الخاوية على عروشها .. أنذهب إلى كليات اللاهوت لنأتي منها بدعاة إلي الله ؟ !

إنهم أمام الله يوم العرض لمسئولون ، وعن علمهم ماذا عملوا فيه ؟ وإلى الله نشكو!!

* * *

• ما الذي يمكن أن يقدمه الداعية إلى الشباب ؟

إن شبابنا في طول الوطن الإسلامي وعرضه ما زال بخير رغم حملات التضليل الضارية التي تُشن عليه من كل الجبهات المعادية للإسلام .. وشجرة الإيمان ما زال أصلها ثابتاً في قلوبهم ، ولكنهم يفتقدون القيادة ..يفتقدون القدوة ، بعد ما أصيبوا بالإحباط وبالغصص في حلوقهم وهم يرون الأكابر كل يوم يقولون ما لا يفعلون ..يسمعون كلاماً رناناً ووعوداً جوفاء يُصرَح بها اليوم لتُبتلع غداً .

والشخصية الوحيدة التي يمكن أن تُقَدِّم هذه القدوة حية متجسدة هي شخصية الداعية المخلص ، فيصبح بذلك أجمل عنوان لأعظم رسالة ..

ومهمة الداعية هي أن يقوم بعملية حصار للأباطيل والمبادرة إلى الرد على محاولات النيل من العقيدة ، وتصحيح مفاهيم الشباب من الخلط والخبط الذي تمارسه وسائل الإفساد ..

نريد أن تتحول خطبة الجمعة إلى « مدرسة الجمعة » ، مدرسة تعالج فيها موضوعات الساعة وقضايا الشباب ، مدرسة تعرض عظمة الإسلام في معالجة مشاكل العصر الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ونحن لا نُلقي بالاً للذين يهرفون بما لا يعرفون ويقولون بفصل الدين عن الدولة . ﴿ قُلِ اللَّهُ ، ثُمَّ ذَرْهُم فِي خَوْضِهِمْ يَلعَبُونَ ﴾[1].

---

(١) الأنعام : ٩١ .

ولا نريد من الداعية أن يكون دوره هو الدور الإيجابي الوحيد ..

فما المانع أن يُكَوِّن الداعية مكتبة في مسجده بالجهود الذاتية يستطيع كل رواد المسجد الاستعارة منها بموجب ايصال مطبوع يكتب عليه المستعير بياناته فتكون استعارة الكتب منها خالية من تعقيدات المكتبات العامة ؟ .. إننا بمثل هذا العمل نستطيع جذب المزيد من الشباب المسلم الى المسجد وربطه به ..

ما المانع أن يتنازل الداعية عن الدرس بعد صلاة الجمعة ، ليقدم أحد الشباب من رُواد المسجد ليلقى موعظة يكون قد أشرف على إعدادها ، أو يُقَدِّم طالباً من كلية الزراعة ، أو الطب ، أو الصيدلة ، ليُقَدِّم إلى جماهير المصلين وجبة علميه إسلامية من خلال تخصصه يفيد منها المسلمون في حياتهم العامة .. إن هؤلاء الشباب سيكونون صفاً ثانياً للدعوة إلى الله ..

و من أجَلِّ الأعمال التي يمكن أن يُقَدِّمها المسجد للفتاة المسلمة أن يُخصص الداعية ساعة معينة في يوم معين من أيام الأسبوع لتكون درساً للمرأة المسلمة، والمرأة ليست أقل تأثراً من الرجل في شئون العقيدة وليس هذا بدعاً من الأعمال، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : جاءت امراة إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ،ذهب الرجال بحديثك ، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تُعَلمنا مما عَلَّمَكَ الله . قال :« اجتمعن يوم كذا و كذا » فاجتمعن ، فأتاهن النبي ﷺ فعلمهن مما عَلَّمَه الله ،ثم قال :« ما منكن من امرأة تُقَدِّم ثلاثة من الولد إلا كانوا لها حجاباً من النار » فقالت امرأة : واثنين ؟ فقال رسول الله ﷺ : « واثنين » [1].

ومما يزيد من حيوية المسجد وإشعار المسلمين بعظمة الإسلام أن تُقَدِّم من خلال المسجد نماذج تطبيقية للسلوك الإسلامي في مجال التكافل الاجتماعي بأن يقوم الداعية بمساعدة شباب المسجد بقيادة حملة لجمع التبرعات من الملابس والأغطية

(١) متفق عليه .

وغيرها ، وذلك في بداية فصل الشتاء ، ثم يقوم بعد ذلك بتوزيعها على الفقراء.

كل هذا النشاط يمكن أن يقوم به الداعية لمزيد من ربط الشباب بالعقيدة من خلال المسجد ، ونحن نُقَدِّمها كأمثلة ولكنها ليست نظرية ، لأنها طبقت وآتت ثماراً طيبة والحمد لله رب العالمين ..

ولعل بعض الإخوة الدعاة قد تجاوزوا هذه المرحلة فهنيئاً لهم توفيق الله لهم .

* * *

• المسجد ومشكلات الشباب الجنسية والعاطفية :

كما قلنا آنفاً : إن الإسلام لا يدفن رأسه في الرمال ، ولا يعامل البشر كملائكة ولم يجعل الجنس عيباً ولا دنساً ولا قذراً إذا كان في إطار من الحدود التي حدَّها الله عز وجل ، وتأسيساً على ذلك فليس هناك مانع على الإطلاق من التعرض لمشكلات الشباب الجنسية والعاطفية سواء أكان ذلك على المنبر أو في الدرس بعد الجمعة ..

وليس من المعقول أن تُعرض الفضائح على الشاشات ، وعندما نأتي لنعالج نتحرج من العلاج ، فنكون قد أخلينا الميدان تماماً لهذه الوسائل لتمارس الهدم كما يحلو لها ..

ولأن الكلام في الجنس سلاح ذو حدين ، فإننا سنضع بعض الضوابط التي تساعد الداعية في هذا المضمار ..

أولاً : توعية المستمعين بأن الكلام في الجنس للإصلاح أو للتعليم ليس حراماً، فإن العلم يضيع بين الكبر والحياء ، وهذا رسول الله ﷺ يقول : « يا أيها الناس .. إن الله لا يستحي من الحق : لاتأتوا النساء في أعجازهن »[(١)] .

---

(١) سنن الدارمي .

ثانياً : معالجة الموضوعات الجنسية بصورة مهذبة ، وألفاظ غير جارحة للحياء والمشاعر ، ولنا في كتاب الله - عندما يتحدث عن الجنس - أسوة حسنة ومنهج راشد ..

ثالثاً : عدم تسليط الأضواء القوية على الأفعال الجنسية والدخول في التفصيلات التي تثير الشهوات ، فإن الله عز وجل عرض في القرآن قضية الشذوذ الجنسي ، وتحدث عن اللحظات الحرجة التي يعلو فيها نداء الغريزة فوق كل نداء .. تحدث عن يوسف وامرأة العزيز .. مشهد جرت تفاصيله داخل حجرة نوم امرأة العزيز ، ومع ذلك لم يكن تركيز القرآن على أنواع العطور التي وضعتها ، ولا الملابس التي لبستها ، ولا على صنوف المغريات والمهيجات ، ولكن التركيز كان مسلطاً على موقف الترفع والتسامي والاعتصام بالله ، وتفضيل النوم وراء القضبان على النوم على الأثاث والرياش ونيل المتعة ، فينبغي على الداعية أن يكون غاية همه ليس الفعل في ذاته وإنما في الأضرار المترتبة عليه ..

رابعاً : على الداعية أن يكون محيطاً بالموضوع الذي يتحدث فيه احاطة كاملة من شتى جوانبه ، وأن تكون عنده خلفيات عنه يحتفظ بها لنفسه ، فليس كل ما يقرؤه أو يعلمه يتحدث به إلى الناس ، وذلك لأن نسبة عالية من الشباب الذي يستمع إليه قرأ الكثير عن الموضوع الذي يعرضه ، فإذا لم يشعر الشباب الذين يستمعون إليه أنهم أضافوا إلى معلوماتهم جديداً ، وصححوا مفاهيمهم الخاطئة من منطلق الإقناع والحجة ، فإن النتيجة ستكون فقدان الثقة بالداعية ومعلوماته معاً .. ولعل في الكتاب الذي بين يديك وفي المراجع التي رجع إليها ما يعينك على كثير مما تريد ، وفقني الله واياك إلى سبيل الرشاد.

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ، وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1].

* * *

(١) العنكبوت : ٦٩ .

دور الأسرة في تربية الأجيال

أولادنا ثمار قلوبنا ، وفلذات أكبادنا ، وامتداد لحياتنا بعد فنائنا . .

ونحن إذ نتحدث عن دور الأسرة في تنشئة الأجيال . . فإننا نتحدث عن موضوع له خطره . . فالطفل الصغير أمانة كبيرة بين يدي أبيه وأمه . . وعقله الصغير أرض بكر لم تزرع ، وورقة بيضاء لم يخط فيها حرف .

وإذا كنا قد وضعنا وسائل الإعلام في قفص الاتهام باعتبارها المُخَرِّب الأول للأجيال ، فإن دور الأسرة في التربية ، قد يكون بمثابة الطُعم الواقي الذي يجعل عقل الطفل مُدَرَّعاً ضد قاذفات الفساد والانحراف ، وإلى هذا الدور الخطير الذي تقوم به الأسرة يقول الرسول ﷺ : « كل مولود يُولد على الفطرة حتى يُعرب عنه لسانه ، فأبواه يُهودانه ، أو يُنَصِّرانه ، أو يُمَجِّسَانه » (1) .

وقبل أن نسترسل في الحديث ، فإننا نلفت النظر إلى أننا لن نستطيع تغطية الموضوع من كل جوانبه الدينية والنفسية والاجتماعية . . وربما نعود إليه – إن شاء الله – في بحث مستقل إذا انفسح العمر . . ولكننا سنتكلم عن جوانب أساسية في التربية يغفل عنها كثير من المسلمين . .

فبعض الناس يعتقدون أن رسالتهم في الحياة هي إنجاب الأولاد . ومنتهى فهمه في تربيتهم هو أن يُوَفِر لهم الطعام والشراب والملبس والمسكن ، وأحياناً يرهق نفسه في سبيل تزويدهم بالكماليات والمرفهات . .

وغاية ما يصل إليه في تربيتهم هو أن يجتهد في تعليمهم حتى يحصلوا على درجات عالية تؤهلهم لأن يأخذوا أوضاعهم المادية والأدبية في المجتمع . .

---

(1) رواه أبو يعلي والطبراني والبيهقي .

وبذلك يكون قد بَلّغَ الرسالة وأدّى الأمانة . . هذا مبلغ علم الكثير من المسلمين.

وهي - لعمر الحق - أفكار ومعتقدات لا تنسجم مع مفهوم الإسلام في التربية . . فمطالب الطعام والشراب . . مطالب يشترك فيها الحيوان مع الإنسان ، وفهم الأسرة لرسالة التربية والتعاليم بهذا الاسلوب الشائع وسيلة من وسائل الدمار والخراب . فالإسلام لا يُعامل الإنسان ككتلة من لحم غايتها في الحياة هو « العلف » أو التزود من ماديات الحياة بقدر المستطاع ، وإنما يعامله جسداً وروحاً ، فتربية الجسم تسير جنباً إلى جنب مع تربية الروح ، إذا جار أحدهما على الآخر حدث الخلل والاضطراب في النفس البشرية . .

ما فائدة أن ألقن ابني العلم ، وأسعى في الحصول له على مدرسين متخصصين ليكون من المتقدمين في نفس الوقت الذي هو في الأخلاق صفر من كل فضيلة وأدب وتهذيب . . ؟ !

إن العلم في هذه الحالة سيكون وسيلة تدمير وهدم وشقاء . .

والعـــلم إن لم تكتنـــفه شمائـــل تُعليـه كـــان مطيــة الإخفاق

لا تحسبـــن العـــلم ينفـــع وحـده مالـــم يُتـــوَّج ربـــه بخلاق

ولقد رأينا كثيراً من الأبناء - لا أقول تربوا - ولكن أقول درجوا على هذا الأسلوب ، فصار الواحد منهم بعد ما شَبَّ عن الطوق ، يُصَعِّر خده لوالديه ، ويُثني عِطفه عليهما ، ويتنكر لهما إذا كانا من بسطاء الناس . .

وشاهدت بعيني رأسي شاباً « متعلماً » - كان يترك والدته العجوز في البيت .. بيتها الذي سكنه هو وزوجته - يتركها ليأتي إليها المتطوعون من الناس يقومون لها ببعض شئونها حتى وَدَّعَتْ الحياة ساخطة عليه وعلى زوجته .. ولقد شاهدته - بعد ما أحاط به نكد الحياة - يزور قبرها بعد موتها ، فقلت في نفسي :

لا ألفيَنّـــكَ بعـــد الموت تندبـني وفي حيـــاتي ما زودتنـــــي زادي

ثمار مُرَّة يجنيها الآباء والأمهات من عدم التزامهم في تربية أولادهم بِهَدْى الإسلام . .

إن رسول الله ﷺ – الذي لا ينطق عن الهوى – يوجهنا إلى أن نربي أبناءنا على تقوى الله وطاعته وحبه وحده والإخلاص له فيقول : « مُرُوا صبيانكم بالصلاة لسبع سنين ، واضربوهم عليها لعشر سنين ، وفَرِّقوا بينهم في المضاجع » [(١)] .

وتقول « كوادينف » وهي باحثة نفسية :

« إن ثمة دلائل على أن نصف البناء العقلي للفرد يتم خلال السنوات الثلاث الأولى من الحياة ، والسنون قبل المدرسة ، وأعوام المدرسة الابتدائية تُمثل الفترة التي يتم فيها النمو الجسدي والعقلي والاجتماعي ، بصورة سريعة ، والعادات التي تتكون في أثناء هذه الفترة صعب تغييرها في فترات النمو التالية كما أن العادات التي لم تتم خلال هذه الفترة عسير إنماؤها فيما بعد » [(٢)] .

وهكذا فإن هذه الفترة التي حدَّدها حديث الرسول ﷺ تمثل أخصب الفترات التي يمكن أن تُنمّى فيها آداب الإسلام وأخلاقه في نفس الصغير . .

ولكن للأسف . . فإن الغالبية العظمى من الآباء لا ينتبهون إلى توجيهات الإسلام في هذا الشأن . .

فَمنْ مِنَ الآباء يجلس مع أولاده جلسة عائلية ليناقشوا فيها موضوعاً أخلاقياً على ضوء الإسلام وهَديه . . ؟

مَنْ مِنْ الآباء يجلس مع أولاده ويُكَلِّف أحدهم بقراءة كتاب مبسط عن منهج الإسلام في معالجة مشكلات الحياة . . ؟

مَنْ مِنَ الآباء . . يجمع أولاده ليلفت نظرهم إلى أن ما قد تقع عليه

---

(١) رواه أحمد وأبو داود .

(٢) علم النفس التربوي، فاخر عاقل ص ١١٤.

أبصارهم على شاشات الإعلام لا يمثل الحقيقة خاصة في قضايا الحب والجريمة .؟

مَنْ مِنَ الآباء يفهم أنه إذ يُربي أولاده في المدارس غير الإسلامية إنما يزرع بذور الكفر في قلوبهم النقية . . ؟

إن الله عز وجل عندما يذكر في القرآن الكريم وصايا لقمان لابنه فإنه يُذَكِّر الآباء بمسئولياتهم في التربية . .

﴿ وإذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لا تُشْرِكْ باللهِ ، إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ . . . ﴾[1] .

﴿ يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمٰوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وأْمُرْ بِالمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ المُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ، إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ * وَلا تُصَعِّرْ [2] خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً ، إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ، إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ ﴾[3]

غرس في قلبه عقيدة التوحيد ثم عَلَّمه المراقبة لله الذي يعلم السر وأخفى ، ووجَّهه إلى إقامة الصلاة ، وعَلَّمه أن يكون عضواً إيجابياً في المجتمع المسلم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويصبر على الأذى الذي ربما يصيبه من جرَّاء القيام بهذين الأمرين ، وعلَّمه أن يمشي متواضعاً ، وأن يتحدث في هدوء بغير صخب أو ضجيج . .

---

(١) لقمان : ١٣ .

(٢) الصعر : داء يُصيب الإبل فيلوي أعناقها .

(٣) لقمان : ١٦ - ١٩ .

كل ذلك لِيُوَجِّه الله أنظار الآباء إلى الأمانة التي وضعها بين أيديهم ، والتي يُسألون عنها في عرصات القيامة : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

* * *

• معاملة الأبناء :

من الأساليب التي يعاني منها الكثير من شبابنا أن الولد مهما كبر سنه وعمق فكره - فهو في نظر أبويه طفل صغير . .

وهذا الأسلوب من أسوأ أساليب التربية [١] ، وقبل أن يقول العلم الحديث كلمته في هذا الأسلوب . . قالها نداء الفطرة .

استشاط معاوية غضباً على ابنه يزيد . . فأرسل إلى الأحنف بن قيس ، فقال له : يا أبا بحر ، ما تقول في الولد ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ، ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة ، وبهم نَصول على كل جليلة ، فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم يمنحوك ودهم ، ويحبوك جهدهم ، ولا تكن عليهم ثقلاً ثقيلا ، فيملوا حياتك ويودوا وفاتك ، ويكرهوا قربك . . فقال له معاوية : لله أنت يا أحنف ، لقد دخلت عليّ وأنا مملوء غضباً على يزيد ولقد أصلحت من قلبي له ، فأرسل إلى يزيد بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب ، فأرسل يزيد نصف ذلك إلى الأحنف . .

وكان العرب يقولون : الولد ريحانك سبعاً ، وخادمك سبعاً ، وهو بعد ذلك صديقك أو عدوك أو شريكك . .

ومن أساليب التربية الناجحة ما وجَّه إليه رسول الله ﷺ بقوله : « من كان له ولد فليتقارب له ، وليكن معه كما يكون الصبي مع الصبي ملاحقة له ».

---

(١) ينبغي على الأبناء في مثل هذه الأحوال أن يعذروا آباءهم فقد يكون حظ الأبناء من التعليم أوفر من حظ الآباء . . .

وقال أيضاً : «من كان عنده صبي فليتصاب له » [1] .

ولقد عرفنا كيف كان رسول الله ﷺ عارفاً بنفسية الشباب،وكيف كان يترك لهم الفرص للتعبير عن أنفسهم حتى من خلال خوضهم للمعارك وهم في سن الخامسة عشرة ، وكيف كانت أساليب الإقناع التي أقنع بها الشاب الذي جاءه يريد الزنا . . معان سامية في منهج التربية الإسلامية ، وهذه المعاني نفسها هي التي يدور في فلكها علم النفس المعاصر . .

إن الأب الذكي هو الذي يكسب ثقة أولاده ويشجعهم على الإفضاء إليه بمشكلاتهم التي تُؤَرِّقهم حتى يستطيع مساعدتهم في حلها ، وذلك أجدى للآباء قبل أن يصبحوا آخر من يعلم بعد فوات الأوان . .

وإن الأب الذي يعامل أبناءه بمنطق العصا والأوامر العسكرية يفشل في تربية أولاده ، ويعمل على إلغاء شخصية أولاده إلغاءً كاملاً ، ويشعرهم بأنهم عالة عليه ، وما زالوا أطفالاً لا يفقهون في شئون الحياة صغيرة ولا كبيرة . . هذا الأب يصيب أولاده بالإحباط والأمراض النفسية ، ويدفعهم دفعاً إلى عمل يثبتون به وجودهم ، وقد يكون هذا العمل جريمة تؤثر على مستقبلهم ومجتمعهم، وقد يكون المردود ضعفاً في الشخصية ، وسلبية في الحياة وفقدان القدرة على التصرف إزاء أي شأن من شئونها ، يستوي في ذلك الحقير منها والعظيم . .

والحب الذي تفتقده الفتاة ، ولم تعثر عليه في بيت أبيها ، فإنها ستبحث عنه بظمأ مُلّح خارج جدران البيت لتَسَلّم نفسها لُقمة سائغة لأول طارق أياً كان . .

وهذه توجيهات من وحي أساليب الإسلام في التربية نسوقها كمعالم هامة لتوضح الطريق أمام الآباء والأمهات . .

---

(١) رواه ابن عساكر وابن بابويه .

– لا بد من اتفاق الوالدين على خطة موحدة لتربية الأولاد وتوجيههم حتى لا تهدم الأم ما يبنيه الأب أو العكس ، لأن التناقض في أساليب التربية يؤدي إلى عواقب وخيمة في هذا المجال . .

– القدوة الحسنة في الأبوين ، فعين الولد معقودة بشخصية أبيه ، وعند الأب تقف تطلعات الابن ، وفي تصرفاته تكون نهاية المثاليات بالنسبة له ، ومن ثَمَّ كانت خطورة دور الأسرة التي تضع الخميرة الأولى في صنع لبنات المجتمع . .

عن عبد الله بن عامر قال : « دعتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا ، فقالت : ها تعال أعطك ، فقال لها رسول الله ﷺ : « ما أردت أن تعطيه » ؟ قالت : أردت أن أعطيه تمراً . فقال لها رسول الله ﷺ :« أما إنك لو لم تعطه شيئاً كُتبت عليك كذبة » [1] .

قال الشاعر :

ينشأ الغلام على ما كان والده ... إن الأصول عليها ينبت الشجر

– يراعى الأبوان العدل بين الأولاد ، ونُحَذِّر الآباء كل التحذير من الجَور في معاملة أبنائهم أو تمييز أحدهم على حساب الآخر وبخاصة إذا كان هذا الآخر من زوجة ثانية . . فتصنيف الأولاد إلى درجة أولى وثانية من الجرائم التي يرتكبها كثير من الآباء في حق أولادهم . . فينبغي على الأب أن يعلم أن التمييز بين الأولاد – بغير عذر شرعي – يزرع بينهم الأحقاد المرة ، والضغائن التي تعمي وتصم ، وبذلك يكون الأب قد ساهم في قطع صلة الأرحام فيدخل تحت قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴾[2] .

فليقدم الأب لنفسه حتى تصله – بعد موته – دعوة صالحة من ابن غير موتور.

---

(١) رواه أبو داود والبيهقي في شعب الإيمان .   (٢) محمد : ٢٢ ، ٢٣ .

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أتى به إلى رسول الله ﷺ فقال : إني نحلت ابني هذا غلاماً كان لي ، فقال رسول الله ﷺ : « أكل ولدك نحلته مثل هذا » ؟ فقال : لا ، فقال رسول الله ﷺ : « فارجعه » . . وفي رواية : « اتقوا الله واعدلوا في أولادكم » ، وفي رواية : « فلا تُشهدني إذن، فإني لا أشهد على جَوْرٍ » . وفي رواية : « لا تُشهدني على جَوْرٍ » [1] .

– ينبغي على الوالدين الإشراف التام على الصداقات التي يعقدها أبناؤهم ، فإن سوء الخُلق يُعدي ، ولا يزال الماء العذب عذباً حتى يختلط بالماء المالح ، فيصير مِلحاً أُجاجاً . .

من جالس الجرب يوماً في أماكنها   لو كان ذا صحة لا يأمن الجربا

– ليحذر الأبوان كل الحذر من الشجار على مسمع أو مرأى من أبنائهم ، فإن ذلك يسبب لهم الصراع النفسي والانحراف الخُلقي ، ويُوَلّد لديهم عاطفة الكراهية نحو الطرف الظالم ، وقد ينعكس ذلك مستقبلاً على حياتهم الزوجية . . .

.. ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾[2] .

– التفرقة بين الأولاد في المضاجع قدر الإمكان ، وإلزام البنات على الأخص بلبس السراويل [3] الطويلة عند النوم : « وفرقوا بينهم في المضاجع » .

– تعويد الأولاد – ذكوراً وإناثاً – على العادات الصحية . . وذلك كتعويدهم على ألا يلبس الإناث ملابس الذكور على الإطلاق . .

– الإشراف على نوع الثقافة والكتب التي يقرؤها الأولاد وتؤثر في عقولهم

---

(١) من حديث متفق عليه .

(٢) النساء : ١٩ .

(٣) وردت أحاديث كثيرة تحض على ذلك .

- إشعار الأولاد بشخصياتهم ، وذلك بتحميلهم المسئولية ، وإشراكهم في الرأي ، ولو كان ذلك على سبيل إشعارهم بذواتهم . .

- في مرحلة المراهقة قد تكون مناقشة الأولاد من منطق العقل والإقناع أجدى من أية وسيلة أخرى . . والأب الذي تكون عصاه كسيف الحجاج بن يوسف يفشل فشلاً محققاً في تربية أولاده وتوجيههم . .

نعم قد يُجدي هذا الأسلوب في بعض الأحيان ، ولكنه يأتي بمردود سلبي إذا كان هو الأسلوب الوحيد . .

- الاهتمام باستثمار طاقات الأولاد وخصوصاً في مرحلة المراهقة وتشجيعهم على ممارسة الرياضة والقراءة ، وشغل أوقات الفراغ ، فأنفسهم ان لم نشغلها بالحق شغلتنا بالباطل ، وحتي لا تكون أمامهم فرصة متاحة للانحراف . . .

وقد مضى منهج الإسلام في هذا السبيل . .

يقول عمر رضى الله عنه : « عَلّموا أولادكم العوم والرماية ، ومُروهم فليثبوا على الخيل وثباً ، ورووهم ما يجمل من الشعر » .

- للأولاد حقوق على آبائهم ، فمن حقهم أن يجلسوا معهم يتبادلون الأفكار والتوجيه والمناقشة في شئون الحياة على ضوء من هَدى شريعتناالحنيفية السمحة

* * *

● تربية الفتاة :

نحتاج في هذا المقام إلى نوع من التركيز على تربية الفتاة ، فالموقف بالنسبة إليها يحتاج إلى مزيد من الرعاية والعناية ، لأن المرأة التي تهز المهد بيمينها تهز العالم بشمالها . .

فالفتاة - في سن المراهقة - شفافة بريئة . . قليلة الخبرة بالحياة ، فهي تنظر إليها من خلال منظار وردي جميل ، لأنها بالعاطفة تحيا . .

تنظر إليها على أنها حب ، ووفاء ، وانطلاق ، وزينة ، وسعادة . . ولم تَطّلع بعد على جانبها المظلم المفعم بالخداع والمكر والدهاء والغدر . . فما هي إلا أن تسمع عبارات الغَزَل تنساب في آذانها حتى تتحرك عواطفها . . . . .

وهنا دور الأب والأم جِدُّ خطير ، ومصيبتنا أن الأبوين آخر من يعلم عن انحرافات أولادهم ، لأن عندهم نوعاً من التعامي والثقة العمياء في أولادهم ذكوراً وإناثاً ، وذلك بحكم العاطفة التي تحكم الكثير من شئون حياتنا . . .

فالأب المخدوع في لهو كبير ، وشغل شاغل بمطالب الحياة المادية ، والأم الغافلة قد يصل حنانها على أولادها إلى درجة الدُّبة التي أرادت أن تَذُب الذُباب عن وجه صاحبها فقتلته ، أو القِطة التي أرادت أن تحمي أولادها من الخطر فابتلعتهم . .!!

هذه الأم التي لا يمكن أن تتصور ابنتها إلا قطة مغمضة العينين ، من البيت إلى المدرسة ومن المدرسة إلى البيت ، وربما من بيتها إلى بيت زميلتها « لتذاكر معها الدروس » ، ولا شيء قبل ذلك أو بعده أو فيه . .

وإلى كل أب وإلى كل أم نقول : إن مسئوليتهم في هذا العصر الذي نعيشه مسئولية ضخمة وثقيلة ، حيث إن وسائل الإعلام تقوم بشحن جنسي مكثف ، وإثارة رهيبة للغرائز ، ولفت لأنظار الشباب إلى أساليب الانحراف الجنسي الذي يسمونه حباً . . كل ذلك يُضاعف من مسئولية الأسرة . .

إننا نعيش في عصر الفتن . .

ينبغي على الأب أن يناقش أولاده في المفاهيم التي تبثها وسائل الإعلام وخاصة مفهوم الحب الجنسي ، والأم ينبغي عليها أن تقوم بتطعيم أولادها بالطعم الواقي ضد هذه الأفكار الخطيرة التي تقتحم البيوت عنوة لتنسف منها روح الفضيلة والشرف . .

ودور الأم خطير في توجيه بناتها إلى أن شرف البنت هو حياتها ، وأن عفتها

وسمعتها أغلى شئ في الوجود ، وأن ما تسمع أو ترى من أغاني الحب وأفلام الحب إنما هو من عمل جماعة يتاجرون ليكسبوا كثيراً على حساب الأخلاق . .

ولتُفهم الأم بناتها بأن الفتاة عندما تخرج ويخرج معها أخوها ، فإن ذلك ليس معناه عدم الثقة فيها ، ولكن لحمايتها من ذئاب الطريق ، وأنه عندما لا تنام مع إخوتها في مكان واحد ، وعندما ترتدي السراويل في أثناء النوم إنما ذلك وقاية لها حتى لا تنكشف عورتها وهي نائمة ، واستجابة لتوجيهات الإسلام في هذا السبيل . . وهكذا . .

ونسوق هذا التحذير الذي نشرته الصحف على لسان الأستاذ « حسين نعمان » مدير النيابة في القاهرة : يقول :

« إن نسبة طالبات الثانوية المتهمات في جرائم الآداب في ارتفاع . . وهذا مرجعه في الأصل - كما أسفرت التحقيقات - إلى تفكك أُسر هؤلاء الطالبات وانشغال رب الأسرة وانصرافه عن رعاية بناته . . حيث لوحظ أن الطالبات يخرجن في أوقات متأخرة دون أن يتعرضن للسؤال عن كيفية قضاء هذا الوقت بعيداً عن منازلهن ، وعند حضور ولي الأمر لاستلام ابنته من النيابة يُصاب بالذهول عندما يجد ابنته في مثل هذا الموقف . . ويُعلّل ذلك بانشغاله طوال الوقت ، ويتعهد أن يتعهدها بعد ذلك بالإشراف والقسوة . .

يضاف إلى ذلك عدم إشراف المدرسة على تلميذاتها الإشراف الكافي من حيث إخطار أهلهن بغيابهن وانقطاعهن عن المدرسة . .

وهناك أنواع من الطالبات ابتعدن عن تعاليم الدين وقيم المجتمع الشرقي حيث يعتبرن قضائهن الوقت مع بعض الشباب داخل مساكنهم نوعاً من الحرية الشخصية تتطلبه المدنية والحضارة ، وللأسف الشديد يجدن استجابة من أُسرهن. وهؤلاء أكثر انتشاراً في الأوساط الاجتماعية « الراقية » (حدث بالفعل ! !) وحتى نحدْ من هذه الظاهرة يجب تعديل قانون الأحداث بإرجاع سن الحدث كما كان ١٥ سنة بدلاً من ١٨ سنة ، لأن معظم الطالبات بالثانوي يُعتبرن أحداثاً

طِبقاً للقانون الجديد مما تضطر معه النيابة إلى تسليمهن لأهلهن أو إحالتهن لنيابة الأحداث لـعدم الاختصـــاص ، وتخرج الفتاة بدون عقاب . .(حدث بالفعل !!) ، والطباخات والعاملات في الشقق المفروشة يلعبن الدور الرئيسي في التغرير بالطالبات » .

ونحن نُعَلِّق على هذا فنقول « : إن الذي سلك هذا السلوك قلة من الفتيات اللاتي نشأن في بيوت لا تلتزم بالإسلام ، وإننا لا نشك لحظة في القاعدة العريضة من فتياتنا ابتداء بالصفوف المتوسطة وإنتهاءً بالجامعة أنهن في طهارة ماء السماء ، وفي حالة رجعة عظيمة إلى الإسلام والاحتشام . ولكننا سقنا هذا التصريح من قبيل وضع الاشارة الحمراء لتنبيه بعض الآباء الغافلين والأمهات الغافلات . .

والعلاج ليس كما ذكره مدير النيابة ، وإنما العلاج يكون بأن يُتَرْجَمَ شرع الله ديناً ودولة وسلوك مجتمع ، ويكون أيضاً بتأديب وتهذيب وسائل الإعلام ، وحسبنا الله ونِعْمَ الوكيل . .

* * *

التقليد ومركب النقص

جعل الله هذه الأمة خير أمة أُخرجت للناس ، لأن دورها ليس على هامش الحياة ، وإنما دورها دور إيجابي قيادي يؤثر في مسار البشرية ، ولذلك فإن الله أتبع هذه الخيرية بقوله : ﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[1] .

ولن يستطيع القيام بهذا الدور الإيجابي في قيادة الدنيا قوم نيام تَسَلَّوا عن الحقيقة بالأحلام ، أتباع كل ناعق ، يميلون مع كل ريح . .

وقد ركَّزَ رسول الله ﷺ على هذا الدور وهو يخاف على شخصية أمته أن تفنى وتتلاشى وتذوب في شخصيات الأمم غير المسلمة ، فتذل بعد عز ، وتصير تابعة بعد أن كانت متبوعة ، فيقول ﷺ : « من تُشَبَّه بقوم فهو منهم »[2] .

وحذَّرنا الحق من السير في ركاب أهل الكتاب فقال : ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ، قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى ، وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴾[3] .

ونظرة على حال المسلمين اليوم وموقع شخصيتهم على المسرح الدولي تثير الأسى والأسف ، وتستبكي العيون الجامدة على المجد الذي ضاع ، وعلى البنيان الشامخ الذي انهار . .

فلـــقد أصبـــح الشرق الإسلامي الذي كان يُصَدِّر النور إلى أوروبا . يستورد منها الشموع ، وبات الغرب مدرسة نحن فيها التلاميذ ، وقبلة نحن إليها المتوجهون ، ومحراباً نحن فيه المتعبدون ، وكاد الإنسان لا يُفَرِّقُ بين بعض العواصم العربية والأوروبية فيما يُغضـــب الله ، وسيطر علينـــا مُركَبّ النقص،

---

(1) آل عمران : ١١٠ .

(2) رواه أبو داود .

(3) البقرة : ١٢٠ .

فصارت أزياؤنا باريسية ، وبيوتنا أمريكية ، وعاداتنا أوروبية ، وعقولنا شرقية غربية . . وكأن رسول الله ﷺ كان ينظر من وراء الغيب حين قال : « لتتَّبِعُنَّ سُنَن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جُحر ضَبٍّ تبعتموهم » قيل : يارسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : « فمن » ؟ [1] .

نعم سرنا وراء الغرب شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، حتى صرنا نُقَلِّد بعمى في البصر والبصيرة ، وحتى ظهر في بلاد المسلمين من ينادي بفصل الدين عن الدولة ، ولم يستطع أن يفهم أن طبيعة الإسلام غير طبيعة المسيحية الغربية التي اصطدمت بالعلم فَنُحيِّت إلى الأبد عن ميدان الحياة . .

لم يستطع أن يفهم أنه ليس عندنا ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، بل إن الأمر كله لله . .

ولكن ماذا نقول في تقليد كتقليد القرود ؟

ورحم الله الشاعر محمد مصطفى حمام حين قال :

كل من قَلَّدَ الفِرنجــــة منّا قد أساءَ التقليــــد والتمثيــــلا

نشروا الرِجس مُجَمَّـــــلاً فنشرناه كِتَابــــاً مُفَصَلاً تفصيلا

ويُعَلِّق الأســـتاذ أحمد أمين ســـــاخراً من هذه التبعيـــة العميـــاء فيقـول : « . . فليس في الشرق كله ما يسر ، قد جُرده الله من كل حُسن . . فلا الطبيعة جميلة ، ولا المناظر جذابة ، ولا شئ فيه يأخذ باللُّب ، ويدعوإلى الإعجاب ، والقمر في الغرب أنور منه في الشرق ، والبحر الأبيض قد جَمُل منه ما لامس الغرب ، وقَبُح ما لامس الشرق ، وكل شئ في عادات الشرق وتقاليده تعافه النفس ، وينفر منه الطبع ، وعلى الجملة فالله تعالى الواهب ماشاء لمن شاء قد جمع الحُسن كله في ناحية ، وقال له : كن الغرب فكان ،

(١) متفق عليه .

وجمع القُبح كله في ناحية ، وقال له : كن الشرق فكان ، وهم إذا لم يقولوا ذلك كله جَهاراً آمنوا به إيماناً ، وصدرت عنه أفعالهم ، واتجهت إليه حياتهم »[١] .

ويقول الشيخ أبو الآعلى المودودي : « وكل ما يأتي من الغرب يعتبرونه مقياساً للحق ، ومعياراً للتقدم ، ويُقلّدونه في كل صغير وكبير مستطر وغير مستطر ، مع الفارق ، أن الغرب مجتهد فيما يعمل ، وهم مُقَلّدون لا رأي لديهم ولا تفكير ، وإن الغرب يهلك عن بَيِّنة ، وهم يهلكون عن عمى . خسروا الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين »[٢] .

وهنا سؤال يطرح نفسه : ما موقفنا من حضارة الغرب المادية ؟ هل ندفعها جملة ونبقى قابعين بعيداً عن حركة الحياة ؟

وللإجابة عن هذا السؤال نقول :

إن الحضارة المادية التي وصل إليها الغرب اليوم لا يرفضها الإسلام ، فما هي إلا ثمرة من ثمار العقل البشري على مر العصور ، وهي لم تخرج إلى الدنيا طفرة واحدة ، بل هي كالبناء الشامخ الذي يساهم فيه كل جيل بوضع لبنات فيه حتى يعلو البناء ويصبح جميل الرواء . . ولقد كان لعقلية الباحثين من علماء المسلمين - ولا أقول العرب - نصيب عظيم في تشييد هذا البناء الشامخ للحضارة كما سنرى فيما بعد . .

ومن الصعب على أي مجتمع أن يتقوقع ، أو يعزل نفسه ، فكل إنسان يستطيع الآن أن يطوف العالم كله وهو جالس في بيته أو مسترخ على فراشه بعد أن طوت وسائل الإعلام الزمان والمكان عبر موجات الأثير . .

فالإسلام لا يرفض أن تركب سيارة ، أو طائرة ، فهذه الصناعات الحديثة في مجال النقل السريع هي المشار إليها بقوله تعالى : ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾

---

(١) فيض الخاطر - للاستاذ أحمد أمين جـ ١ ص ٥٤ .

(٢) واجب الشباب المسلم اليوم ص ٨ .

في سياق الحديث عن الخيل والبغال والحمير . . يقول تعالى : ﴿ والخَيْلَ والْبِغَالَ والْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ، وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[1].

والإسلام لا يقف حجر عثرة في طريق صنع صاروخ أو سفينة فضاء ، بل هو قد أمر بذلك ، قال تعالى : ﴿ وأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾[2] .

إذن . . فالإستفادة من إيجابيات الحضارة المادية شئ مطلوب ديناً ، لأنها الحكمة التي أشار إليها الرسول الكريم ﷺ بقوله : « الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها » [3] .

وفي رواية ابن حبان : « الحكمة ضالة المؤمن يأخذها ممن سمعها ، ولا يبالي من أي وعاء خرجت » .

ولقد طبَّقَ الرسول ﷺ هذا المبدأ عملياً في هجرته ، فكان عبدالله بن أريقط دليل الرسول ﷺ في متاهات الصحراء ، وكان الرجل على دين قومه . .

وهذا الكتاب الذي بين يديك استشهدنا فيه بأفكار صائبة لعدد من الكتاب والمفكرين ، وربما بيننا وبين الأفكار الأخرى لبعضهم بُعْدَ المشرقين . .

نعم . . نستورد الآلات والمصانع والخبرات ، ولكن لا نستورد معها الأفكار إلا إذا كانت تنسجم مع الفكر الإسلامي ومنهجه . . فهناك بون شاسع بين ديننا ودينهم ، ومناهجنا الفكرية ومناهجهم ، وأوضاعنا الاجتماعية وأوضاعهم. عندهم اصطدم العلم بالكنيسة ، فكفر الناس بالدين . . لم يحدث هذا عندنا.

---

(١) النحل : ٨ . (٢) الأنفال : ٦٠ .

(٣) رواه الترمذي .

عندهم أساطير يونانية أثرت في طريقة تفكيرهم ، وفي تصورهم للألوهية ..
لم يحدث عندنا شئ من هذا القبيل . .

حُرِّفت كُتبهم المقدسة . . عندنا كتاب الله لم يُبَدَّل فيه حرف . .

إذن ففلسفتهم مرفوضة ، وأخلاقهم مرفوضة ، وعقائدهم مرفوضة ، ونظمهم الاجتماعية أيضاً مرفوضة ، وعلى الجملة كل ما يمس العقيدة من قريب أو بعيد محظور في أرض الإسلام ، ومرة أخرى : « الحكمة ضالة المؤمن يأخذها ممن سمعها ، ولا يبالي من أي وعاء خرجت » .

* * *

● دور علماء الإسلام في بناء الحضارة :

أَلَّفَ في هذا الموضوع مجلدات ، ولذلك فإننا سنعرض عليك شهادات من أهل هذه الحضارة المادية الذين أعجبوا بالعقلية المسلمة الفذة ، فلم يملكوا سوى أن ينسبوا الحق لأهله . .

يقول المستشرق « سخاو » : « إن البيروني من أضخم العقول التي ظهرت في العالم ، وإنه أعظم علماء عصره ، ومن أعظم العلماء في كل العصور »[(١)].

ويقول المستشرق الأمريكي « أريو بوب » : « في أية قائمة تحوي أسماء أكابر العلماء ، يجب أن يكون لاسم البيروني مكانه الرفيع ، ومن المستحيل أن يكتمل أي بحث للرياضيات أو الفلك أوالجغرافيا أو علم الإنسان أو المعادن دون الإقرار بمساهمته العظيمة في كل علم من تلك العلوم . .

---

(١) تاريخ العلم للدكتور عبدالحليم منتصر ص ١٥٤ .

إنه لفي الإمكان تجميع عدد كبير من الاقتباسات من مؤلفات البيروني كتبها منذ ألف سنة ، وهي تسبق كثيراً من المناهج والمواقف العقلية التي يُفترض أنها حديثة » [١] .

« ولقد أصدرت أكاديمية العلوم السوفييتية سنة ١٩٥٠ مجلــــدا بعنــــوان « البيروني » نُشر تحت إشراف المستشرق « تولستوف » بمناسبة مرور ألف سنة هجرية على مولده ، كما صدر في الهند المجلد التذكاري للبيروني سنة ١٩٥١ يحوي عشرات البحوث ، والمقالات عن البيروني وذلك احتفالاً بذكراه واعترافاً بفضله » [٢] .

ويقول العلاّمة « أرنولد توينبي » في كتابه « دراســة في التاريــــخ » : « وضع ابن خلدون في مقدمة تاريخه ، فلسفة للتاريخ ، ولا شك في أنها أعظم عمل من نوعه ابتكره عقل في أي زمان أو مكان » [٣] .

ويقول العلامة « ول ديورانت » في كتابه « قصة الحضارة » : « ولما مات الواقدي ، ترك ستمائة صندوق من الكتب يحتاج كل منها إلى رجلين لحمله ، وربما ملك الصاحب بن عباد من الكتب في القرن العاشر ما يقدر حينئذ بما كـــان في مكتبات أوروبا مجتمعة ، وبلغ الإسلام في ذلك الوقت أوج حياته الثقافية، وكنت تجد في ألف مسجد منتشر من قرطبة إلى سمرقند ، علماء لا يحصيهم العدد وكانت تدوّي أركانها بفصاحتهم » [٤] .

ويقول « مايرهون » في كتابه « تراث الإسلام » : « رفي ذلك العصر . . عصر القوة العظمى ، وجلال الحكم الإسلامي ورخائه ، أشرف رجل مسلم بهــامة

(١) تاريخ العلم ص ١٥٤ . (٢) المرجع السابق ص ١٥٥ .
(٣) مآثر العرب على الحضارة الأوروبية لجلال مظهر ص ١٦٤ .
(٤) المرجع السابق ص ٤٢ .

الجبار ، وألقى بظله على العالم في القرون الوسطى في الشرق وفي الغرب ، هو ذا جابر بن حيان » .

وقال الدكتور « جوستاف لوبون » في كتابه « حضارة العرب » : « أما الأبحاث التي أجراها المسيو « رينو » والمسيو « فافيه » والتي سبقهم إليهـــا « كاسيري » ، و« أندريه » و « ڤياردو » ، فأثبتت بوضوح أن البارود ذا القوة الدافعة باعتباره مادة متفجرة تعمل على دفع القذائف . . اختراع عربي أصيل لم يشارك العرب فيه أحد » (١) .

ويقول « سيديو » في « تاريخ العرب العام » : « ولقد رأينا أنه منذ القرن التاسع حتى الخامس عشر ، قد تكونت مجموعة من أكبر المعارف الأدبية في التاريخ ، وظهرت مصنوعات ومنتوجات متعددة ، واختراعات ثمينة تشهد بالنشاط الذهني المدهش في هذا العصر ، جميع ذلك تأثرت به أوروبا بحيث يؤكد القول بأن العرب كانوا أساتذتها في جميع فروع المعرفة » (٢) .

تلكم أمجاد المسلمين . . وهؤلاء آباؤنا . .

أولئك آبائي فجئني بمثلهم　　　إذا جمعتنا يا جرير المجامع

ولقد استعرضت هنا هذه الشهادات كمحاولة لإخراج عقدة النقص التي ابتلينا بها ، فإذا شُخِصَ الداء سهلت معرفة الدواء . .

إن العالم الإسلامي اليوم ما زال قادراً بعقول بنيـــه على انتزاع مركز القيادة والتوجيه ليصبح محور الدنيا كما كان في أمسه المجيد . .

لا ينقصنا شئ من مقومات الحضارة المادية . . .

عندنا العقول . . عندنا الثروة البشرية . . عندنا المال . . عندنا الخبرات .

عندنا الموقع الاستراتيجي . . .

---

(١) المرجع السابق ص ٤٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٨٥ ، ١٦٨ .

إذن لماذا تخلّف العالم الإسلامي عن أمم الأرض . . ؟ !

لأنه ينقصنا أهم شئ وأخطر شئ ألا وهو الإيمان بالله بالمعنى الحقيقي . . نعم الإيمان بالله وحده هو الذي يستطيع أن يُفَجِّر هذه الطاقات ، ويومها سيعود المسلمون خير أُمة أُخرجت للناس . .

يقول « مرماديوك بكتل » : « إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم في الدنيا الآن بنفس السرعة التي نشروها بها سابقاً إذا رجعوا إلى الأخلاق التي كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول ، لأن هذا العالم الخاوى لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم » .

ولله الأمر من قبل ومن بعد . .

* * *

تربية الضمير

لا يتم بناء الأمم إلا ببناء الرجال ، وبناء الرجال لا يتأتى بدون ضمير حي يقظ ، ولا يُرَبَّى الضمير إلا في ظل العقيدة . .

إن الضمير هو المحكمة الإلهية في النفس البشرية . . المحكمة التي تصدر أحكاماً فورية لا تقبل نقضاً ولا استئنافاً . .

فإذا ما أحسن الإنسان وأجاد كان الأجر راحة في النفس ، وسعادة في القلب، ورضا وسروراً ولذة وحبوراً . . وإن كانت الأخرى كان الجلد بدون جلاًد ، ولذع السياط بلا سياط . . قلق . . أرق . . تمزق . . شعور بالذنب يَقُضُ المضاجع ، ويمنع لذة الكَرى عن الأجفان . .

إنه النفس اللّوامة التي أقسم بها الحق عز وجل في كتابه فقال :﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾[1] .

إنه القلب الذي عناه الرسول ﷺ في قوله : « البر ما اطمأنت إليه النفس ، واطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك »[2] .

ويُخطئ من يعتقد أن للضمير مدرسة يُرَبَّى فيها غير مدرسة العقيدة ، ولذلك نجد أن محمداً ﷺ ربّى الرجال على مراقبة اللّه وخشيته ، ثم فتح بهم الدنيا بعد ذلك . .

لم يُربِّهم في منظمات ولا أحزاب ، ولا معاهد للاشتراكية ، وإنما ربّاهم على مائدة القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم .

﴿ يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾[3] .

---

(1) القيامة : ١ ، ٢ .

(2) من حديث رواه أحمد والدارمي بإسناد حسن .

(3) لقمان : ١٦ .

علّمهم أن الله مُطّلع على خفايا النفوس وأسرار القلوب ، فهو بكل شئ محيط، ولو كان هذا الشئ مثقال حبة من خردل في داخل صخرة صماء ملساء فعلمُها عند الله . .

ولقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن المجتمعات التي تظن أنها بالقوانين الأرضية ورجال الشرطة ، وشرطة الآداب تستطيع أن تجعل المجتمعات في حالة انضباط دائم . . هذه المجتمعات واهمة . .

فما من يوم يَنْشَقُ فجره إلا وتُطالعك صفحات الصحف وهي تسيل بأخبار الاختلاسات والسرقات والعُمولات والكسب غير المشروع ، وإحصاءات رهيبة للشركات التابعة للدولة والتي حقّقت بجدارة أبشع أنواع الخسارة . .

عصابات خطف النساء لهتك أعراضهن . .لن تُعالج بالشرطة . .

عصابات حرق المصانع والعُهَد . . لن تُعالج بالقوانين الأرضية . .

عصابات التزوير والنصب على البسطاء والسذج . . لن تُعالج بالتشريعات الوضعية . .

شبكات السرقة المنتشرة في طول البلاد وعرضها . . لن يجدي تتبع رجال الاستخبارات لها . .

ويكون مثلنا في معالجة هذه الظواهر المدمرة كمريض بالزائدة الدودية يحتاج إلى مبضع الجراح . . فتُعمل له كمادات ساخنة عساها أن تُخَفِّف الألم . . إن المريض سيموت قبل التفكير في استدعاء الطبيب . . !!

والعلاج . . هو الإسلام . . والإسلام وحده . .

ماذا يصنع التشريع الوضعي في: المدرس الذي لا يراقب الله في عمله ، ويهمل إجادة عرض دروسه ، ليجد التلميذ نفسه مضطراً إلى درس خاص..؟

والطبيب الذي يُهمل فحص مرضاه في المستشفى ليضطرهم إلى الذهاب إليه في عيادته الخاصة . . ؟

والموظف الذي يتقاضى الرِشوة لينجز أعمال المراجعين ؟

والعامل الذي يخرج العمل من بين يديه مختلاً وفي استطاعته الإتقان والإحسان . . ؟

والمحامي الذي يستغل ثغرة في القانون الوضعي ليلبس الباطل ثوب الحق ؟

و ...... و .... و ...... و الواوات لا تنتهي .

ولا ترجع الأنـفس عـن غيـــها   مالم يكن منـــها لها زاجــــر

وضعنا الخطط الخمسية والعشرية ، وكتبنا المواثيق والورقات ، وركّزنا على الإنسان كجسد . . كطين . . ككم من اللحم ، لا كيف من العقل والروح والخُلق، وظننا أننا بالأعداد الغفيرة التي تُفرخها المدارس والجامعات قد أصبحنا شيئاً في دنيا الناس . . ولم نعلم أن العلم وحده بلا خُلُق ، بلا ضمير ، بلا مراقبة لله وخوف من عقابه ، يصبح من أسرع وسائل الهدم والخراب والتفنن في صنع الجريمة ، ويصبح دور معاهد التعليم تخريج أفواج مشوهة ، منحرفة عن الفطرة التي فَطَرَ اللهُ الناس عليها . .

ولقد صدق « تيودور روزفلت » رئيس أمريكا الأسبق حين قال : « إن الرجل الذي لم يذهب إلى المدرسة قط قد يسرق عربة قطار ، أما إذا كان قد استوفى حظه من التعليم الجامعي ، فإنه يسرق الخط الحديدي كله » .

ولقد قرأنا جميعاً عن الجريمة الشنعاء التي ارتكبها رجل إنجليري قتل خليلته الحسناء بعد أن عاشرها خمس سنوات ثم قَطَّعَ جسدها إرباً إربا ووضعه في حوض مملوء بحمض الكبريت ، ليذوب جسدها تماماً . .

فانظر ماذا يصنع العلم بلا ضمير ؟

ولننظر إلى الضمير في أوروبا وكيف خربته حضارة المال والجنس ، وأقرب

مثل على هذا الخراب عندما انقطع التيار الكهربائي ساعة عن نيويورك . . لقد حدث انفجار في السلب والنهب والسطو في أعماء الظلام ، وكأن جموع الشعب قد تحوّلت إلى عصابات من اللصوص وقُطاع الطرق . .

أين حدث هذا ؟ إنه حدث في عاصمة الدنيا وقمة الحضـــارة . . فـــي « نيويورك » !!

ولعلك قرأت عن « ب . ب . » بريچيت باردو التي تزعمت الدعوة المقامة في مرسيليا ضد الدكتور « شارل » الذي يجري التجارب على الحيوانات وهي ما زالت حية : « يقوم بأفعاله – حسب أقوال بريچيت – في ظروف فظيعة ، وهي تتساءل في ألم : هل يجب التضحية بالحيوان في سبيل الإنسان » ؟

هل رأيت الرقة ؟ هل رأيت العذوبة ؟

هل رأيت إلى أي مدى وصل خراب الضمير الذي لا يستيقظ لقتل آلاف البشر – لا أقول المسلمين – في أنحاء المعمورة ، ولا يستيقظ لتشريد الملايين الذين يفترشون الجليد ويلتحفون البؤس والمسغبة . وفي الوقت نفسه يذوب من رهافة الحس على الحيوان »[1] ؟ !

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴾[2] .

وبعد . .

فإنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها . . لقد كانت تبلغ يقظة الضمير في المسلم إلى درجة لا يمكن أن يُوجَـــدْ لها نظيـــر إلا في مجتمع يتربى على الإسلام منهجاً وسلوكاً . .

---

(١) نعم يأمرنا الإسلام بالرفق بالحيوان ولكن الإنسان أولي . (٢) الكهــف : ١٠٣ - ١٠٤ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى رجلٌ رسولَ الله ﷺ وهو في المسجـد ، فناداه فقال : يارسول الله ، إني زنيت ، فأعرض عنه - ردد عليه أربع مرات - فلما شهد على نفسه أربع شهادات . . دعاه النبي ﷺ فقال : « أبكَ جنون » ؟ قال : لا ، قال : « فهل أحصنت » ؟ قال : نعم ، فقال النبي ﷺ : « اذهبوا به فارجموه » [1] .

وعن أبي نجيد عمران بن الحصين الخزاعي رضي الله عنهما أن امرأة من جُهينة أتت رسولَ الله ﷺ وهي حُبلى من الزنا ، قالت : يارسول الله ، أصبت حداً فأقمه عليّ ، فدعا نبي الله ﷺ وليها فقال : « أحسن إليها ، فإذا وضعت فأتني » ، ففعل ، فأمر نبي الله ﷺ فشُدت عليها ثيابها ، ثم أمر بها فرُجمت، ثُم صلّى عليها ، فقال له عمر : تُصَلّي عليها يارسول الله وقد زنت ؟ قالَ : « لقد تابت توبة لو قُسِّمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم . وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله عز وجل » [2] .

صور مشرقة للضمير الحي اليقظ الذي تَربّى في مدارس الإيمان . .

فمتى نفقه ؟

متى نتعلم ؟

متى نعلم أن المجتمع الذي تُخضعه الأساليب « البوليسية » هو مجتمع من العبيد ؟

* * *

(١) متفق عليه .

(٢) رواه مسلم .

تعليم الجنس

« علّموا أولادكم الجنس » آخر صيحة في العالم الإسلامي وفاءً بالعهود التي قطعها الشرق على نفسه بأن يترسم خُطى الغرب شِبراً بشبر وذِراعاً بذراع .

وعندما أسمع وأقرأ هذه الصيحات ، فإنني أتذكر - على الفور - أبا نواس حين رفع عقيرته قائلاً :

دع عنك لومي فإن اللّوم اغراء ... وداوني بالتي كانت هي الداء

وقول الأعشى إذ يقول :

وكأس شربتُ على لذَّةٍ ... وأخرى تداويتُ منها بها

فالشفاء من الخمر مزيد من الخمر ، والشفاء من الجنس مزيد من الجنس ، وعلاج المريض بالتُخمة مزيد من الطعام حتى يموت . .

هذا هو منطق سَدَنة الجنس في بلاد المسلمين . . ومعاذَ اللّه أن تكون هذه الصيحة من بنات أفكار علمائنا الكبار ، ولكنها للأسف أفكار مستوردة من الغرب المنهار ، والمسألة بالنسبة إليه مسألة وقت لتذهب حضارته المادية إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم . .

والشيء العجيب والمذهل حقاً أن أية « مودة » في العالم سواء أكانت فكرية أم مادية يتلقفها سدنة الغرب عندنا بعد أن تصبح « مودة قديمة » لنبدأ من حيث بدأوا ، لا لنبدأ من حيث انتهوا ، وكأننا - في وضعنا الراهن - قد غزونا الفضاء ، وصنعنا القنابل الذرية ، وصرنا في مقدمة رَكب البشرية ، ولم يبق إلا « تعليم الجنس » .

وهاكم النتائج في بلاد الجنس :

في السويد يتعلم الأطفال الجنس من السابعة حتى السادسة عشرة ، فماذا كانت المحصلة ؟ كل فتاة هناك تستطيع أن تدعو أي شاب تريده في بيتها

وعلى مسمع ومرأى من أبيها وأمها وإخوتها وأخواتها ، وبالتالي . . انخفضت نسبة الزواج . . عدد ضخم من المواليد غير الشرعية . . إحصاءات مُرَوِّعة عن الانتحار والجنون . . تحولت مصحات الأمراض الصدرية إلى مستشفيات للأمراض النفسية والعقلية . .

فهل نجح تعليم الجنس – ياسادة – في إنقاذ الشباب من الضلال الجنسي ، وصحَّح عندهم المفاهيم الجنسية ، ووضع الطاقة الجنسية على طريقها الصحيح .. أم كان تعليم الجنس هو الوقود الذي يُلقي به في جحيم الشهوة لتقول هل من مزيد . . ؟ !

« كتب القاضي « بن لندسي Ben Lindsey » الذي قد أتيح له الاطلاع الواسع على أخلاق النشء الأمريكي ، لكونه رئيساً لمحكمة جنايات الصبيان « Juvenile Court » بدنفر « Denwer » كتب في كتابه « تمرد النشء الجديد Revolt of modern youth » : « إن الصبية في أمريكا قد أصبحوا يراهقون قبل الأوان ، ومن السن الباكرة جداً يشتد فيهم الشعور الجنسي » . وبحث هذا القاضي عن أحوال ٣١٢ صبية على سبيل النموذج . . فعلم أن ٢٥٥ صبية منهن – كن أدركن البلوغ فيما بين الحادية عشرة والثالثة عشرة من سني أعمارهن – يوجد فيهن من أمارات الشهوة الجنسية والمطالب الجسدية ما لا يكون عادة في بنات الثامنة عشرة فمن فوقهن سناً » [(١)] .

وكذلك يذكر الدكتور « أديث هوكر Edith Hooker » في كتابه « القوانين الجنسية Lews of Sex » أنه ليس من الغريب الشاذ حتى في الطبقة المثقفة أن بنات سبع أو ثمان سنين منهن يــخادِنَّ لِداتِهِـــنَّ من الصبية تلوَّثنَ معهم بالفاحشة . . . [(٢)] .

---

(١) الحجاب ص . . ١ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق .

ويعلق كاتب أمريكي على هذا فيقول : « إن الأوضاع التي يعيش فيها معظم أناسنا في هذه الأيام تبعد عن الفطرة بعداً يجعل الفتية والفتيات يشعرون بدبيب الحب في نفوسهم من السن الخامسة عشرة ، وساء ذلك مصيراً ، لأن الرلوع بالأمور الجنسية الناشئ فيهم قبل الأوان قد يعود عليهم - بل هو دائماً يعود - بأسوأ ما يكون من النتائج ، وأهونها أن البنات في سن الصبا يفررن مع أخدانهن ، أو يتزوجن في السن الباكرة ، وينتحرن إن هن لقين في غرامهن الخيبة والفشل » [١] .

وعن كتب الجنس المـــقررة في بعـــض مـــدارس بـــريطانـــيا تقول صحيفة « تربيبون »:

« إن الأطفال في سن الثامنة أصبحوا يتلقون التربية الجنسية في بعض مدارس مختارة من المدارس الإنجليزية . .

وهناك خمسة من الكتب الجنسية يختلف بعضها عن بعض في المستوى ويتعلم منها التلاميذ والتلميذات منذ هذه السن : الحمل عند الإنسان والحيوان.

والكتابان الثاني والثالث منها مخصصان لتلاميذ وتلميذات السنة العاشرة إلى الرابعة عشرة ، ويعلمان الفروق بين الذكورة والأنوثة . .

والكتابان الرابع والخامس يعلمان الأمراض السرية ، والمسئولية الاجتماعية الجنسية والانحراف الجنسي ، ثم لمن هم فوق السادسة عشرة يُعَلّمَان طرق الوقاية من الحمل » [٢] .

هذه نوعية من الثقافة الجنسية التي يريد بعضهم منا أن نُزَوِّد بها أبناءنا ، بل يذهب بعضهم الآخر إلى أبعد من هذا فيقول للآباء : بأنه لا مانـــع من أن يُبَدِّل الأب ملابسه أمام ابنته الصغيرة المميزة التي تدرك معنى العورة . .

---

(١) الحجاب ص ١٠٠ ، وما بعدها .

(٢) الفكر الإسلامي ص ٢٥٧ .

تعالوا بنا إلى بريطانيا التي طبقّت المناهج السابقة لنرى دراسة نسائية من قلب بريطانيا تهاجم تعليم الجنس وترفضه بشدة لمردوده الخطير على النشء هناك . .

تقول الصحيفة التي قامت بعرض الكتاب : « صدر في لندن كتاب جديد أثار ضجة بين الآباء والأمهات . . الكتاب يدعو إلى رفض تعليم أولادهم الجنس في المدارس ، وإلى العودة إلى الفضيلة وإلى التقاليد ، وإلى احترام الفتيات لأنفسهن ، والبعد عن موجة الإباحية التي سادت لسنوات طويلة في دول الغرب . .

يقول الكتاب : « إن الرجل مهما كان تفكيره يُفَضِّل أن يتزوج من فتاة لم تجعل نفسها في متناول يد الآخرين ، وإن القول بأن « الموضة » هي تعلم الجنس وإباحة الحديث عنه وإطلاق اسم الواقعية عليه ، هذا الأسلوب هو مجرد هَراء ولغو فارغ . .

وضع هذا الكتاب سيدتان هما الدكتورة « مارجريت وايت » و « چانيت كيد » وقد طلبتا من كل فتاة رفض دعوة أى رجل تشم منه رائحة ممارسة حياة الفوضى . . وطالبتا الآباء بأن يُعَلِّموا أولادهم منذ الصغر على الحياء في مناقشة الأمور الجنسية ، والابتعاد عن الموجة المدمرة التي تطالب باسم « المودة » بنشر التعليم الجنسي في المدارس ، والذي بدأ فعلاً في العديد من المدارس الأوروبية » . .

ويعالج الكتاب مرحلة خطيرة في حياة الفتيات هي مرحلة المراهقة . .

فعندما تبلغ الفتاة من العمر ١٦ عاماً . .يكون من الصعب عليها اتخاذ قرار حازم تجاه هذه الأمور . . وغالباً ما تجد نفسها مُضَلَّلة وتتحرك وفقاً لعواطفها وليس وفقاً لعقلها . .

وتقول المؤلفتان في كتابهما الذي يحمل عنوان « التعاليم الحقيقية للجنس »: إن الآباء والأمهات يجب أن يَتَقَرَّبوا من الأبناء بشكل يجعل من السهل توافر الثقة والاقتناع العقلي ، ويجب أن يزرعوا فيهم بدلاً من الخوف من الجنس . .

حب النقاء والطهارة تمهيداً لحياة زوجية نظيفة . . وعليهم أيضاً أن يقنعوهم بأن التحرر من القيم والأخلاق لا يمكن أن يجعل أياً من الجنسين يثق في الآخر . .

وذكر الكتاب : أنه قد تقع فتاة في تجربة حب مع شاب ما ، وقد تُبَلّغ والدتها ببداية هذه القصة ، ولكنها تُخفي عليها فيما بعد التفاصيل الأخرى ، وتكون بذلك قد وقعت في مشكلة وحدها . . وتجد نفسها تتخرط في حياة تفقد فيها احترامها لنفسها واحترام الآخرين لها . .

وتذكر الدكتورة « جروترود » أنها استجوبت ١٦ فتاة في سن المراهقة . . كيف يتصرفن وهن في بداية حياتهن ؟ هل يقلن : لا ، لأول طلب يتلقينه من أول رجل في حياتهن ؟

وكانت الإجابات متنوعة . . اكتشفت خلالها الدكتورة « جروترود » أن الكثير من الفتيات كن ضحايا مدارس تعليم الجنس . . وأصبحن لا يحترمن القيم والتقاليد ، وأن إجراء تغيير في النظم التي سمحت بإهدار القيم والتقاليد التي عاشت عليها الفتيات من آلاف الكتب والمحاضرات ، وانصور والأفلام التي تدفعهن وراء عالم يُلقي بهن إلى أسفل الحدود . .

ودعا الكتاب إلى ضرورة صحوة الآباء والأمهات للعودة إلى مجتمع القيم والتقاليد . .

وتقول إحدى الباحثتين في نهاية بحثها : إننا يجب ألاّ نظلـــم الرجل ونقول إنه المسئول عن هذا التدهور . . فالرجل - مهما كان تفكيره ومهما كان متحرراً يُفَضّل في قرارة نفسه أن يتزوج من فتاة ذات قِيَم . . وتحترم شخصيتها ، ولاتُلقي بنفسها في وحل الخطيئة . .

ولا يحترم الرجل فتاة ترقص مع كل الرجال . . وإنما يحترم فتاة تجلس في حلبة الرقص وأمامها عشرات العروض من رجال آخرين لتشاركهم الرقص ، ولكنها ترفض . .

إن البشرية منذ القدم . . تقوم على أساس أن الرجل يجد ذاته في امرأة واحـــدة ، أما التعدد ، فهذا ليس من طبع ما توارثته البشرية من تقالـــيد وقيـــم » [١] . وكأن هذه الأفكار التي وردت في هذا الكتاب قد نُقلت نقلاً عن روح الإسلام في بناء المجتمع . . ولا غرو في ذلك ، فالبشرية بعد أن تُجَرِّب النظريات الوضعية ، ويلحقها الدُوار من تجاربها ، وتشعر أنها قد أفلست ، إذا بها تجد نفسها في الإسلام !

﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾[٢] .

وأظن أن دعاة الجنس والداعين إلى تعليمه بالأساليب الغربية - اقتنعوا تماماً بأنهم يستوردون « المودات » بعد أن تصبح قديمة ، وبعد أن تُثبت فشلها الذريع . .

وجل هؤلاء عندما يكتبون عن الجنس فإنهم ينقلون نقلاً عن كتب الغـــرب ، أو يستلهمون روحهم على الأقل ، وما دام الكاتب قد وضع صورة عارية على الغلاف ، وعدة مناظر تصف أعضاء الرجل والمرأة ، وغشاء البكارة ، ووسائل منع الحمل فإنه بذلك يكون قد أنقذ الشباب من دياجير الجهل الجنسي ، وحَلَّ لهم مشكلات الجنس . .

وتراهم يعرضون في كتبهم ومجلاتهم نماذج من الرسائل تُوَضِّح أن الشباب في ضلال جنسي مبين ، وأن المجتمع قد جني عليهم ، وأنهم ضحية الجهل الجنسي.

وإننا ننصح الداعين إلى تعليم الجنس بالصورة السابقة ، وبالذات « دكاترة » المجلات الجنسية ، بأنهم سيقعون فيما وقع فيه « سيجموند فرويد » عندما عَمَّم حكم المرضى على الأصحاء . .

---

(١) الأخبار في ٣ من سبتمبر سنة ١٩٧٦ .

(٢) الـــــروم : ٣٠ .

نـــعـم . . هناك شباب عنده أمراض تتصل بالجنس ، وهي حالات فردية تُعالَج عند المختصين ، وليس بسبب هذه القلة أن يصبح شبابنا - عن بَكرةِ أبيه - مصاباً بالأمراض الجنسية . .

ولو أننا درسنا « التربية الجنسية » بالصورة المزعومة ، وَعَلّمناها التلاميذ والتلميذات ، فهل يستطيع أحد جهابذة الدعاة إلى الجنس وتعليمه أن يضمن لنا أن الفتى والفتاة لن تحدثهم أنفسهم بالتجربة ، ليكتشفوا سراً من الأسرار التي طالما شُحنت بها عقولهم ، وغُذّي بها خيالهم خاصة في هذا الجو الرهيب الذي كل شئ فيه يدعو إلى الجنس ، ويحضُّ عليه ، وييسر سُبل الوصول إليه . .

وقد أدركنا مما سلف ماذا كانت نتيجة البيئات المهيجة ، وكيف أن الأطفال قد أصبحوا يبلغون الحُلم قبل أوان البلوغ ، وذلك من شدة الطَرق الرهيب . . والمثيرات الجنونية والفضائح التي تملأ أسماع وأبصار وأفئدة الصغار والكبار .

فما بالكم لو أنه درس . . ؟ ! !

* * *

منهج الإسلام في التربية الجنسية

لم يترك الله - عز وجل - الإنسان يتخبط في أي شأن من شئون الحياة . . يستوي في ذلك الحقير فيها والجليل ، وكيف ذلك وهو الذي شمله بعنايته ورعايته ، منذ أن كان نطفة في ظلمات الرحم إلى أن يصير في ظلمات القبر ؟

﴿ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴾[1]

والعجيب حقاً - وأكثر ما نحن فيه يدعو إلى العجب - أنني قرأت طائفة من كتب علم النفس ، وركزت فيها على موضوع التربية الجنسية ، وانتظرت أن يشير أحد إلى أن توجيهات الإسلام - فيما يتصل بالجنس - كافية لكل ما يمكن أن يُلقَّن من معارف متكاملة متسلسلة في مراحل حياة الإنسان من الطفولة إلى الرجولة - فأرجع بغُصّة في حلقي اللّهم إلا القليل من وعاة الباحثين الذين يُدركون أن الإسلام ليس جملة من المواعظ تدعو إلى الأخلاق فحسب ، وإنما هو منهاج حياة كامل . .

وغالب ظني أن هؤلاء الذين لم يشيروا إلى منهج الإسلام - في التربية الجنسية - لم يقرأوا أصلاً في الإسلام ، وليس عندهم أية خلفيات عنه . . وهو جهل لا يُعذرون به ! !

إن الإسلام متمثلاً في الكتاب والسنة ، تَحدَّث عن أصل الإنسان وأطوار خلقه في بطن أمه فقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِـــينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ ﴾[2] .

---

(١) عبس : ١٩ - ٢١ .

(٢) المؤمنـــون : ١٢-١٤ .

وعن مواضع إفراز المني :

﴿ فَلْيَنْظُرِ الإنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾(١) .

وتحدَّث عن كل ما يحتاجه الإنسان من معارف في هذا السبيل ، وليس هناك داعٍ لأن نُكرر ما ذكرناه مبثوثاً بين صفحات هذا الكتاب . .

ومن الأدب الرفيع الذي ربَّى الله به المؤمنين ليُربُّوا به أبناءهم قوله تعالى :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ، مِنْ قَبْلِ صَلاَةِ الفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاَةِ العِشَاءِ ، ثَلاَثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ، طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنْكُمُ الحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(٢) .

ففي هاتين الآيتين أدَّب الله عز وجل المسلمين بآداب حكيمة ، وهو أنه لا بد للأطفال المميزين الذين لم يبلغوا الحُلُم أن يستأذنوا على أهليهم في هذه الأوقات الثلاثة ، لأنها مظنة رؤية العورات ، إذ هي أوقات الراحة ، وخلع الثياب أو تبديلها أو قضاء الحاجات بين الرجل وزوجته . .

فالعليم الخبير بخفايا النفوس يضع هذه الموانع والضوابط ، حتى لا نستلفت أفكار الأطفال ، ونشغلهم قبل الأوان بمثل هذه المعاني ، والطفل في هذه السن تنشط عنده غريزة حب الاستطلاع ، واكتشاف العالم من حوله ، وقد مَرَّ بنا كيف أن الأطفال يبلغون قبل الأوان نتيجة لمخالفة أدب الإسلام في التربية والتوجيه .

---

(١) الطارق : ٥ – ٧ .

(٢) النور : ٥٨ – ٥٩.

وعندما يبلغ الطفل الحُلُم ، لا يتركه الإسلام يتخبط في الأمور المتعلقة بالجنس ، والتي لا بد له من الإحاطة بها كواقع يعيش في النفس البشرية وتعيش فيه ، فالطفل قبل البلوغ يتعلم [1] نواقض الوضوء ، ويتعلم - كتهيئة لمرحلة البلوغ - أن البلوغ هو مناط التكليف ، والمؤاخذة من الله وتحمُّل المسئولية . . مسئولية الإنسان نحو نفسه ومجتمعه ، ويتعلم أن الاحتلام من مُوجبات الغُسل ، والاحتلام أمر طبيعي يحدث للرجل والمرأة على السواء ، وهو ليس خطيئة ولا جريمة تترك مخلفاتها في نفس الفتى أو الفتاة ، وتتعلم الفتاة أن انتهاء الحيض من مُوجبات الغُسل ، وأنه علامة على اكتمال الأنوثة وتحمُّل المسئولية . وليس سبباً في تكوين العُقَد النفسية أو المُخَلَّفات الوهمية كما يَدَّعي المروِّجون لتعليم الجنس . .

ونجد النبي ﷺ يُلقِّن هذه المعلومات التي لا بد من معرفتها لسلامة الدنيا والآخرة - يلقنها دون تحرج أو تعقيد . .

روى أبو داود : « أن أم سليم الأنصارية أُم أنس بن مالك قالت : يارسول الله ، إن الله لا يستحي من الحق ، أرأيت المرأة إذا رأت في المنام ما يري الرجل أتغتسل أم لا ؟ قالت عائشة : فقال النبي ﷺ : « فلتغتسل إذا وجدت الماء » ، قالت عائشة : فأقبلت عليها فقلت : أُفٍ لك : وهل ترى ذلك المرأة ؟! فأقبل عليَّ رسول الله ﷺ فقال : « تربت يمينك ياعائشة ، ومن أين يكون الشبه » ؟!

وهكذا كان رسول الله ﷺ يُسأل ويجيب دون حرج منه أو من السائل أو السائلة في هذه الشئون حتى أن السيدة عائشة رضي الله عنها في حديث

---

(١) قال الإمام الشافعي والأصحاب : على الآباء والأمهات تعليم أولادهم الصغار ماسيتعين عليهم بعد البلوغ ، فيعلِّمه الولي الطهارة والصلاة والصوم ونحوها ، ويُعرِّفه تحريم الزنا واللواط والسرقة وشرب المسكر والكذب والغيبة ، ويُعرِّفه أنه بالبلوغ يدخل التكليف ويُعرِّفه ما يبلغ به . .

أسماء بنت يزيد عندما سألت النبي ﷺ عن الغسل وعن كيفية تَتَبُّع أثر دم المحيض بالتطهير - قالت السيدة عائشة : « نِعْمَ النساءُ نساءَ الأنصار ، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين » .

وإذا رجعنا إلى كتب الفقه الإسلامي ، وجدنا أن علماء الإسلام تحدثوا عن آداب المعاشرة الجنسية بين الرجل وزوجته وذكروا هَدى رسول الله ﷺ في هذه الأسرر وما ذكره العلماء في هذا المجال قد يملأ كتباً كاملة . . وعلى سبيل المثال : « يقول ابن قدامة في مختصره على منهاج القاصدين لجمال الدين بن الجوزي في معرض الحديث عن آداب معاشرة الزوجة :

« أن يداعبها ويمازحها ، وقد سابق عليه السلام عائشة رضي الله عنها ، وكان يداعب نساءه ﷺ وقال لجابر : « هلاّ بكراً تُلاعبها وتلاعبك » وأن يكون ذلك بقدر ، ولا يتبسط في الدعابة إلى أن تسقط هيبته بالكلية عند المرأة ، بل ينبغي عليه أن يقصد طريق الاقتصاد » . .

ويتحدث عن آداب الجماع مستمداً ذلك من الكتاب والسنة فيقول :

« يُستحب البداءة بالتسمية ، والانحراف عن القبلة ، وأن يتغطى هو وأهله بثوب . . وألا يكونا متجردين ، وأن يبدأ بالملاعبة والضم والتقبيل . . ومن العلماء من استحب الجماع يوم الجمعة ، ثم إذا قضى وطره فليتمهل لتقضي وطرها فإن إنزالها ربما تأخر . .

ومن الآداب أن تأتزر الحائض بإزار من حقويها إلى ما بين الركبة إذا أراد الاستمتاع بها ، ولا يجوز وطؤها في الحيض ولا في الدبُر » . .[1] .

وفي نفس الوقت الذي يتدرج الإسلام فيه في تنمية هذه المعارف الجنسية لدى المسلم ، فإنه يُربِّي فيه العفة والحياء ويدعوه إلى حفظ الفَرْج من أي انحراف ، وينبغي ألا يَغْرُب عن بالنا أن الإسلام يخطط لمجتمع نظيف خال تماماً من المثيرات والمهيجات . .

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ص ٧٤ .

ونخلص من ذلك إلى أن التربية الدينية هي الدائرة الوحيدة المأمونة التي يُلقّن في محيطها هذه المعلومات متدرجة مع المستوى العقلي والزمني للشاب المسلم ، وليس هناك ما يمنع من أن تتدخل العلوم الأُخرى كعامل مساعد في شرح الآيات ، وإلقاء الأضواء على الأمراض الجنسية التي يسببها الانحراف الجنسي ، ويراعى في ذلك الضوابط التي عرضناها في موضوع « دور المسجد في بناء الشباب » .

يقول « موريس بوكاي » الطبيب الفرنسي في كتابه « دراسة في الكتب المقدسة على ضوء المعارف الحديثة » :

« يعتقد عصرنا أنه قام بمكتشفات كثيرة في كل الميادين ، ويظن أنه قدّم جديداً فيما يتعلق بالتربية الجنسية ، وأن فتح أبواب الشباب لمعرفة مشكلات الحياة هو من مكتسبات العصر الحديث ، وأن القرون الماضية كانت تتميز ، فيما يخص هذا الموضوع بظلام دامس . . يقول الكثيرون إن الأديان دونما تحديد هي المسئولة عنه ، غير أن ما عرضنا - يشير إلى التناسل الإنساني في القرآن ومقارنته بالعلم - لهو دليل على، أنه منذ أربعة عشر قرناً تقريباً سبقت إلى معرفة الناس مسائل نظرية ، إذا جاز القول ، عن التناسل الإنساني، وذلك بقدر المستطاع ، حيث إنه لم تكن هناك معلومات تشريحية فسيولوجية تسمح بالإفاضة ، كان استخدام لغة بسيطة في متناول فهم مستمعي الرسالة ضرورياً حتى يمكن أن يفهموا ما يُقال » . .

ويقول : « لم تمر الرسالة على الجوانب العلمية مر الكرام ، بل إننا نجد في القرآن حشداً من التفاصيل عن الحياة العلمية وفيما يختص بالسلوك الذي يجب أن يتبعه الناس في عديد من ظروف حياتهم ، ولم يستبعد القرآن الحياة الجنسية . . هناك آيتان قرآنيتان تخصان العلاقة الجنسية ، ويذكر القرآن ذلك بألفاظ تربط بين الرغبة في الدقة والاحتشام اللازم . .

ويستطرد الباحث في الحديث عن قوله تعالى : ﴿ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ والتَّرَائِبِ ﴾[1] وكيف أن هذا التعبير أدق من التعبيرات الفرنسية والإنجليزية التي تريد أن تصل إلى هذا المعنى ، ثم يتحدث عن الحيض ، وأهداف العلاقة الجنسية من خلال قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىً . . . ﴾[2] .

وبعد أن استعرض المؤلف جوانب العظمة في منهج الإسلام في التربية الجنسية خلص إلى القول : « وبناء على كل هذا فالمقولات النظرية الخاصة بالتناسل والتوجيهات العلمية التي يصوغها القرآن فيما يختص بحياة الأزواج الجنسية ، نلاحظ أنه ليس هناك أية مقولة من المقولات التي سقناها أعلاه تتعارض مع معطيات المعارف الحديثة ، ولا مع ما يمكن أن يخرج منطقياً عنها » . .

ويقول الدكتور« صموئيل مغاريوس » في كتابه « المراهق المصري » في معرض حديثه عن مصادر المعلومات الجنسية عند الشباب (عن بحث ميداني) يقول : « وقد قرر طلاب المعاهد الدينية أنهم وجدوا الإجابة عن كثير من الأسئلة حول موضوعات الجنس في المناهج الدراسية المقررة عليهم ، وفي كتب الفقه التي تعالج موضوعات الإنزال والإيلاج ومتى يجب الغُسل ، والمسائل المتفرعة من هذه الأصول والحواشي » . .

إذن لن يستطيع أي منهج أن يعطينا في هذا المجال كما يعطينا الإسلام ، وكما يعطينا الله – عز وجل – الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى . .

وقبل أن نُنهي الحديث في هذا الموضوع الخطير نود أن نقول لأساتذة الطب النفسي الذين يجتمعون في مؤتمرات من أجل الصحة النفسية ، والذين دعوا

---

(1) الطارق : ٦ ، ٧ .

(2) البقرة : ٢٢٢ .

في واحد من مؤتمراتهم إلى نشر الثقافة الجنسية نقول لهم : كان يجدر بكم أن يكون من بين توصياتكم توجيه نداء إلى الحكومات المسلمة لتهذب وسائل الاعلام فيها لأنها - وأنتم أول من يعرف - أعملت معاول التخريب في النشء وقتلت فيه كل معاني التوافق النفسي والتكيف الاجتماعي . .

إنه بمثل ما نكتب وبمثل ما نُوصي لن يعالَج الفساد الجنسي ، فلنأت البيوت من أبوابها ، وقبل المطالبة بنشر الثقافة الجنسية نطالب بترفيع الجنس وتطهير المستنقعات التي تتسلل منها جراثيم الفساد لتقتل في الشباب روح العفة والسمو . .

المشكلة ليست في حاجة إلى مهدئات مؤقتة لو طالت معالجة المريض بها ستجعل الداء يسري في دمه ليورده موارد الهلاك . .

عالجوا هذه الأمراض التي أصابت الشعوب كبار وصغاراً . .

ارفعوا أصواتكم في وجوه الحكام المسلمين بأن يعودوا بمجتمعاتهم إلى فطرة الله التي فَطَر الناس عليها . . إلى الإسلام . . إلى تطبيق شريعة الله ، والعيش في ظلها الوارف . . فإن المجتمعات التي تتنكب طريق الله هي التي يفوح منها رائحة العَفن الجنسي ، أما المجتمعات المؤمنة ، فهي التي ينتشر شذى الطُهر في جنباتها . . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . .

* * *

على من تقع المسئولية ؟

وتسألني : على من تقع مسئولية الفساد في أي مجتمع ؟

أقول لك : إن المسئولية عن الفساد في أي مجتمع ، يشترك فيها الحُكّام والعلماء والشعوب ، و لن يفلت أحد من الثلاثة بأي عذر من الأعذار في يوم العرض على اللّة ..

فالحاكم هو السلطة التنفيذية التي تمتلك التغيير مهما تلاعبنا بالألفاظ ورفعنا الشعارات بعكس هذا المفهوم : « كلكم راع ومسئول عن رعيته » و يَزَع اللّة بالسلطان ما لا يَزَع بالقرآن ، وهذا مفهوم بديهي . .

والعلماء هم ورثة الأنبياء ، وهم الذين عليهم محاربة الفساد مهما كلّفهم ذلك إنطلاقاً من قوله تعالى : ﴿ الذِّينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ اللّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللّهَ ، وكَفَى باللّهِ حَسِيباً ﴾[1] .

﴿ إِنَّ الّذينَ يَكْتمُونَ مَا أَنْزَلْنَامِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ ﴾[2] .

والشعوب تُسأل أيضاً أمام اللّه هل أنكروا الفساد وغَيّروا أم عاشوا قطعاناً تسوقها عصا الحاكم . . وقد صوّر القرآن الكريم جملة من مشاهد يوم القيامة التي يتبرأ فيها الحكام الذين استكبروا من شعوبهم الذين استُضْعِفوا . .

وقد عقدنا هذا المبحث لنرد على المتشدقين من المتفلسفين والمتنطعين الذين ضلـــوا ويعملـــون على إضلال الجماهير المسلمة عن حقيقة دور الحاكم في إصلاح المجتمع ، فيقول أحدهم : إن المرأة عندما تلبس الملابس القصيرة ، فإن ذلك من صميم حريتها الشخصية ، وإن « التخنفس » و « التهييز » والتحـلي بالعقـــود

---

(١) الأحـــــزاب : ٣٩ .

(١) البقـــــرة : ١٥٩ .

والسلاسل هو من صميم التفكير الحر للشباب ، وليس لأحد أن يحجر عليه فيه.

والإسلام يجيب هؤلاء جميعاً بأن الحاكم هو المسئول الأول عن الانحراف المعلن سواء أكان حقيراً أم عظيماً من أي لون كان . .

أُتي رسول الله ﷺ بمخنث قد خَضَّبَ يديه ورجليه بالحناء ، فقال رسول الله ﷺ : « ما بال هذا » ؟ قالوا : يتشبه بالنساء . . فأمر به فُنفي إلى النقيع . . فقالوا : يارسول الله ، ألا نقتله ؟ فقال ﷺ : « إني نُهيت عن قتل المصلين » [1] .

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال : « لعن رسول الله ﷺ المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء ، وقال : « أخرجوهم من بيوتكم » ، فأخرج رسول الله ﷺ فلانة ، وأخرج عمر فلاناً »[2] .

وقد جعل الإسلام للحاكم « عقوبة التعزير » . . وهي عقوبة لم يعين فيها الشارع حداً أو عقوبة معينة ، وجعلها مُفوَّضة إلى رأي الحاكم ، فله أن يُعَزِّر مرتكب المعصية بما يراه ، وبما يتفق مع روح العصر من أنواع العقوبات حتى يستطيع صيانة المجتمع من عبث العابثين . .

وقد ثبت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يُعَزِّر ويؤدب بحلق الرأس ، والنفي ، والضرب ، كما كان يحرق حوانيت الخمارين ، وحرق باب قصر سعد بن أبي وقاص بالكوفة ، لما احتجب فيه عن الرعية ، وقد اتخذ داراً للسجن ، وضرب النائحة حتى بدا شعرها ، ورأى رجلاً يضع الأحمال الثقيلة فوق جمله فضربه قائلاً له : « حمَّلت جملك ما لا يُطيق » . . .

وسأسوق هذه القصة ليتبين شبابنا مدى حرص الإسلام على محاصرة الفساد والفتن والتي يمكن أن يؤدي تركها والتساهل في أمرها إلى تلويث البيئة المؤمنة ونشر الأمراض الخُلُقية في المجتمع المسلم .

(١) رواه أبو داود - النقيع غير البقيع .　　(٢) رواه البخاري والترمذي وأبو داود .

يذكر ابن الجوزي بسنده في كتابه « ذم الهوى » أنه بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف ذات ليلة في سكك المدينة ، إذ سمع امرأة وهي تهتف في خدرها وتقول :

هل من سبيل إلى خمر فأشربها — أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج
إلى فتى ماجد الأعراق مقتبل — سهل المُحيَّا كريم غير ملجاج

فقال عمر : لا أرى معي في المصر رجلاً تهتف به العواتق في خدورهن . . عليَّ بنصر بن حجاج . فأتى به ، وإذا هو أحسن الناس وجهاً وأحسنهم شعراً ، فقال : عليَّ بالحجام ، فَجَز شعره فخرجت له وجنتان كأنهما شقتا قمر ، فقال : اعتم ، فاعتم ، فأفتن الناس ، فقال عمر : والله لا تساكنني بلداً أنا فيه . فقال: ولم ذاك ياأمير المؤمنين ؟ قال : هو ما قلت لك . . فسيَّره إلى البصرة .

وخشيت المرأة التي سمع منها عمر ما سمع أن يبدر إليها بشيء ، فدسّت إليه أبياتاً تقول فيها :

قل للإمام الذي تُخشى بوادره — ما لي وللخمر أو نصر بن حجاج
إني غنيت أبا حفص بغيرهما — شرب الحليب وطرف فاتر ساج
إن الهوى زمّه التقوى فقيّده — حتى أَقِرُّ بإلجام وإسراج
لا تجعل الظن حقاً أو تبينة — إن السبيل سبيل الخائف الراجي

قال : فبعث إليها عمر : قد بلغني عنك خير ، وإني لم أُخرجه من أجلك ولكنه بلغني أنه كان يدخل على النساء ، ولست آمنهن . وبكى عمر وقال : الحمد لله الذي قيَّد الهوى حتى أقر بإلجام وإسراج !!

ثم إن عمر كتب إلى عامله بالبصرة كتباً ، فمكث الرسول عنده أياماً ، ثم نادى مناديه : ألا إن بريد المسلمين يريد أن يخرج ، فمن كانت له حاجة فليكتب، فكتب نصر بن حجاج كتاباً ودسَّه في الكتب : بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عمر أمير المؤمنين ، سلام عليك ، أما بعد ياأمير المؤمنين :

أإن غنّت الذلفاء يوماً بمنية	وبعض أماني النساء غرام
ظننتَ بي الظن الذي ليس بعده	بقاء فما لي في النَدِّيِّ كلام
ويمنعني مما تظن تكرمي	وآباء صدق سالفون كرام
ويمنعها مما تظن صلاتها	وحال لها في قومها وصيام
فهذان حالان ، فهل أنت راجعي	فقد جب مني كاهل وسنام

فقال عمر لما قرأ الكتاب : أما ولي سلطان فلا . . فما رجع المدينة إلا بعد وفاة عمر [(١)] .

وهكذا . . فالحاكم مسئول أمام الله عز وجل عن سد ذرائع الانحراف ، وإيصاد الطرق الموصلة إليه ، فضلاً عن محاربته بكل السُبل طالما تستطيع يده أن تمتد بالتغيير والإصلاح وهي قادرة : « كلكم راع ومسئول عن رعيته » .

ومن ذلك يتبين لنا أنه لا أساس في الإسلام لشئ اسمه الفوضى والفساد تحت شعار الحرية الشخصية التي تُمَكِّنُ المستهترين من نشر الوباء الخُلُقي تحت هذه المفاهيم المُزَيَّفَة والشعارات المُضَلِّلة . . وما شرع الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا للضرب على أيدي هؤلاء العابثين الذين يريدون إغراق السفينة التي تقل المجتمع باسم « الحرية الشخصية » .

﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[(٢)] .

* * *

---

(١) ذم الهوى ص ١٢٤ .

(٢) النور : ٦٣ .

الشباب المسلم بين تيارات الفتن

الدور الذي يلعبه الشباب المسلم في كل المجتمعــات الإسلاميــة – على مـر العصور – هو نفس الدور الرائد الذي قام به الشباب من صحابة رسول الله ﷺ في حمل هذه الرسالة حتى دانت لهم مشارق الأرض ومغاربها . .

ومن سمات المجتمع المسلم أن لكل فرد فيه دوراً إيجابياً فعالاً . . هذا الدور هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . .

وهذه الإيجابية التي هي من صميم الإسلام إذا أهملت في مجتمع ، فعلا فيه نباح المنكر ، وصمتت فيه ألسنة الحق نزلت اللعنة من السماء لا تُفَرِّق بين صالح وطالح .

﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً ، وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1] .

وإبرازاً لهذا المعنى ولهذا الدور الذي يُوجبه الإسلام على كل مسلم ، يُصَوِّر رسول الله ﷺ المجتمع المسلم بالسفينة التي لو تُرك للحمقى والسفهاء حرية العبث بها لابتلعتها الأمواج بمن فيها وما فيها . . فيقول ﷺ : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استَهَمُوا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها . . فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مَرُّوا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا ؟ فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً »[2] .

وشبـــابنا عندما يقـــوم بهذا الدور سيجد الطريق وعراً وشاقاً مليئاً بالأشـواك

---

(١) الأنفال : ٢٥ .

(٢) أخرجه البخـــاري والترمذي .

والصخور المدمية ، وسيرون الحياة تسودها شريعة الغاب ، فالقوي يدوس الضعيف ، والغني يحاول إذلال الفقير ، والدول الكبرى تحاول احتواء الدول الصغرى أو ابتلاعها ، والنفاق والرياء والتملق هو العملة الرائجة ، والحصول على الأموال هو الهَمُّ المُقْعِدُ المقيم ، وهكذا سيجدون المفاهيم منقلبة والأوضاع منكسة ، والمجتمعات تمشي مُكبَّةً على وجهها بدلاً من أن تمشي على صراط مستقيم . .

وسيسمع شبابنا أن بعض الحكام يحاولون أن ينطحوا جبل الإسلام الشامخ بقرونهم الواهية ، فهذا طاغوت يقول : إن الصيام يُعَطِّل الإنتاج ، وحاكم مراهق يلغي السنة ولا يعترف بها ، ولم يقرأ قوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾(١) .

وثالث متعالم يقول عن الدين بأنه فلسفة ، وينادي بفصل الدين عن الدولة . . الى آخره ، وأعظم هؤلاء فقهاً في الدين لا يعرف نواقض الوضوء ، ومجمل ثقافتهم فيه لا تساوي الثقافة الدينية لطالب في الصفوف المتوسطة وذلك على أحسن تقدير ، « والحكم على الشئ فرع عن تصوره » .

سيجد شبابنا أن بعض الزعامات تضحك على شعوبها بادعاء الإسلام وتضلل هذه الشعوب المسكينة من خلال أبواق دعايتها . .

﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ، وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ * وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ، بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(٢) .

---

(١) الحشر : ٧ .

(٢) النور : ٤٧ - ٥١ .

وهؤلاء لا يملكون من الشجاعة أن يعلنوا عن حقيقتهم أمام شعوبهم وإلا لسُحب بساط الحكم من تحت أقدامهم ، كما تتهاوى الأنظمة العلمانية التي فرضت نفسها قسراً على بلاد المسلمين . .

نعم . . سيرى شبابنا نفسه غريباً بين هذه التيارات التي تحاول مسخه واحتراءه . . ولكنها غُربة الإسلام ، وغُربة الطائفة الثابتة على الحق التي عناها الرسول ﷺ بقوله :« لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك »[1] .

« بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء » قيل : ومن هم يارسول الله ؟ . . قال : « الذين يصلحون إذا فسد الناس » .

وفي رواية ثانية : « الذين يفرون بدينهم من الفتن » .

وفي رواية ثالثة : « الذين يُصلحون ما أفسد الناس من سنتي » .

وفي رواية رابعة قال : « قوم قليل في ناس سوء كثير ، ومن يعصيهم أكثر ممن يطيعهم »[2] .

« قوم قليل في ناس سوء كثير » وهذه القلة هي التي نصر الله بها هذا الدين . . هذه القلة لا تدخل في حسابها لغة الأرقام . .

﴿ ومَنْ آمَنَ ، وَمَا آمَنَ مَعَهُ إلاَّ قَليلٌ ﴾[3]

﴿ وقَليلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾[4] .

﴿ إلاَّ الَّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَات وَقَليلٌ مَا هُمْ ﴾[5] .

﴿ بَلْ كَانُوا لاَ يَفْقَهُونَ إلاَّ قَليلاً ﴾[6] .

هذه هي القلة المؤمنة . .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم والترمذي .

(٣) هود : ٤٠ .

(٤) سبأ : ١٣ .

(٥) سورة ص : ٢٤ .

(٦) الفتح : ١٥ .

﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[1] .

وهذه هي الكثرة الضالة المضلة التي تشبه غثاء السيل . .

فالشاب المسلم عندما يدعو إلى الله عن عقيدة ، قد يكون أمة في شخص أو جماعة في واحد . .

وَلَرُبَّ فردٌ في الكريهة واحـدٌ بالصدقِ والإيمانِ يَعْـدِلُ عسكرا

« وليس الشجاعة أن تقول كل ما تعتقده فقط ، بـل الشجاعة أن تعتقد كل ما تقول » . والإيمان ليس بالتمني ، وليس برفع الشعارات ، ولكن ما وَقَرَ في القلب وصدّقه العمل . .

الإيمان الذي جعل سيد المرسلين ﷺ يرسلها قوية مدوية : « يا عـم . . والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله ، أو أهلك فيه ، ما تركته » .

الإيمان الذي جعل أبا الأنبياء ابراهيم عليه السلام يصبر على الإلقاء في النار فتكون العاقبة : ﴿ قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَىَ إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ ﴾[2] .

الإيمان الذي جعل إسماعيل يصبر على الذبح إمتثالاً لأوامر الله فيكون الجزاء ﴿ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ، إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاَءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيهِ فِي الآخِرِينَ * سَلاَمٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾[3] .

---

(١) الأنعـام : ١١٦ .
(٢) الأنبيـاء : ٦٩ - ٧٠ .
(٣) الصافـات : ١٠٤ - ١٠٩ .

الإيمان الذي جعل يوسف عليه السلام يُفَضِّل السجن على المُتعة والجمال والفراش الوثير ، فكانت نهاية المطاف : ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ ، يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ، نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ ، وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾[١] .

الإيمان الذي جعل سحرة فرعون يهزأون من وعيد طاغية مصر لهم بتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، وأطلقوها من قلوبهم : ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ، فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ، إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ، وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾[٢]

الإيمان الذي جعل فتية الكهف يتمردون على عبادة الطاغوت ، ولم يرضوا لأنفسهم أن يصبحوا أفراداً في قطيع ضال يهتف ويسبح باسمه ، فَفَضَّلوا – بعد أن انكشف أمرهم – الفرار بدينهم والانزواء به في كهف خشن يستروحون فيه رحمة الرحمن . .

الإيمان الذي جعل صبياً صغير السن كبير الإيمان يقوم بعمل فدائي ليكون إعلاماً للدين الحق ، فتكون قصة أصحاب الأُخدود . .

ويصف لك ابن القيم وعورة الطريق حتى تُوَطِّن نفسك على سلوكه بزاد الإيمان واليقين فيقول : « يامُخَنَّث العزم أين أنت والطريق ؟ ؟ . . طريق تعب فيه آدم، وناح لأجله نوح ، ورُمي في النار الخليل ، وأُضجع للذبح إسماعيل ، وبِيْعَ يوسف بثمن بخس ولبث في السجن بضع سنين ، ونُشر بالمنشار زكريا ، وذُبِحَ السيد الحَصُور يَحيى ، وقاسى الضُرَّ أيوب ، وزاد على المقدار بكاء داود ، وسار مع الوحش عيسى ، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد ﷺ »[٣]

هذا هو الإيمان الذي ربَّى الشباب . .

---

(١) يوسف : ٥٦ ، ٥٧ . (١) طه : ٧٢ ، ٧٣

(٣) الفوائد – لابن القيم ص ٥٦ .

وإننا نريد شبابنا من هذا الطراز الفَذ العملاق . .

نريد من شبابنا أن ينتشروا مبشرين بهذا الدين العظيم . . نعرض إسلامنا على الناس على أنه سفينة النجاة التي ستنقذ البشرية الضالة الحائرة ، وتوصلها إلى شاطئ الأمان . . نُعلّم الناس أن جميع الهزائم التي ابْتُلِيَ بها المسلمون كانت في غيبة الإسلام عن مسرح الحياة . .

وهذا لن يكون إلا بعرض الإسلام حياً مترجماً في سلوكنا نحن الشباب ، فذلك أعظم دعاية للإسلام . .

وما أحرانا أن نُلقي السمع إلى شيخنا أبي الأعلى المودودي ، وهو يضع لنا المعالم على طريق الدعوة إلىٰ الله ، فيقول ملخصاً الأمور التي يجب على الشباب الأخذ بها للقيام بعمل جدي للإسلام في ظروفه الحاضرة :

« أولاً : لا بد لكم ، قبل كل شئ من معرفة دقيقة بحقيقة الإسلام ، لتكونوا مسلمين علماً وتفكيراً كما أنتم مسلمون قلباً وعاطفة ، ولتكونوا على قسط كبير من القدرة الكافية والكفاءة اللازمة لتسيير الشئون الاجتماعية في العصر الحاضر وفقاً لأحكام الإسلام ومصالحه وقواعده .

ثانياً : عليكم أن تبادروا إلى تقويم ما اعْوَجَ ، وإصلاح ما فسد من أخلاقكم وعاداتكم حتى تشهدوا بذلك شهادة عملية للإسلام الذي شهدتموه من قبل شهادة قولية ، ولتعلموا بأن التناقض في قول الإنسان وعمله يزرع بذور النفاق في القلوب ويُزيل ثقة الناس به . . وأن نجاحكم ليتوقف على الإخلاص في النية ، والصدق في العزيمة ، وعلى أن توافق أعمالكم أقوالكم . . إن الرجل الذي يقول ما لا يفعل يضر بدعوته أكبر ضرر .

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَالاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ ﴾[1]

---

(١) الصف : ٢ ، ٣ .

ثالثاً : ألا تدخروا جهداً في بذل كل ما تستطيعون من قوة فكرية وعملية أودعها الله إياكم في سبيل الدعوة بالكتابة والخطابة ، وأن تقوموا بدراسة أسس الحضارة الغربية وانتقادها وتمييز خبيثها من طيبها ، حتى تحرروا بذلك عقول المسلمين وقلوبهم من التبعية للغرب ، وحتى تحطموا أصنام النظريات الغربية التى استحوذت على قلوب جماعة من المسلمين من زمن طويل .

هـــــذا فـــــي جـــانـب ، وفي الجانب الآخر عليكم أن تقوموا بتدوين وعرض قوانين الإسلام للحياة الإنسانية ، بطريقة علمية ترغم الجيل الجديد على الاعتقاد بصحة هذه القوانين وتقنعه بأن نظام الإسلام من شأنه أنه إذا أخذ به شعب من شعوب العالم لا يتقدم فحسب ، بل يسبق الآخرين في كل ناحية من نواحي الحياة . إن هذا العمل بقدر ما يتسع نطاقه ويتجه إلى خطوط مستقيمة يزداد عدد العاملين للدعوة الإسلامية وأنصارها والمتأثرين بها في كل شعبة من شعب الحياة . . ولابد من إطالة هذا العمل لمدة غير يسيرة حتى يأتي على الدعوة يوم ينضوي تحت لوائها مجموعة كبيرة من المؤمنين بها ، الذين تحتاج إليهم لِتُشَيد صرح البلاد على دعائم النظام الإسلامي . . ومن العبث أن نتوقع انقلاباً إسلامياً شاملاً قبل أن تسبقه عملية الإعداد والتحضير ، وإذا حصل هذا ، بطريقة صناعية وبدون إعداد كامل فـلـن يدوم ولن تتأصــل له في الأرض جذور . .

رابعاً : أن تضموا إلى أسرتكم كل من يتأثر بدعوتكم الإسلامية وتُكَوِّنوا منهم جماعة قوية ذات نظام متين ودستور مُحكم حتى لا يمكن للضعف والخور أن يأخذا إلى صفوفها سبيلاً ، إن مجرد تكوين جماعة من الناس الذين أبدوا اتفاقهم على مبدأ معين دون تنظيم دقيق مُحكم يقوم أمره على السمع والطاعة عمل مبتور لا يُجدي بشئ ، هذا ما تؤكده التجارب الماضية - ولا ينبئكم مثل خبير . .

خامساً : عليكم أن تهتموا كذلك بنشر الدعوة بين صفوف العوام حتى تُبَدِّدوا ظلام جهلهم ، وتجعلوهم على بَيِّنة من أمر دينهم ، وحتى يتبين لهم الخبيث من الطيب . . كما يجب عليكم أن تهتموا بإصلاح أخلاقهم ورفع مستوى تفكيرهم ووعيهم الإسلامي ليقفوا سداً منيعاً في وجه السيل العارم من الإلحاد والفسوق الذي ينتشر بسرعة في البلاد الإسلامية بمساعدة وتشجيع من حكوماتها الفاسدة . . وذلك لأن الشعوب التي ألهتها شهواتها وملذاتها لا يمكنها أن تكون أرضاً طيبة لأن تقوم فيها دولة إسلامية ، ولأنه بقدر ما تفشو الميوعة وتنتشر الخلاعة بين عامة الناس يصبح من المستحيل إقامة نظام إسلامي فيهم . وإن الكذابين والخونة والفسقة والفجرة بقدر ما يصلحون لنظام كافر لا يصلحون لنظام إسلامي.

سادساً : لا تحاولوا إقامة نظام إسلامي على أُسس غير سليمة . وعلى دعائم ضعيفة وقواعد متزلزلة ، بل يجب عليكم الصبر في هذا الشأن لأن الأهداف التي نريد تحقيقها إنما هي أهداف ضخمة كبيرة تهدف إلى تصحيح القيم الإنسانية في أفهام الناس ، وإلى إعادتهم إلى حظيرة الإسلام بعد الردة التي هُم عليها منذ زمان طويل ، ومثل هذا العمل الجليل يحتاج إلى مثابرة ومصابرة وإلى تفكير عميق ، كما أنه يجب عليكم أن تخطوا كل خطوة بحساب وبحكمة وتبصر ، ولا تخطوا خطوة جديدة إلا بعد أن تراجعوا نتائج خطوتكم السابقة وتدرسوا ثمارها : هل هي سارت في الطريق المرسوم ، وهل جاءتكم بالنتائج المرجوة ؟؟ ومن المشاهد المسلم بها أن الاستعجال أمر غير مأمون العاقبة . فاشتراكنا مثلا - في وزارة غير صحيحة وغير مؤمنة بمبادئنا - على رجاء أن مشاركتنا فيها خطوة تقربنا إلى غاياتنا لأمر خاطئ ، لأن التجارب العملية تؤكد بأن مثل هذا العمل لا يُجني منه الثمار الطيبة ، إذ أن الذين يسيطرون على الحكم هم الذين يتولون رسم سياستها الداخلية والخارجية ويقومون بتنفيذها حسب ما توحي مصالحهم وأهواؤهم . وأما الذين يشاركونهم بُغية تحقيق الأهداف النبيلة التي يضعونها نصب أعينهم ، لا بد لهم من مسايرتهم ، ومعنى

ذلك أنهم يصبحون آخر الأمر أبواقاً لهم وآلة في أيديهم يفعلون بهم ما يشاءون، ويستغلونهم كما يريدون . .

أيها الإخوة الكرام . . وأوَدُّ أن أُوجه إليكم نصيحة ، في الختام ، وهي : ألاّ تقوموا بعمل جمعيات سرية لتحقيق الأهداف ، وأن تتحاشوا استخدام العنف والسلاح لتغيير الأوضاع ، لأن هذا الطريق أيضاً نوع من الاستعجال ، الذي لا يُجدي بشئ ، ومحاولة للوصول إلى الغاية بأقصر طريق . إن هذا الطريق أسوأ عاقبة وأكثر ضرراً من كل صورة أخرى . وإن الانقلاب الصحيح السليم قد حصل في الماضي - وسيحصل كذلك في المستقبل - بعمل علني واضح وضوح الشمس في رابعة النهار . فعليكم أن تنشروا دعوتكم علناً ، وتقوموا بإصلاح قلوب الناس وعقولهم بأوسع نطاق ، وتُسَخِّروا الناس لغاياتكم المثلى بسلاح من الْخُلُق العذب والشمائل الكريمة والسلوك الحسن والموعظة الحسنة والحكمة البالغـة ، وأن تواجهوا كل ما يقابلكم من المحن والشدائد مواجهة الأبطال . هذا هو الطريق الذي سيمكننا من عمل انقلاب عميق الجذور، راسخ الأسس قوي الدعائم كبيرالنفع في حق هذه الأمة المسكينة ، ومثل هذا الانقلاب لا يمكن لأي قوة معادية أن تقف في وجهه ، وأقول : إن هـذه الأمـة لا يصلح آخرها إلا بما صلح به أولها . .

أما إذا استعجلتم في الأمر وقمتم بعمل الانقلاب بوسائل العنف ، ثم نجحتم في هذا الشأن إلى حد ما ، فسيكون مثله كمثل الهواء الذي دخل من الباب ليخرج من النافذة . .

هذه هي النصيحة التي أحببت توجيهها لكل من يقوم بأمر الدعوة الإسلامية وإن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد . .

وأقول كما قال الشاعر :

فـدت نفسـي وما ملكت يميني فوارس صدقوا فيهم ظنوني »[1] .

* * *

---

(١) واجب الشباب المسلم اليوم - للشيخ أبي الأعلى المودودي .

من فتاوي الشباب

وهذه أسئلة يكثر توجيهها من الشباب المسلم ، سنجيب عنها - إن شاء الله على هَدى من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

● السؤال : ما حقيقة الاحتلام ؟

- الجواب : الاحتلام عند الرجل ، والحيض عند المرأة هما دليلا النضج الجنسي وهما مناطا التكليف الشرعي ، والاحتلام ظاهرة صحية يقوم بها الجسم للتخلص من فائض الخلايا التناسلية المختزنة عند الرجل ، وحدوثه يكون لا إرادياً ، وينبغي على الشاب المسلم ألا يفزع من ذلك ، وألا يشعر بالإثم أو الذنب إذا حدث له شيء من هذا ، فإن مما علّمه لنا نبينا ﷺ أن القلم رُفع عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبي حتى يبلغ ، وعن المجنون حتى يُفيق .. والاحتلام يكثر عادةً عند الشباب المتعفف في فترة المراهقة ، وكمحاولة للإقلال منه ينبغي على الشاب ألا يُشغل تفكيره قبل النوم بالأمور الجنسية ، وأن يتعود على قضاء حاجته قبل النوم ، لأن امتلاء المثانة والأمعاء بمخلفات الجسم ، يضغط على الحويصلات المنوية فيثيرها ، فيترتب على ذلك كثرة الاحتلام ..

● السؤال : ما الفرق بين المَنيّ ، والمَذْي ، والوَدْي ؟ وما الذي يجب في خروجه غُسل الجنابة ؟

- الجواب : المَنيّ : هو الماء الغليظ الدافق ، الذي يخرج عند اشتداد الشهوة .. وحكمه : الطهارة ، ويستحب غَسله إن كان رطباً ، وفركه إن كان يابساً ، ومن خصائصه أنه يتفاعل مع الهواء ، ولذا يُستحب الإسراع في غَسله بالماء البارد حتى لا يترك آثاراً على الثياب ، ويجب في خروجه الغُسل إذا خرج على الصفة المذكورة في تعريفه ..

المَذْي : هو ماء أبيض لزج يخرج عند التفكير الجنسي أو المداعبة ، وهو

نجس ، فإذا أصاب البدن ، وجب غَسله ، وإذا أصاب الثوب اكتُفي فيه بتعميم موضعه بالماء .. ولا يجب فيه الغُسل بل يَغسل ذكره وأُنثيبه ويتوضأ ..

الوَدْي : ماء أبيض يخرج – عادةً – بعد البول ، وهو نجس أيضاً ، ولا يجب في خروجه الغُسل ، بل يَغسل ذكره وأُنثيبه ويتوضأ وضوءه للصلاة كالمعتاد ..

● السؤال : ما الحكم إذا خرج المَنِيّ على سبيل المرض : بدون شعور بالشهوة أو خرج المَنِيّ من الشاب عقب التبول ؟

– الجواب : إذا خرج المَنِيّ على الصفة المبينة في السؤال ، فلا يجب في خروجه الغُسل ، ويحسن بنا أن نذكر إجابة حَبْرُ الأمة « عبد الله بن عباس » عن هذا السؤال .. قال مجاهد : « بينما نحن – أصحاب ابن عباس حَلَقٌ في المسجد – طاوس ، وسعيد بن جبير ، وعِكرمة – وابن عباس قائم يصلي إذ وقف علينا رجل فقال : هل من مُفْتٍ ؟ فقلنا : سَلْ ، فقال : إني كلما بُلْتُ تبعه الماء الدافق ؟ قلنا : الذي يكون منه الولد ؟ قال : نعم ، قلنا عليك الغُسل ، قال : فَوَلّىَ الرجل وهو يُرَجِعْ – أي يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون – قال : وعجُل ابن عباس في صلاته ، ثم قال لعكرمة : عليَّ بالرجل ، وأقبل علينا فقال : أرأيتم ماأفتيتم به هذا الرجل ، عن كتاب الله ؟ قلنا : لا . قال: فعن رسول الله ﷺ ؟ قلنا : لا. فعن أصحاب رسول الله ﷺ ؟ قلنا : لا . قال : فعمه ؟ قلنا : عن رأينا . قال : فلذلك قال رسول الله ﷺ : « فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد » . قال : وجاء الرجل فأقبل عليه ابن عباس فقال : أرأيت إذا كان ذلك منك ، أتجد شهوة في قُبُلكَ ؟ قال : لا ، قال : فهل تجد خَدْراً في جسدك ؟ قال : لا . قال : إنما هي أبردة ، يجزيك منها الوضوء».

● السؤال : ما الحكم إذا احتلم الشاب ولم يجد أثراً للمَنِيّ في ثيابه ؟

– الجواب : لا غُسل عليه إلا إذا مشى فخرج منه المَنِيّ ..

● السؤال : ما الحكم إذا رأى مَنِياً في ثوبه ولم يذكر احتلاماً ؟

– الجواب : وجب عليه الغُسل .. قالت السيدة عائشة رضي الله عنها :

سُئل رسول الله ﷺ عن الرجل يجد البلل ، ولا يذكر احتلاماً ؟ قال : « يغتسل »..وعن الرجل يرى أنه قد احتلم ، ولا يجد بللاً ، فقال : « لا غُسل عليه »[1] .

● السؤال : إذا اجتمع شيئان يوجبان الغسل - كالحيض والجنابة ، أو الجنابة والجمعة - فهل يُجزىء عنهما غسل واحد ؟

- الجواب : نعم يجزئ عن الموجبين للغُسل ، غُسل واحد ، إذا نوى الكل ، وكذلك إذا كان جُنُباً واغتسل ولم يتوضأ أجزأه ذلك عن الغُسل والوضوء . إذا نواهما على أن يبدأ في الغُسل بالقُبُل والدُبُر حتى لا ينتقض وضوءه بمس عورته في أثناء الغُسل وذلك بخلاف ما إذا كان يغتسل للتنظيف أو التبرد ، فيجب عليه في هذه الحالة أن يتوضأ وضوءاً كاملاً .. مرتباً .

● السؤال : ما صفة الغُسل الواجب ؟ [2] .

- الجواب : هناك ركنان لا يتم الغُسل الواجب إلا بهما: الركن الأول تقديم النية ، والركن الثاني تعميم الجسد بالماء ، فيجب على المغتسل أن يُوصل الماء إلى جميع البشرة بعد إزالة النجاسة ، وإزالة ما يمنع من وصول الماء إلى البشرة كعجين ، وشمع ، وعُماص في عينيه ، و « طلاء أظافر » ، وعليه أن يتعهد إبطيه ، وطبقات بطنه ، وداخل سُرَّته ، وأثر جُرح غائر ، ولايتكلف إدخال الماء في جُرحه بأنبوبة مثلاً ، وعليه أيضاً غَسل الشعر ظاهراً وباطناً حتى يصل الماء إلى ظاهر الجلد ، وإذا كان على الرأس المرأة طِيب يمنع من وصول الماء إلى جذور الشعر وجب عليها أن تُزيله ، وإن كان شعرها مضفوراً وكان الماء يصل إلى أصل الشعر وهومضفور فلا يجب عليها نقضه . وإذا كان المغتسل متحلياً بخاتم وجب عليه تحريكه ليصل الماء إلى ما تحته [3] . ولا بأس من تأخير غسل الرجلين إلى نهاية الغسل .

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجه .

(٢) اقتصرنا هنا على ما يجب مراعاته في الغُسل ، وأما السنن المتعلقة به فيرجع فيها إلى كتب الفقه .

(٣) ثبت بالأدلة القاطعة حُرمة تحلي الرجال بالذهب .

● السؤال : هل يجب على الحائض قضاء صلاتها ؟

- الجواب : الحائض تقضي الصيام ولا تقضي الصلاة ، ولكنها إذا حاضت في أول وقت الصلاة أو في آخر الوقت ، ولم تكن صلت تلك الصلاة سقطت عنها .. وإن طهرت في آخر وقت الصلاة بمقدار يتسع للغُسل تلزمها تلك الصلاة وإلا فلا تلزمها تلك الصلاة ولا قضاؤها .

* * *

ومسك ختامنا هذه البشرى التي يسوقها إلى الشباب سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه عن البشير النذير ..

عن أبي هريرة رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « سبعة يُظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : الإمام العادل .. وشاب نشأ في عبادة الله عَزّ وجَلّ .. ورجل قلبه مُعَلّقٌ في المساجد .. ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه .. ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله .. ورجل تَصَدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه .. ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه .. » (متفق عليه) .

وَصلّ اللّهم على سيدنا محمد إمام المتقين ، وقائد الغرّ المُحَجّلين ، وشفيع المذنبين - ما كرّ الجديدان ، وما لاح النيّرَانِ ، وعلى آله وصحبه و سلم ..

وآخر دعوانا : أن الحمدُ للهِ ربِّ العالمين ..

* * *

ثبت بالمراجع العربية

١ - القرآن الكريم .
٢ - صحيح البخاري ، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري .
٣ - صحيح مسلم ، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري .
٤ - الجامع للترمذي ، للإمام محمد بن عيسى الترمذي .
٥ - سنن أبي داود ، للإمام أبي داود السجستاني .
٦ - سنن النسائي ، للإمام أحمد بن شعيب بن علي النسائي .
٧ - سنن ابن ماجه ، للإمام محمد بن يزيد بن ماجه القزويني .
٨ - الموطأ ، للإمام مالك بن أنس بن مالك الأصبحي .
٩ - المسند ، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني .
١٠ - السيرة الحلبية ، لعلي بن برهان الدين الحلبي الشافعي .
١١ - إحياء علوم الدين ، للإمام أبي حامد الغزالي .
١٢ - أخبار النساء ، للإمام ابن قيم الجوزية .
١٣ - الإنسان ذلك المجهول ، الكسيس كاريل .
١٤ - ادفعي زوجك الي النجاح ، دوروثي كارنيجي .
١٥ - تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه ، دكتور عبد الحليم منتصر .
١٦ - تاريخ العرب العام ، هـ . أ ، ترجمة عادل زعيتر .
١٧ - تعدد الزوجات لا تعدد العشيقات ، د . عبد الحليم عويس ، ومصطفي مشهور .
١٨ - بروتوكولات صهيون ، ترجمة أحمد عبد الغفور عطار .
١٩ - الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، ابن قيم الجوزية .
٢٠ - جامع بيان العلم وفضله ، ابن عبد البر النمري القرطبي .
٢١ - الحجاب ، أبو الأعلي المودودي .
٢٢ - حقوق النساء في الإسلام ، السيد محمد رشيد رضا .
٢٣ - حضارة العرب ، جوستاف لوبون ، ترجمة عادل زعيتر .
٢٤ - دع القلق وابدأ الحياة . ديل كارنيجي . ترجمة عبد المنعم الزيادي .
٢٥ - دفاع عن الزوجات ، الصحفي محسن محمد .
٢٦ - ذم الهوى ، أبو الفرج بن الجوزي .
٢٧ - روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، ابن قيم الجوزية .
٢٨ - زاد المعاد في هَدى خير العباد ، ابن قيم الجوزية .
٢٩ - الزواج ، عمر رضا كحالة .
٣٠ - الزنا ومكافحته ، عمر رضا كحالة .
٣١ - شباب في الشيخوخة ، دكتور أمين رويحة .

٣٢ - الشيطان يحكم ، دكتور مصطفى محمود .
٣٣ - الصحة العامة والرعاية الصحية ، دكتور فوزي علي جاد الله .
٣٤ - الصديقة بنت الصديق ، عباس محمود العقاد .
٣٥ - صفحات مضيئة من تراث الإسلام ، أنور الجندي .
٣٦ - الصلاة الخاشعة ، عبد الرحمن واصل .
٣٧ - طبيبك معك ، دكتور صبري القباني .
٣٨ - الطب النفسي المعاصر ، دكتور أحمد عكاشة .
٣٩ - ظلام من الغرب ، محمد الغزالي .
٤٠ - عبقرية الإمام علي ، عباس محمود العقاد .
٤١ - عاطفة الحب بين الإسلام ووسائل الإعلام ، عبد الرحمن واصل .
٤٢ - العقيدة والقوة معاً ، محمد عبدالله السمان .
٤٣ - علم النفس التربوي ، دكتور فاخر عاقل .
٤٤ - الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر .. مشكلات الأسرة والتكافل ، محمد البهي .
٤٥ - الفوائد ، ابن قيم الجوزية .
٤٦ - فيض الخاطر ، أحمد أمين .
٤٧ - القرآن والطب ، دكتور أحمد محمود سليمان .
٤٨ - القرآن والطب ، دكتور محمد وصفي .
٤٩ - قوة الإرادة ، جون كيندي ، ترجمة صلاح مراد .
٥٠ - مآثر العرب على الحضارة الأوروبية ، جلال مظهر .
٥١ - مختصر منهاج القاصدين ، ابن قدامه المقدسي .
٥٢ - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوي .
٥٣ - المرأة بين الفقه والقانون ، دكتور مصطفى السباعي .
٥٤ - المرأة والصراع النفسي ، دكتورة نوال السعداوي .
٥٥ - المستطرف من كل فن مستظرف ، محمد بن أحمد الابشيهي .
٥٦ - المضيفات والممرضات في الشعر المعاصر ، عبد الرحمن المعمر .
٥٧ - المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، ابن حجر العسقلاني .
٥٨ - الموسوعة الطبية الحديثة ، ٦ مجلدات ، سجل العرب .
٥٩ - نظام التجريم والعقاب في الإسلام مقارناً بالقوانين الوضعية،المستشار علي علي منصور.
٦٠ - نظرية داروين بين المؤيدين والمعارضين ، قيس القرطاس .
٦١ - واجب الشباب المسلم اليوم ، أبو الأعلى المودودي .
٦٢ - وحي القلم ، مصطفى صادق الرافعي .
٦٣ - اليهودي العالمي ، هنري فورد .

محتويات الكتاب

الفصل الثالث : مشكلات الشباب العاطفية
(١٠٧ - ١٣٤)

الفصل الرابع : الأمراض الخلقية
(١٣٥ - ١٧٦)

الفصل الخامس : منهج الاسلام في استثمار طاقات الشباب
(١٧٧ - ٢٢٦)

الفصل السادس : العوامل المؤثرة في الشباب هدماً وبناء
(٢٢٧ - ٣١٢)

* * *

كتب للمؤلف

- عاطفة الحب بين الإسلام ووسائل الإعلام .
- الصلاة الخاشعة .
- دليل الطالب المسلم .

*   *   *

رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٩٨٩ / ١٩٨٩
الترقيم الدولي : ٦ / ١٦٦ / ٣٠٧ / ٩٧٧